بسم الله الرحمن الرحيم

تصدر عن

موسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

العتبة الحسينية المقدسة

العدد الثامن والعشرون

السنة السابعة (١٤٤١ هـ - ٢٠١٩م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمّد السند
آية الله الشيخ محمّد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم
آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمّد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير :

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

مدير التحرير :

الشيخ عدنان الطائي

هيئة التحرير :

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلمان

د. الشيخ رغدان المنصوري

المقابلة وتقويم النص :

الشيخ عصام السعيدي

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي :

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية :

الشيخ حيدر علي البهادلي

الإشراف العام :

سماحة العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

التنسيق العام :

السيّد صالح التنكابني

السيّد مالك البطاط

أ. م. د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة :

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة :

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي : ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة فصلية علمية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافّة حقول المعرفة الدينية.

٥ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعو (مجلّة الإصلاح الحسيني) الأساتذةَ والباحثين والمحقّقين الفضلاء، وكلّ مَن لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة وأركانها.
- ألّا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتّبعة (مقدمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أُصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبّتة في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلّة غير ملزَمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

تنويه

- يُسلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسَل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلّة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قِبل لجنة مختصّة.
- للمجلّة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشَر.
- من صلاحيات المجلّة إجراء التعدّيلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنّية.
- المجلّة تتّبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.
* النجف الأشرف: الجديدة الثانية ـ مكتبة دار الهلال.
* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.
* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
* إيران/ قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
* إيران/ قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.
* إيران/ قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التقرير

مجالس العزاء العلمائية (الهوية والأهداف والنتائج)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي ١٣

ملف العدد
المنبر الحسيني.. الواقع والطموح(٢)

التبليغ الديني (ما يجب وما لا يجب)

الشيخ حسين أنصاريان/ترجمة: زهراء السالم ٣٩

آليات تطوير لغة الخطاب المنبري الحسيني

الشيخ عبد المجيد فرج الله ٧٧

المنبر الحسيني وضرورة تقنين المعلومات

د. الشيخ أسعد السلمان ١١٥

دراسة تحليلية ميدانية لواقع الخطابة الحسينية في العراق ما بين عامي (٢٠٠٣- ٢٠١٨م)

م. م. محمد هاشم الحمداني ١٤٥

المنبر الحسيني في العشرة الأُولى من محرّم.. توصيفٌ وتقويم

الشيخ عبد الرزّاق النداوي ١٧٩

المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني.. الأهداف والنتائج.. القسم الثاني/دراسة ميدانية

السيّد محمد باقر الهاشمي ٢٠١

مقوّمات الخطيب الحسيني القدوة.. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي أُنموذجاً

أ. م. د. سها صاحب القريشي ٢٢٥

ضوابط الخطابة ومقوّماتها في ضوء النصوص الشرعية

د. الشيخ علي العبادي ٢٤٥

دراسات حسينية

عاشوراء في مخطوطة (العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور).. عرض وتحليل

م. م. عصام هادي كاظم السعيدي ٢٧٩

وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية.. دراسة في السند والمتن

مصطفى ماجد هاشم الدالي ٣٠٥

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٥٣

مقال التحرير

مجالس العزاء العلمائية

(الهوية والأهداف والنتائج)

مجالس العزاء العلمائية
الهوية والأهداف والنتائج

الشيخ صباح عبّاس الساعدي*

مقدّمة

على الرغم من أنّ العصر الذي نشهده هو زمن التطوّر التكنلوجي، وسهولة تحصيل المعلومات المعرفية بطرق وسبل متنوّعة، إلّا أنّنا نعاني من عدم انفتاح الآخر على الحقائق الدينية، التي تُعدّ المفاتيح الأساسية للتعرّف على مناشئ وجذور الأعمال والسلوكيات المنتمية إلى الدين؛ إذ ما زال الكثير من الناس يعيش حالة من الابتعاد عن الحقائق المهمّة التي تكوِّن الجسم المتكامل للدين، ويشكو من الضبابية والغموض في معرفته لبعض الحقائق الدينية الواضحة، وجهله لبعضها الآخر الذي تتوقف معرفته على النظرة المتأنّية، والإحاطة بالجوانب الدخيلة في تفسيرها، فضلاً عن بعض الزوايا والجزئيات المرتبطة بكثير من العبادات والمعاملات، التي اقتصر على معرفة أصل مفهومها فقط، وهو مع ذلك يفسح المجال لنفسه للمناقشة فيها وفق رؤيته غير المكتملة.

ومن بين الحقائق الدينية التي أسهمت عوامل متعدّدة في تغييبها لدى بعضهم هو ما يرتبط بمجالس العزاء الحسيني ـ المفردة التي أُدرجت في عنوان بحثنا ـ إذ مع علنيّتها وبروزها لكلّ مَن أراد الاطّلاع على حقيقتها ـ نتيجة للشفافية التي تمتاز بها مفردات المراسم الحسينية بكلّ أنواعها ـ نجد أنّ عدم اكتمال صورتها لدى العديد

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

من الباحثين قد انعكس في تصويره لها حينما عُني بدراستها وتوصيفها في بعض مؤلّفاته[1]؛ بل وُجِدَتْ جذور هذا التهريج والتشنيع على مَن يُقيم المجالس الحسينية في الأزمنة المختلفة[2]؛ الأمر الذي اضطرّ علماءنا إلى التصدّي لبيان مواضع الخلل في تلك التوصيفات المشوّهة، وإثبات عقلانية هذه الحقائق، فضلاً عن مشروعيّتها، وتأكيد استحبابها، وترتّب الآثار الدنيوية والأُخروية الكثيرة عليها[3].

وتبدو الصورة أكثر وضوحاً للقارئ الكريم فيما لو سلّطنا الضوء على المجالس الحسينية لدى العلماء، أو ما عبّرنا عنه في عنوان بحثنا بـ: (مجالس العزاء العلمائية)؛ إذ إنّ هذه النقطة المهمّة والمحورية في مجال العزاء الحسيني لم تلتفت إليها الغالبية العظمى من الباحثين الذين كتبوا عن ذلك، فضلاً عن عامّة الناس، مع أنّ إبرازها للقارئ وتوضيح معالمها يُسهم إسهاماً كبيراً في معرفة الدور الكبير الذي يقوم به علماؤنا الأعلام في إصلاح الجوانب المحورية للمنبر الحسيني، والأثر الملموس في ديمومة نهضة سيّد الشهداء عليه السلام وحفظها في نفوس الجمهور.

الموضوع

إنّ فرضية البحث تبتني على أنّ مجالس العزاء الحسيني قد حظيت بعناية خاصّة وفائقة من قِبل مراجع الدين والعلماء المجتهدين؛ إذ تصدّوا لها، وتولّوا شؤونها بأنفسهم، وهو ما يبرهن على اهتماماتهم البالغة بهذا النمط من المراسم الحسينية أكثر من غيرها، مع إيمانهم بمشروعية معظم النماذج الأُخرى التي شاركوا في بعضها أيضاً، وحثّوا مقلّديهم عليها.

(١) أُنظر: الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٦٣.

(٢) أُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، منهاج السنّة: ج١، ص٥٢. وأيضاً: الترحيني، محمد حسن، النهضة الحسينية والنواصب: ص١٠٦. وأيضاً: الحجازي، محمد هادي، العزاء في مرآة الاستدلال: ص١٧.

(٣) أُنظر: الأمين، محسن، إقناع اللائم على إقامة المآتم: ص٣٠.

كما أنّ هناك فرضيّتين أُخريين ترتبتا على ما تقدّم، وهما: وجود أهداف ودوافع دعت علماءنا ومراجعنا إلى القيام بهذه الممارسة الهادفة، وأنّ هذه المجالس العلمائية قد حقّقت نتائجها وأعطت ثمارها بالشكل الذي خُطِّط له من قِبَلهم.

وقد تألّف بحثنا من عدّة مسائل دخيلة في معرفة مدى صحّة الفرضيات التي ذُكرت سلفاً، أو أنّها مبتنية على مقدّمات خاطئة لا بدّ من إعادة النظر فيها؛ إذ لا بدّ من تناول المعنى الذي أُريد في هذه الفرضية، والدوافع التي دعتهم إلى ذلك، على أنّ معرفة الآثار والنتائج المترتّبة على هذه المجالس لا تقلُّ أهمّيتها عن معرفة الأهداف والدوافع، إن لم نقل: إنّها تفوقها بكثير؛ ولذا فقد انتظم البحث في جهات، سنذكرها في الصفحات الآتية:

الجهة الأُولى: الصدق المفهومي لمجالس العزاء العلمائية

إذا كان للمفردة التي يراد بحثها أكثر من معنى ينساق إليه ذهن القارئ أو (المتلقّي) حينما يواجه هذه المفردة؛ فمن المتحتّم جدّاً ـ ومن الأساسيات المهمّة في واجهة البحث ـ تحديد النقاط المراد تسليط الضوء عليها، وبما أنّ موضوع بحثنا يحمل هذه الخصوصية؛ فسنتناول الانطباقات المتوقّعة والمرادة في بحثنا هذا، وهي:

الانطباق الأوّل: تصدِّي العلماء لقراءة المجالس العزائية

لم تكن مهمّة قراءة المجالس الحسينية في بداية انطلاقها موكولة إلى طلاب العلوم المنتسبين إلى الحوزات الدينية، فضلاً عن علمائها ومراجعها؛ بل كان الباب مفتوحاً أمام كلّ مَن أراد أن يكون ناعياً للحسين عليه السلام وأهل بيته، على المصيبة التي حلّت بهم، وبيان مظلوميتهم؛ ولذا فقد تصدّى لهذه العملية بعض الأشخاص الذين يجيدون نظم الشعر وإلقاءه، أو الذين حفظوا المقطوعات الشعرية والنثرية، بالإضافة إلى

النصوص التاريخية المرتبطة بواقعة كربلاء الدامية، وغير ذلك من النصوص التي تساعد في استدرار الدموع[١].

وكانت هذه الشريحة من القرّاء تُعرف بـ (النائحين)[٢]، أو (المنشدين)[٣]، فقد تعارف في ذلك الزمان إنشاد الشعر على سيّد الشهداء عليه السلام[٤]، وفي العرف الحوزوي ـ في بعض عصورنا المتأخّرة وفي بعض البلدان ـ بـ(روضه خوان)[٥] أو (قارئ العزاء)، وغير ذلك من المسمّيات، إلى أن تطوّرت المجالس الحسينية، وأصبحت متطلّبات القراءة فيها تستلزم أن يكون القارئ قد اجتاز بعض المراحل العلمية في المجال الديني؛ نتيجة لمتطلّبات العصر، وضرورة المواكبة، إلى جانب الاعتراضات التي وجّهها علماؤنا إلى الأُسلوب التسطيحي ـ الذي يستخدمه بعض الخطباء المنبريين ـ في تعريف نهضة سيّد الشهداء عليه السلام للجمهور[٦].

حينها تصدى بعض أفراد الحوزة العلمية الذين قطعوا شوطاً طويلاً في تحصيل العلوم الدينية داخل الأروقة العلمية الحوزوية، وأمسكوا بأيديهم زمام المبادرة، ليُحدثوا نُقلةً نوعيةً في تاريخ المنبر الحسيني، كما أنّهم ـ في الوقت ذاته ـ عملوا على تنشئة جيل جديد من الخطباء الذين يحملون مواصفات الخطيب الحسيني الناجح، من خلال إعداد تلامذتهم المؤهّلين للقيام بهذه المهمّة الصعبة وفق الآليات والوسائل

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص٣٤٢. وأيضاً: المقدسي، محمد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: ص٢٤.

(٢) أُنظر: التنوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: ج٢، ص٢٣٢، وص٢٣٣.

(٣) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٩.

(٤) أُنظر: المصدر السابق.

(٥) أُنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان: ص٣٢. وأيضاً: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١١، ص٢٩٥.

(٦) أُنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان: ص٢٦. وأيضاً: الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم: ج٢، ص٢٤.

المحدودة آنذاك[1]، وكلّ ذلك كان نتيجة طبيعية ومتوقّعة للأصوات التي علت لإصلاح واقع المنبر الحسيني.

إلّا أنّ اللافت للنظر والجدير بالاهتمام أن يجد القارئ أنّ طيفاً من علمائنا الأعلام والمراجع والمجتهدين ـ الذين حازوا على مرتبة الاجتهاد، واشتغلوا بتدريس البحث الخارج ـ قد انضمّوا إلى قافلة قرّاء المجالس الحسينية؛ واشتُهروا بارتقائهم المنبر الحسيني في المواسم التبليغية، أو المناسبات الدينية المهمّة، وقد تركت شخصياتهم التحقيقية والعلمية أثرها الواضح في المجالس التي يلقونها على الجمهور، كما أنّ لدخولهم في هذا السلك الصعب أثره البالغ في تصحيح مسار المنبر الحسيني، ورسوخ الكلمة التي نطقوا بها في نفوس المتلقّين.

ونحن في الوقت الذي نصدّر هذه النقطة بالعنوان المذكور آنفاً، ننوّه إلى أنّنا لا نهدف إلى الانتقاص من سائر الخطباء الذين لم يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد، والتقليل من شأنهم العلمي والتحقيقي، كما أنّنا لا نريد أن نصادر جهودهم وإسهاماتهم القيّمة في تحقيق نتائج مهمّة خلال مسيرتهم الطويلة في الطريق المبارك؛ فإنّ منهم مَن وصل إلى مستويات عالية، ومراحل متقدّمة في التحقيق والتأليف، وبقيَ منشغلاً بتدريس مراحل السطوح والسطوح العليا ـ كما يصطلح عليه في الحوزة العلمية ـ وإنّما سلّطنا الضوء في حديثنا على العلماء الذين لم يتركوا مهمّة قراءة المجالس الحسينية رغم انشغالهم وتصدّيهم للإفتاء، أو تدريس البحث الخارج لطلاب العلوم الدينية؛ لِما لهذا الإسهام القيّم من تأثير مضاعف في نفوس الجمهور.

ولذا نبيّن للقارئ الكريم أنّ مقصودنا من مفردة العلماء في هذا العنوان هو مَن وصل إلى مرتبة جعلته في مصافّ مراجع التقليد، ومتصدّياً للإفتاء، أو حصل على مرتبة الاجتهاد، وأصبح من العلماء البارزين في الأوساط الدينية، واشتغل بتدريس

(١) اُنظر: الوائلي، د. أحمد، تجاربي مع المنبر: ص٩٠.

وتأهيل طلبة العلوم الدينية في دروس البحث الخارج، وهو لم يزل يحرص على قراءة المجالس الحسينية.

وهذا المعنى الذي ذكرناه من أوضح المعاني المنساقة إلى الذهن عند مطالعتنا لعنوان البحث؛ إذ يُفهم منه أنّنا في صدد التعريف بالمجالس الحسينية التي يقرأها العلماء الذين توافرت فيهم الخصائص المتقدّمة.

وقد حفظ لنا التاريخ قائمة كبيرة بأسماء العلماء والفقهاء الذين عُرفوا بارتقائهم المنابر لقراءة المجالس الحسينية، أو مقتل الإمام الحسين عليه السلام[1] ـ إلى جانب الإسهامات المنبرية الأُخرى التي قاموا بها، كنظم الشعر الحسيني، وكتابة المواضيع التحقيقية التي ترفد الخطيب بالمادّة العلمية التي يريد إلقاءها على الجمهور ـ إلّا أنّنا نهدف في هذه النقطة إلى العلماء الذين قرأوا المجالس الحسينية، وعُرفوا في الأوساط الحوزوية بهذه الوظيفة السامية، وبما أنّ ذكر أسمائهم هنا يخرجنا عن الاختصار؛ فإنّنا نكتفي بذكر عيِّنات ونماذج من بعض علمائنا الماضين (قدّس الله أسرارهم)، ومن المعاصرين أيضاً:

١ـ فمن أبرز العلماء الذين اشتُهروا بالخطابة الحسينية والوعظ والإرشاد هو آية الله الشيخ جعفر التستري، فقد ذكر العلّامة الأمين رحمه الله أنّه: «**كان عالماً من أعلام العلماء، فقيهاً، واعظاً، له شهرة واسعة، واشتُهر بالوعظ والخطابة، وكانت تجتمع الأُلوف تحت منبره لسماع مواعظه**... [مع أنّه كان:] **رئيساً مطاعاً، مرجعاً في التقليد والأحكام، وكتب رسالته المعروفة بمنهج الرشاد بالفارسية، وأخذ في الوعظ في شهر رمضان وغيره، ونبغ في ذلك؛ بحيث لم يُعهد له نظير، وترتّب على وجوده آثار جليلة**»[2].

٢ـ وأمّا العلماء المعاصرون الذين ننعم ببركات وجودهم وفيوضاتهم، فمن أبرزهم آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني (دامت بركاته)؛ إذ بقيَ

(١) ذكر العلّامة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله طيفاً من أسماء المراجع والعلماء الذين ساهموا في المنبر الحسيني خطابة ونظماً وقراءة للمقتل الحسيني. أُنظر: الوائلي، د. أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٣٤.
(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٤، ص٩٥.

سماحته مواظباً على قراءة مجالس العزاء الحسيني طيلة السنين التي أنعم الله تعالى بوجوده على الأُمّة الإسلامية، وقد نتج عن خطابته الحسينية أن تمّ طبع محاضراته القيّمة ضمن مجموعة من الكتب القيّمة، من بينها كتاب: (مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وقد احتوى على سبع وعشرين محاضرة موجّهاً خطابه فيها إلى: «... **علماء الحوزة العلمية وفضلائها، بما فيهم أساتذة الدراسات العليا والفقهاء والمجتهدون؛ من هنا جاءت بعض المطالب متناسبة في بيانها مع هذا المستوى من المخاطبين**»[1]، يتحدّث فيها عن مقامات الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته، وبعض الجوانب المهمّة في معرفة الإمام الحسين عليه السلام.

٣ـ ومن أبرز العلماء المعاصرين ـ الذين عُرفوا في الساحة الخطابية ـ أُستاذنا العلّامة الحجّة آية الله السيّد منير القطيفي الخبّاز (أطال الله في بقائه)؛ فقد عُرف سماحته بقراءة مجالس العزاء والخطابة الحسينية، وما زال مستمراً في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام عن طريق منبر سيّد الشهداء (سلام الله عليه) بأُسلوبه العلمي، وقراءته المتأنّية للمعارف الدينية، فيقدّمها للمتلقّي بأُسلوبه المفهوم، وبيانه السهل الممتنع، مستثمراً في ذلك المناسبات الدينية التي ينتشر فيها المبلِّغون في البلدان الكثيرة.

الانطباق الثاني: مجالس العزاء الحسيني المقامة في بيوت العلماء

إنّ إصرار مراجع الدين والعلماء المجتهدين وحرصهم على إقامة مجالس العزاء في بيوتهم ـ أو تخصيصهم مكاناً مستقلاً لإقامة العزاء الحسيني ـ بات من الوضوح بمكان لدى كلّ مَن له اهتمام ومتابعة للسيرة الذاتية لعلمائنا الأعلام، وقد وثّق بعض الباحثين جملة من المجالس الحسينية التي يُقيمها هؤلاء المراجع والعلماء الربّانيون على مدار أيّام السنة، وتحديداً في كلّ أُسبوع مرّة؛ فذكر المجالس التي كان يقرأها بعض الخطباء قائلاً: «**وحدّثني ـ وكتب إليَّ في أوليات ترجمته ـ بأنّه كان يقرأ أُسبوعياً في بيوت**

(١) الوحيد الخراساني، حسين، مصباح الهدى وسفينة النجاة: ص٢٠.

المراجع ومجالس العلماء، وكان من أبرزها: مجلس المرحوم الميرزا عبد الهادي الشيرازي، مجلس المرحوم السيّد عبد الله الشيرازي، مجلس المرحوم السيّد محمود الشاهرودي، مجلس المرحوم الشيخ آقا بزرك الطهراني، كما قرأ مقدّمة للسيّد كاظم القاضي في دار السيّد الحكيم، بمناسبة شهر رمضان المبارك لعامين متتالين»[1].

كما أنّ بعض العلماء الذين عُرفوا باهتمامهم بمجالس العزاء قد سُجِّل لهم حرصهم على إقامة العزاء في المناسبات المختلفة كافّة مع كثرتها[2]، فضلاً عن مجالس علمائنا المعاصرين الذين حضرناها بأنفسنا في مدينة النجف الأشرف، وهي كثيرة جدّاً.

ونتيجة لكثرة مجالس العزاء العلمائية التي يُقيمها علماؤنا الأعلام في بيوتهم ـ ولشدّة إصرارهم على إقامة العزاء الحسيني ـ فقد توزّعت مجالسهم الحسينية في أوقات مُعيّنة لا يتصادم بعضها مع بعض، كما شهدنا هذا الانتظام في المجالس التي يُقيمها علماؤنا المعاصرون (أطال الله بقاءهم) في النجف الأشرف[3]، وبعد التتبّع والسؤال عن بعض هذه المجالس الحسينية العلمائية، وجدنا أنّ جذورها ممتدّة إلى أزمنة بعيدة لمراجعنا الماضين (قدّس الله أسرارهم)، وقد حرص العلماء من أبنائهم أو أحفادهم على إحياء ما غرس بذرته الآباء العظماء إلى يومنا هذا[4].

---

(١) السيّد حسن، داخل، معجم الخطباء: ج٢، ص٣٣٨.

(٢) أُنظر: السبزواري الساداتي، حسن، وسيلة الوصول إلى حقائق الأُصول: ص١١.

(٣) فمع أنّ المهام التي أُنيطت بالمرجعية العليا المتمثّلة بسماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف) كثيرة وكبيرة جدّاً، إلّا أنّ سماحته كان يحرص كلّ الحرص على إقامة مجالس العزاء الحسيني في داره المباركة، كما أنّه يحرص على المشاركة والحضور فيها بنفسه.

(٤) كما في مجلس أُسرة آل بحر العلوم، ومجلس آل الحكيم في مسجد الهندي، وغيرهما من المجالس الكثيرة التي تقام في النجف الأشرف.

الانطباق الثالث: مجالس العزاء الحسيني التي يحضرها العلماء

بقيت لنا صورة أُخرى يتجلّى العنوان فيها، وينطبق عليها، وإن لم يكن بذلك الوضوح والانطباق الذي تقدّم في النقطتين المذكورتين آنفاً، إلّا أنّ الخواص المشتركة في بعض الجوانب التي كُتب البحث من أجلها ـ وهي تحقّق الأهداف والنتائج ـ جعلنا نسوّغ لأنفسنا ذكرها هنا؛ إذ إنّ حضور العلماء ومراجع الدين في المجالس الحسينية يشجّع الناس على مواظبة الحضور اقتداءً بهم؛ باعتبارهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله، والسائرين على سيرته، وقد أمرنا الله تعالى أن نجعله أُسوة حسنة[1].

وقد حفل هذا النمط من المجالس بحضور المراجع العظام والفقهاء والعلماء، وكذلك سائر أهل الفضل من طلبة العلوم الدينية؛ وفي هذا الصدد يقول بعض الباحثين: «**وإن أنسى لا أنسى مجلس العالم الورع السيّد نصر الله المستنبط في طرف البراق، خلف المدرسة الشبّرية، الذي كان يغصُّ بكبار مراجع الدين، وحشود أهل البيت**[2]**، وسائر المؤمنين؛ فترى الناس تبحث لها عن مكان، حتّى ولو على الشرفات والسلالم المؤدّية إلى الطابق الثاني...**»[3].

ولم تغب صورة ذلك الحضور البهي لعلمائنا ومراجعنا الكرام من ذاكرة كبار خطبائنا الماضين والمعاصرين، وهم يحدّثوننا عن مجالسهم العامرة في مدينة النجف الأشرف، تلك الصورة التي كان لها الأثر الكبير في صقل شخصية أُولئك الخطباء، الذين عاشوا حياتهم قامات شامخة في عالم المنبر الحسيني[4]، كما لا تغيب صورة علمائنا

(١) وهو قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾. الأحزاب: آية ٢١.

(٢) لم يتضح لنا المعنى المراد للباحث من قوله: «وحشود أهل البيت»، ولعلّ المقصود: وحشود الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

(٣) السيّد حسن، داخل، معجم الخطباء: ج١، ص٢٩٠.

(٤) أُنظر: الوائلي، د. أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٣٦.

الأعلام من مراجعنا المعاصرين (أدام الله بقاءهم)، وهم حاضرون في المجالس التي نحضرها في النجف الأشرف في الأيّام التي لم نوفّق فيها للسفر التبليغي؛ إذ وفّقنا الله عزّ وجلّ للحضور والمشاركة في مجالسهم المباركة.

الجهة الثانية: أهداف مجالس العزاء العلمائية

من الأُمور المهمّة في هذا البحث هو معرفة الأهداف والدوافع التي دعت هؤلاء العلماء الأعلام إلى أن يُولوا مجالس العزاء الحسيني العناية الفائقة، مع كثرة أشغالهم ووظائفهم التي تفرضها عليهم مكانتهم وزعامتهم الدينية، ولا شكّ في أنّ هناك أهدافاً قد حقّقها[1] علماؤنا من خلال مجالس العزاء الحسيني، التي كان لهم دور كبير في إقامتها، ومن أهمّها:

١ـ الهدف الديني

يقع في طليعة الأهداف التي دعت علماءنا الأعلام إلى الاهتمام بالمجالس الحسينية ـ قراءةً وإقامةً ومشاركةً ـ هي القراءة المتأنّية والمعمّقة للنصوص الشرعية التي دلّت على أنّ هذه الأنماط الثلاثة هي من أفضل العبادات التي تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ؛ ويمكننا أن نستشف مستندهم الذي بنوا عليه في النمط الأوّل، وهو الروايات الكثيرة الواردة في وقائع كثيرة ومصادر معتبرة ومتعدّدة، تحدّثت عن ثواب: «**مَن أنشد في الحسين شعراً**»[2]. كما أنّهم قد تأسّوا بسيرة الأئمّة الأطهار عليهم السلام حينما كانوا يُقيمون مجالس

(١) من هنا يعرف القارئ الكريم أنّ هناك نقطة تلاقٍ واضحة بين محتوى هذه الجهة والجهة التي سنتحدّث عنها لاحقاً؛ لأنّ من المتيقّن والملموس لدينا تحقّق كثير من الأهداف التي ذكرناها هناك؛ وعليه فإنّها تصلح أن تندرج في الجهة التي خُصّصت للبحث عن النتائج والآثار المترتّبة على مجالس العزاء العلمائية.

(٢) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٨. وأيضاً: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٠٥. وثواب الأعمال: ص٨٣.

العزاء في بيوتهم، وهو ما يمثّل النمط الثاني من انطباقات عنوان البحث[1]. وأمّا ما يخصّ النمط الثالث فمن المؤكّد أنّهم ناظرون إلى الروايات التي حثّت الشيعة على البكاء لمصائبهم، والمشاركة في إحياء ذكرهم وأمرهم، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ تلك المجالس أُحبّها، فأَحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله مَن أحيا أمرنا**»[2]، وقوله عليه السلام: «**مَن ذُكرنا عنده ففاضت عيناه، ولو مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر**»[3]، وغيرها من الروايات الكثيرة التي طالما قرأوها ودوّنوها في كتبهم الروائية، بل استدلّوا بها في بحوثهم الفقهية.

وإلى جانب ذلك؛ فقد أوضح الشيخ التستري رحمه الله سرَّ تعلّقه بالخطابة الحسينية في كتابه: (الخصائص الحسينية) ـ الذي ذكر فيه مجموعة من خصائص الإمام الحسين عليه السلام ضمن مواضيع دينية مرتّبة تصلح للطرح على المنابر الحسينية ـ قائلاً: «**إنّي أمعنت النظر في الوسائل المتعلّقة بالأئمّة عليهم السلام، فرأيت أجلّها فائدة وأعظمها مثوبة وأعمّها نفعاً... ما يتعلّق بسيّد شباب أهل الجنّة، ووالد الأئمّة السيّد المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام...**»[4].

٢ـ الهدف الاجتماعي

بما أنّ الإسلام دين الاعتدال والوسطية فمن الطبيعي جدّاً أن يوازن علماؤنا

---

(١) رُوي عن أبي هارون المكفوف، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: أنشدني. فأنشدته، فقال: لا، كما تُنشدون وكما تُرثيه عند قبره. قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكية

قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مرْ. فمررت، قال: ثمّ قال: زدني. قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك ... وعلى الحسين فأسعدي ببكاك

قال: فبكى وتهايج النساء...». ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٨.

(٢) الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص٣٦.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص٦٣.

(٤) اُنظر: التستري، جعفر، الخصائص الحسينية: ص١٠.

الأعلام في أفعالهم بين الدوافع الأُخروية والدنيوية؛ ولذلك تجد الأهداف الاجتماعية قد جاءت جنباً إلى جنب مع الأهداف والدوافع الأُخروية، وإن كانت متأخّرة عنها رتبةً، وقد وجدنا أنّ هذه الأهداف تتجلّى في نقطتين رئيستين، وهما:

أ. تشجيع الجمهور على المجالس الحسينية

هذا الهدف والدافع تشترك فيه جميع الانطباقات الثلاثة التي ذكرناها في الجهة الأُولى؛ إذ إنّ الهدف من جميع الأنماط التي أقاموا فيها مجالس العزاء الحسيني، هو تحفيز طلاب العلوم الدينية على التصدّي لمهمّة التبليغ الديني، والتعاطي مع هذا العمل على أساس أنّه من الوظائف المقدّسة والجديرة بالاهتمام.

فحينما ينظر الطلاب إلى فقيه ومرجع ديني كبير من مراجع الطائفة ـ كآية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني ـ وقد ارتقى منبر سيّد الشهداء عليه السلام، متولّياً هذه المهمّة بنفسه، وحينما يرى الطلاب أنّ الأُستاذ الفقيه والعالم الديني يتجشّم عناء السفر والمخاطر التي تحفُّ به، ويقطع المسافات الطويلة؛ لكي يرتقي المنبر الحسيني في بلد من البلدان البعيدة، فلا شكّ في أنّ هؤلاء الطلاب سوف ترسخ في نفوسهم عظمة المنبر الحسيني، ومحوريته المشهود لها بين وسائل نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وينطبق هذا الكلام بشكل أوضح ومساحة أوسع على الانطباقين الثاني والثالث؛ إذ إنّ حرص العلماء ومراجع الدين على إقامة مجالس العزاء الحسيني في بيوتهم ـ والسعي إلى المشاركة في حضور مجالس العزاء التي تُقام من قِبل غيرهم ـ يكون من المحفّزات المؤكّدة التي تشجّع طبقات المجتمع كافّة على المنافسة الإيجابية لإقامة مجالس العزاء، والحرص على التواجد المتواصل في مجالس العزاء الحسيني، مهما كانت مكانة الإنسان، وأيّاً كانت الظروف التي يمرّ بها.

ب. الإشراف والرقابة المباشران على مسيرة المجالس الحسينية

من أهمّ الأهداف التي دعت مراجعنا وعلماءنا الأعلام إلى التواجد المشهود في مجالس العزاء الحسيني هو الحفاظ على الدور الرقابي والإشراف المباشر على المنابر

الحسينية؛ ليكونوا على علم يقيني وإحاطة تامة بما يُطرح من قِبل الخطباء الحسينيين، وفيما لو وجدوا فجوة أو سجّلوا ملاحظة ـ ولو جزئية ـ تستحق التنبيه، يبادرون حينئذٍ لتصحيحها، ومعالجة ما يمكن أن يتركه الخطاب المغلوط.

وقد ترك الحضور المبارك لهؤلاء المراجع والعلماء أثراً واضحاً في نفوس الخطباء؛ إذ كانوا يُعيرون ذلك أهمّية فائقة، ويحترزون أيّما احتراز فيما لو كان حديثهم في محضر مرجع أو عالم من العلماء؛ ومن هنا يقول الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله: «**وممارسة الخطيب للخطابة بحضور هؤلاء تلزمه بالشعور بمسؤولية الكلمة، والتقيّد بقيود كثيرة، منها: التأكّد من صحّة ما يرويه، والتحلّي بصفات أهل العلم من المعرفة والاطّلاع... يفرضها وجود هذا اللون من الناس تحت المنبر، وإلّا تعرّض الخطيب إلى النقد اللاذع، وإلى السقوط؛ فكان لوجود هذه النوعية من مجالس الحسين عليه السلام أثر كبير في صقل موهبة الخطيب، ودفعه للجدّ والبحث، وإتقان أُصول الفن**»[1].

الجهة الثالثة: النتائج المترتّبة على مجالس العزاء العلمائية

لكي لا نُتَّهم من قِبل بعضهم بالمبالغة وتصعيد اللهجة، يلزمنا أن لا نتحدّث ـ في هذه الجهة ـ عن التسديد الإلهي للعلماء ومراجع الدين في هذا السلوك المدروس من قِبلهم، والذي يعتقد به الإنسان المؤمن وفق الأدلّة اليقينية، ذلك التسديد الذي يكون من نصيب الإنسان المؤمن والمتوكّل على الله عزّ وجلّ؛ إذ لعلّ حديثنا عن هذه المسألة هنا لا يستسيغه مَن يدّعي التنوّر والتقدّم، وإنّما نقتصر على الجانب الملموس والمشهود به لعلمائنا ومراجعنا في مواقفهم المشرّفة، ألا وهو الحكمة التي امتازوا بها في أفعالهم؛ فننطلق منها لمعرفة النتائج والآثار التي ترتّبت على هذا النمط من المجالس الحسينية، فبعد التتبّع والتنقيب في النتائج التي يمكن أن تذكر لمجالس العزاء العلمائية وجدنا أنّها تتمحور في النقاط الآتية:

(١) الوائلي، د. أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٣٤.

١ـ تصحيح مسار الخطابة الحسينية

لقد أسهم حضور المراجع والعلماء والمجتهدين في المجالس الحسينية في صناعة شخصيات خطابية متألّقة، من أمثال الشيخ محمد علي اليعقوبي﵀، والخطيب اللامع السيّد جواد شبر﵀، والدكتور الشيخ أحمد الوائلي﵀، وقد شهد بعضهم بهذا الدور الكبير والمؤثّر في مسيرته الخطابية الناجحة قائلاً: «... **وأنا بالذات مررت بشيء من هذا القبيل؛ لأنّه كان يوفّر لي تعميق مهارتي لا الشهرة، لأنّ حضّاره من كبار رجال العلم الذين يحسب الخطيب لهم حساباً، فيضطرّ إلى الضبط والإتقان، ويعمل على حسن الانتقاء**»[١].

ثمّ استعرض بعض التجارب التي مرَّ بها مع كبار مراجع الدين والعلماء حينما كان في مقتبل مسيرته الخطابية، بل حتّى بعد أن اشتُهر في عالم الخطابة، ووُجِّهت له الدعوات الرسمية لارتقاء المنبر الحسيني في النجف، في وقت لم يكن بمقدور كلّ أحد أن يرتقي المنبر في هذه الأروقة المباركة، فذكر بعض المواقف التي صحّح له فيها بعض العلماء والمراجع العظام معلوماته التي ذكرها على منبره بحضورهم، كالموقف الذي مرَّ به مع المرجع الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ عباس الرميثي، والشيخ محمد حسين المظفر، وزعيم الطائفة السيّد الخوئي (قدّس الله أسرارهم)، وقد كانت تصحيحات بعضهم متنوّعة: بعضها في المجال العقدي، وبعضها الآخر في مجال أُصول الفقه، وموقف ثالث في المجال التاريخي، ورابع في المجال الفقهي[٢].

كما ينقل لنا خطيب آخر من الخطباء المعاصرين تجاربه التي مرَّ بها، وهو يقرأ المجالس الحسينية في محضر علمائنا الأعلام، وتصحيحهم بعض معلوماته التي طرحت من قِبله، فيما يخصّ قراءته بعض النصوص، أو الاستفادة والاستنتاج التحليلي من بعض الآيات أو الروايات، بل حتّى ما كان منها على المستوى اللغوي[٣].

---

(١) الوائلي، د. أحمد، تجاربي مع المنبر: ص٩٢.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١٣٨ـ ١٤١.

(٣) أُنظر: رفيعي، ناصر، المنبر الحسيني.. الخصائص والأُسلوب والآفات، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢٥، ص٨١.

ومن خلال هذه المواقف ونظائرها ندرك الدور الكبير الذي يؤدّيه حضور المراجع والعلماء في المجالس الحسينية، والنتائج المترتّبة على ذلك، فضلاً عن المجالس التي تُقام في أروقتهم المباركة؛ فإنّ هذا التقويم والترشيد الذي يقوم به مراجعنا للخطباء المنبريين ينتج منه الارتقاء بالمنبر الحسيني، والرفع من مستواه العلمي، بل تصحيح مساره، والحفاظ على استقامته.

كما أنّ حضور العلّامة السيّد محسن الأمين في المجالس الحسينية ـ حينما كان مُقيماً في دمشق ـ قد رفع من مستوى المجالس الحسينية التي أُقيمت في بلاده، وغيّرت من النمط السائد آنذاك؛ حتّى أصبح يراهن على نوعية المواضيع التي تطرح في المجالس التي يحضرها بنفسه، معتبراً الخطباء الذين يرتقون المنابر في محضره ثمرة من أبرز ثمار منجزاته وإسهاماته العلمية والعملية؛ بعد أن عمد إلى إعدادهم وترشيد مستوياتهم العلمية والخطابية بشتّى الطرق المتوفّرة له[1].

ولقد كان لحضور العالم الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في تلك المجالس الحسينية الدور الكبير في معرفته لِما يطرح على المنابر الحسينية، وملاحظته لبعض المنابر المبتنية على الخرافات المزيّفة، والأحاديث الملفّقة والمكذوبة على الله ورسوله، من قِبل بعض الذين اتخذوا من المنبر الحسيني وسيلة لمصالحهم الشخصية الضيّقة؛ الأمر الذي دفعه لإصدار فتوى، وإبداء رأيه في هذا النمط من المجالس، مبيّناً الواجب المتوجّه إلى الأشخاص الذين يدعونهم إلى بيوتهم مع علمهم بالمستوى العلمي الذي وصلوا إليه، كما اعتبر الاستماع إلى خطاباتهم المنبرية من الأُمور المحرّمة شرعاً[2].

(١) أُنظر: الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم: ج١، ص٢١٥.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٢٤٤.

٢ـ تقديم الخطباء الأكْفاء إلى الجمهور الشيعي

من أهمّ النتائج التي اكتُسبت بفضل حضور العلماء والمراجع في مجالس العزاء الحسيني، هو تقديم شخصيات خطابية يُطمأنّ إلى كونها محلّ ثقة واعتماد لدى العلماء، ومؤيّدة من قِبلهم؛ وقد وُصِف بعض الخطباء الحسينيين بأنّه: (خطيب العلماء، وعالم الخطباء)[١]، فيما وُصف بعضهم الآخر بـ: (معتمد العلماء، ومفخرة الخطباء)[٢].

وبفضل المجالس التي كان يُقيمها مرجع الطائفة السيّد أبو الحسن الإصفهاني قدس سره استطاع الجمهور أن يتعرّف على الخطيب البارع الشيخ محمد علي اليعقوبي، حينما ارتقى المنبر في ذلك المجلس المبارك؛ ما دعاهم إلى الوثوق بما يطرحه عليهم من حقائق دينية، فاتسعت دائرة المجالس العزائية التي يقرأها ذلك الخطيب المتمكّن الذي لم تكن له تلك الشهرة والمعروفية من قبل ذلك[٣].

ومع أنّ السيّد صالح الحلّي ـ الخطيب البارع والمعروف في الأوساط الدينية ـ كان يختلف مع السيّد محسن الأمين اختلافاً شديداً في بعض الرؤى والأفكار المرتبطة بمفردات المراسم الحسينية، إلّا أنّ السيّد الأمين قدس سره قال في حقّه: «**إنّ السيّد صالح الحلّي هو أحسن خطيب عرفته المنابر الحسينية، وأنا أودُّ أن نُعدّ الخطباء على غراره إذا ما أردنا أن نُنبّه الناس ونوقظهم، ونوجّههم توجيهاً صحيحاً**»[٤]، وما ذلك إلّا لأنّ السيّد الأمين رحمه الله ـ نتيجة لحضوره المتكرّر في المجالس الحسينية التي يقرأها هذا الخطيب ـ قد وقف على إمكانات الخطيب الحلّي، ومهاراته التي شهد بها القاصي والداني.

---

(١) أُطلق هذا الوصف في حقّ الخطيب البارع السيّد صالح الحلّي. اُنظر: السيّد حسن، داخل، معجم الخطباء: ج١، ص٥٩.

(٢) ذُكر هذا الوصف في حقّ الخطيب الحسيني القدير الشهيد السيّد جواد شبر. اُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٢٩٢.

(٣) الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم: ج٢، ص١٤٨.

(٤) المصدر السابق: ج٢، ص٢١٤.

٣ـ رسوخ المجالس الحسينية في نفوس الجماهير

سبق أن ذكرنا في الجهة السابقة أنّ أحد الأهداف والدوافع الاجتماعية هو حثُّ الناس وتشجيعهم على مجالس العزاء الحسيني بجميع أنماطه المتقدّمة، كلٌّ بحسب مقدوره ـ فمَن كان لديه القدرات التي تؤهله لقراءة المجالس الحسينية يتحتّم عليه أن يقوم بمهمّته، والذي لديه القدرة المالية والاستعدادات الإدارية التي تمكّنه من تخصيص مكان لإقامة المأتم والمجلس الحسيني بادر إلى ذلك، وإذا لم يكن بوسعه ومقدوره صنع شيء ممّا تقدّم إلّا أنّ بإمكانه الحضور والمشاركة، فلا بدّ له من الانخراط في تلك الجموع الحاشدة التي تُحيي ذكر أهل البيت عليهم السلام.

وقد عرفنا في حديثنا عن الأهداف الاجتماعية تحقّق هذا الهدف بأتمّ وجه؛ فإنّ طلاب العلوم الدينية يقتدون بمراجع الدين والمجتهدين والعلماء الذين يحرصون على قراءة المجالس الحسينية مع كثرة مهامهم، وهكذا في بقيّة الأدوار الأُخرى التي يقوم بها العلماء؛ ولذا يذكر بعض الباحثين أنّ من أهمّ الدوافع التي شجّعت الناس على الحضور في مجالس العزاء الحسيني، هو تواجد العلماء ومراجع الدين وأهل العلم بينهم، وفي طليعة المجالس التي تقام لسيد الشهداء عليه السلام؛ إذ يصف بعضَ المجالس بأنّه: «... **كان يغصُّ بكبار مراجع الدين، وحشود أهل البيت، وسائر المؤمنين؛ فترى الناس تبحث لها عن مكان، حتّى ولو على الشرفات والسلالم المؤدّية إلى الطابق الثاني...**»[1].

ومن الملاحظ ـ أيضاً ـ أنّ مجالس العزاء إذا كان قارؤها عالماً من العلماء فإنّ نسبة الحضور سوف تزداد أضعافاً مضاعفة، كما في المجالس التي كان يرتقي منبرها الشيخ التستري رحمه الله، فقد ذكر العلّامة السيّد محسن الأمين رحمه الله عن حضّار مجالسه قائلاً: «... **وكانت تجتمع الأُلوف تحت منبره لسماع مواعظه**»[2].

---

(١) السيّد حسن، داخل، معجم الخطباء: ج١، ص٢٩٠.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٤، ص٩٥.

٤ـ ضمان الديمومة والاستمرارية لمجالس العزاء الحسيني

من بين النتائج التي حقّقتها مجالس العزاء العلمائية، هو التمكّن من تجاوز الأزمات التي يمرّ بها الموالون، والحفاظ على بقاء العبادات التي تحفظ لحمة المجتمع المؤمن، وتعدّ المجالس الحسينية من أبرز تلك الأعمال والعبادات التي تحفظ لنا تجمُّع المؤمنين ووحدتهم، وقد سعى الحكّام ـ في عصور مختلفة ـ إلى الحدّ من هذه الظاهرة التي تهدّد عروشهم، بل القضاء عليها بالكامل[١]، إلّا أنّ المجالس المدعومة من قِبل مراجعنا وعلمائنا هي التي وقفت في وجه هذه المحاولات؛ لأنّ ما تركته مجالس العزاء العلمائية من أثر في نفوس المؤمنين جعلهم يحرصون على إقامتها بشتّى الطرق والسبل، حتّى أنّهم (قدّس الله أسرارهم) كانوا يقومون بعملية تحرٍّ حول المدن التي لم يكن فيها بنايات مخصّصة لإقامة المجالس الحسينية (أي: الحسينيات)، فيأمرون ببناء حسينيات فيها، كما كان يعمل مرجع الطائفة السيّد أبو الحسن الإصفهاني قدس سره[٢].

على أنّ هناك آثاراً ونتائج كثيرة أُخرى تركنا ذكرها روماً للاختصار.

توصية مقترحة

بعد أن تعرّفنا على النتائج الإيجابية المترتّبة على مجالس العزاء العلمائية، نودّ أن نوسّع دائرة الموضوع الذي تناولناه في هذا البحث؛ فنعمل على تطبيق هذه التجربة الناجحة، ليكون العنوان المذكور آنفاً شاملاً لمجالس العزاء التي يُقيمها ممثّلو المرجعية الدينية في المدن والبلدان كافّة، بل حتّى معتمدي المرجعية أيضاً؛ فإنّ المجالس التي تكون تحت إشراف ورعاية وكلاء المرجعية ومعتمديها تكون مختلفة تماماً عن سائر المجالس الأُخرى، من حيث المقبولية، وضمان السلامة الفكرية فيها؛ وذلك لأنّ اختيارات المرجعية الدينية للأشخاص تكون على وفق معايير الكفاءة والنزاهة؛

(١) أُنظر: الحسن، ضياء، المرجعية العاملة: ص٨٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٨٥.

وهذا ما يجعل من المجالس التي يقيمونها محلّ اعتماد واطمئنان للجمهور المتلقّي ، كما أن في الأعم الأغلب تكون متطابقة مع الواقع نتيجة التحري والدقة الفائقة في معرفة الخصائص المؤهلة لاختيارهم، وقد شاهدنا تجربة موفّقة ـ وإن كانت جزئية ـ في مدينة (السماوة/ قضاء الخضر)؛ إذ تولّى معتمد المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ راضي الطائي(أيّده الله) رعاية أغلب المجالس الحسينية والإشراف عليها طيلة السنين التي قرأنا فيها في مواسم شهر محرّم الحرام، وقد كانت إدارته لهذه المجالس تمتاز بجدارة كبيرة، ولا يزال على هذا النمط، فلو تمّ العمل على هذا النمط في بقيّة المدن والبلدان الأُخرى لأمكننا تجاوز كثير من العقبات والمصاعب التي يعاني منها كثير من الخطباء والجمهور في المواسم التبليغية.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

فهرست المصادر

* القرآن الكريم.

١ـ أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٢ـ إقناع اللائم على إقامة المآتم، محسن الأمين، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.

٣ـ الأمالي، محمد بن علي الصدوق، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٤ـ تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٨م.

٥ـ تراجيديا كربلاء، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.

٦ـ ثـواب الأعمال، محمد بن علي الصدوق، الشريف الـرضي، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ ش.
٧ـ الخصائـص الحسـينية، جعفر التسـتري، منشـورات الشريف الرضي، إيـران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.
٨ـ دور المنـبر الحسـيني في التوعية الإسـلامية، محمـد باقر المقـدسي، دار الكفيل للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٧م.
٩ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
١٠ـ العزاء في مرآة الاستدلال، محمد هادي الحجازي، مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الأُولى، ٢٠١٦م.
١١ـ قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.
١٢ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٣ـ اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، الميرزا حسـين النوري الطبرسي، منشورات دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٣م.
١٤ـ مجلّة الإصلاح الحسـيني، مؤسّسـة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الأُولى، ٢٠١٩م.
١٥ـ المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٧٠هـ.
١٦ـ المرجعية العاملة، ضياء الحسن، هيئة محمد الأمين.
١٧ـ مصباح الهدى وسـفينة النجاة، حسـين الوحيد الخراسـاني، مؤسّسـة وارث الأنبياء للدراسـات التخصصيـة في النهضـة الحسـينية، النجـف الأشرف ـ العـراق، الطبعـة الأُولى، ٢٠١٩م.

١٨ـ معجم الخطباء، السيّد داخل حسن، المؤسّسة العالمية للثقافة والإعلام، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١١٩٦م.
١٩ـ منهاج السنّة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جامعة الإمام محمد ابن سعود، الطبعة الأُولى، ١٩٨٦م.
٢٠ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي الكجامي، ١٩٧٣م.
٢١ـ النهضة الحسينية والنواصب، محمد حسن الترحيني، منشورات دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.
٢٢ـ هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، المكتبة الحيدرية، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ.
٢٣ـ واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، منشورات دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.
٢٤ـ وسيلة الوصول إلى حقائق الأُصول، حسن السبزواري الساداتي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

ملفُ العَدَد

المنبر الحسيني .. الواقع والطموح (٢)

- التبليغ الديني (ما يجب وما لا يجب)
- آليات تطوير لغة الخطاب المنبري الحسيني
- المنبر الحسيني وضرورة تقنين المعلومات
- دراسة تحليلية ميدانية لواقع الخطابة الحسينية في العراق ما بين عامي (٢٠٠٣- ٢٠١٨م)
- المنبر الحسيني في العشرة الأُولى من محرّم.. توصيفٌ وتقويم
- المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني.. الأهداف والنتائج.. القسم الثاني / دراسة ميدانية
- مقوّمات الخطيب الحسيني القدوة.. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي أُنموذجاً
- ضوابط الخطابة ومقوّماتها في ضوء النصوص الشرعية

التبليغ الديني (ما يجب وما لا يجب)

الشيخ حسين أنصاريان *

ترجمة: زهراء السالم **

حوار مع حجّة الإسلام والمسلمين الأستاذ الشيخ حسين أنصاريان

س: الخطابة فنّ، وبإمكان الفنّ، أن يكون في خدمة الفكر والعقيدة، أو يكون عاملاً في تخريبهما، فماذا علينا أن نفعل لهذا الفنّ الذي تأصّل منذُ بزوغ فجر الإسلام؛ كي يكون اليوم ذا صلة وثيقة بالدين المحمّدي، ويحفظه من كلّ الجوانب، وماذا يجب فعله، ليكون هذا الفنّ أكثر عمقاً وأكبر مجدّاً؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، الخطابة لها جذور في القرآن الكريم كما لباقي العلوم المعنوية والمادّية جذور أيضاً، وقد بيّن القرآن الكريم أنّ الأنبياء عليهم السلام الذين بُعثوا إلى المجتمعات البشرية كانوا أهل خطابةٍ، هذا ما يطلقه أهل المنطق طبعاً، أمّا نحن فنسمّيهم مبلغي الرسالات الإلهية.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[1]؛ تشير هذه الآية المباركة إلى أنّ الخطابة متوفّرة لدى كلّ البشر، كانت وما زالت عند كلّ إنسان. إنّها كما ذكرتم في السؤال من أنّ الخطابة فنّ، وهذا الفنّ اللساني والبياني كان له الدور الفعّال في البناء أو التخريب على مرّ التاريخ، وفي جميع الأُمم والشعوب بلا استثناء.

---

* كاتب وأُستاذ في الحوزة العلمية، قم المقدّسة/ إيران.

** مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، القسم النسوي.

(١) الرحمن: آية ٢ـ٣.

فالجانب البنّاء فيه يرتبط ـ بالدرجة الأُولى ـ بالأنبياء عليهم السلام؛ إذ أودع الله تعالى فنّ الخطابة فيهم، فضلاً عمّا زوّدهم به من علمٍ ومعرفةٍ، وما ذلك إلّا لأجل أن يقوموا بإنضاج العقل البشري، ويبعدوا البشر عن ظلمة الجهل، ويمنحوهم نظرةً يستطيعون من خلالها رؤية الحقائق بدل الأشباح والأوهام، فضلاً عن تربيتهم على الآداب الإلهية والأخلاق الربّانية.

وقد كان إخلاص الأنبياء عليهم السلام في هذا المجال في أتمّ درجاته؛ إذ يعبّر عنهم الباري تعالى في القرآن الكريم تعبيراً جميلاً، ويصفهم بـ (الناصح)، والناصح: هو مَن يريد الخير للآخرين، ومَن يكون رحيماً شجيّاً على غيره؛ لذا نرى كثيراً من فحوى الآيات التي تتحدّث عن الأنبياء عليهم السلام، أنّهم كانوا أصحاب خوالج نحو أفراد نوعهم، يهمّون في سعادتهم، ويغتمّون لشقاوتهم، إلى درجةٍ أنّ القرآن الكريم يصفهم بأنّهم إخوة لقومهم، حتّى وإن كان القوم فاسدين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[2].

لقد كلّفهم الله تعالى بمسؤولية التربية والهداية؛ كي ينمّوا عقول البشر بخطاباتهم، فيوقظونهم من الغفلة، ويبعدونهم عن الجهالة، والأكثر من ذلك أن يعدّوا الناس إخوةً لهم مهما كانت الاختلافات. وقد انتقلت طريقة الأنبياء الإلهيين هذه إلى أهل الإيمان، سواء الذين عاصروا الأنبياء وعاشوا في زمانهم، أم مَن جاؤوا بعدهم، وإنّها لمسؤولية عظمى ومهمّة جدّاً لكلّ خطيب.

نعم، إنّ الخطابات الصائبة والناجعة كانت وما زالت لكلّ مَن أخذ وتعلّم التوحيد والمعاد من أنبياء الله تعالى، وإنّهم لفي درجة رفيعة تلي درجة الأنبياء عليهم السلام؛

(١) الأعراف: آية٨٥.
(٢) الأعراف: آية٦٥.

لذا يعبّر عنهم رسول الرحمةﷺ بـ: «**العالم في قومه كالنبي في أُمّته**»[1]، فالعلماء الخطباء في طول أنبياء الله تعالى، رحماء بالناس في تعاملهم، موقظون لهم بخطاباتهم، حافظون لدين الله وحدوده، يُثيرون في النفوس روح الكبح للقبائح والآثام، وهذا ما دفع الكثير من الناس نحو باب التوبة بعد استنشاق نسيم الخطابات الإلهية التي كانوا يلقونها بإخلاص.

إذاً؛ فإذا أردنا خطابةً ناجحةً ومؤثّرة ما علينا إلّا أن نسلك مسلك الأنبياءعليهم السلام، ونسير بمسار خطاباتهم النيّرة. فالخطيب الناجح هو مَن تمتّع بما كان يتمتّع به الأنبياءعليهم السلام، من إيمان راسخ، وعملٍ صالح، وأخلاقٍ حسنة ـ وبالطبع كلٌّ على قدر طاقته وسعة وجوده ـ فعندما يتحدّث الخطيب تلوح علائم الإيمان على كلماته، وتظهر أمواج حرقة قلبه وتوجّعه على خطاباته.

وكلّما كان الخطيب يتمتّع بالحسن الفاعلي والحسن الفعلي ـ حسب تعبير العلماء ـ وكانت خطابته ثمرةً لعمله، ونتيجةً لمعرفته وذكائه وعطفه ورحمته، ترك الأثر العميق في النفوس، والبصمة الخالدة في الأرواح؛ لذا نرى الخطابة قد حفظت أهل الإيمان في كلّ الأدوار الزمنية، وأوصلتهم إلى درجةٍ عالية من المعرفة الدينية، والقيم الأخلاقية، والخطابة هي التي أيقظت العقول، وأزالت الغفلة، وأوجدت الشجاعة أمام العدوان.

وقد أكّد الرسولﷺ على أهميّة الخطابة والتبليغ الديني كثيراً، فكان يبعث أصحابه لممارسة التبليغ، ويولي ذلك اهتماماً بالغاً، فنراه يبعث أكبر خطيبٍ في حكومته، والأمير الأعظم في جيشه، أمير المؤمنينعليه السلام، ويأمره بإبلاغ الدين لأهل اليمن ـ التي كانت

(١) الآلوسي، محمود بن عبد الله، تفسير روح المعاني: ج٢٦، ص١٤٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد، تاريخ ابن خلدون: ج١، ص٣٢٥. عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة: ج٤، هامش ص٣٦. وجاء عن رسول اللهﷺ: «الشيخ في أهله كالنبي في أُمّته». المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٢، ص١٣٧.

تبعد ما يقارب الألفي كيلو متر عن المدينة ـ ويقوم الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه ويودّعه ماشياً حتّى أطراف المدينة، وما فعل ذلك إلّا احتراماً للمهمّة الموكلة إليه، قائلاً له في آخر لحظات الوداع، مؤكّداً على أهميّة الخطابة وآثارها المعنوية في الخطيب، بغض النظر عمّا تتركه من أثر في السامع: «**يا عليّ، لا تقاتلنّ أحداً حتّى تدعوه، وأيم الله، لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا عليّ**»[1].

وفي المقابل كان للإسلام أعداء يتمتّعون بفنّ الخطابة، وحسن البيان، عقيدتهم الكفر والإلحاد، والفسق والفجور، والإباحية المطلقة، وأمثال أُولئك الخطباء يتواجدون اليوم، وسيتواجدون في المستقبل أيضاً، يغرّون الناس بفنّ خطابهم، ويأسرون العقول بمغرياتهم، ويبعدون المجتمع عن الثقافة الدينية، ويهيئون الأرضية اللازمة لجرفه نحو الثقافة الشيطانية.

كما أنّ هناك فئة من الخطباء غير هاتين الفئتين اللتين مرّ ذكرهما، وهي الفئة التي ظهرت بقناع الإسلام والإيمان، وهم يتمتّعون بفنّ البيان، لكنّهم بضرر الدين والإسلام.

س: إنّ للمنبر مكانة مقدّسة عند المسلمين، خاصّة الشيعة؛ إذ يولون الاحترام له، ويكنّون التوقير لـمَن يرتقيه، وما ذلك إلّا لاعتقادهم أنّ ما يُطرح على المنبر مصدره الوحي الإلهي، ومَن يعتقد بالتعاليم الدينية والقيم الإلهية فسوف يأخذ كلّ ما يسمعه من هذا المقام الإعلامي، ويتقبّله برحابة صدر، ويظهر التزامه بما سمعه على قوله وسلوكه. فماذا يجب فعله كي تبقى قدسية المنبر خالدة، ويبقى المنبر ذا مقام رفيع في القلوب أوّلاً؟ وعند الأجيال ثانياً؟ وماذا ينبغي فعله للحيلولة دون وصول الإساءة والأذى إلى روضته الرفيعة؟

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص٣٦١. الحلّي، ورّام بن أبي فارس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام): ج٢، ص٥٩٦.

ج: هناك أمران عظيمان عند الشيعة لجذب المجتمع نحو المنبر والخطابة، وهما:

١ـ الأزمنة المرتبطة بالله تعالى: وهي أزمنة خاصّة للعبادة، كشهر رمضان المبارك؛ لأنّها فصول عبادة لها جاذبية معنوية، توجِد في الإنسان محفّزاً للحضور تحت المنابر والسماع للخطب الدينية.

وقد أكّد أهل البيت عليهم السلام فضيلة هذا الشهر الشريف قبل ما يقارب الألف وخمسين سنة، وألقى الخطباء على الناس الكثير من الخطب التي تبيّن عظمة شهر رمضان مستفيضةً من الآيات والروايات، ومؤكّدةً أهميّة الارتباط بالله تعالى والإقبال على عبادته، وما لهذا الشهر من آثار؛ لذا نرى أنّ جميع طبقات المجتمع يحضرون المنابر والخطب في هذا الشهر، ويبدون رغبتهم في ذلك. ولم يكن هذا بالأمر الجديد بين الوسط الشيعي، بل منذُ سنين طوال وهم على هذا المنوال.

وقد أثبتت الشواهد احترام جميع المسلمين لهذا الشهر على شتّى طبقاتهم المعرفية والثقافية؛ إذ يسعى الجميع إلى عدم اقتراف الذنوب والمعاصي خلال الثلاثين يوماً المباركة، فنرى المذنبين كذلك يحضرون مجالس الذكر، ويسمعون الخطب، ولعلّ ذلك يكون أرضية مناسبة تدفعهم نحو الاستغفار والتوفيق للتوبة.

لقد امتاز شهر رمضان من بين بقية شهور السنة، بأنّه شهر الله تعالى، شهر العبادة، الشهر الذي يروي الظمأ الروحي، والعطش المعنوي، فمَن يشعر بهذا العطش الفطري يسعى للارتواء من منهل الرحمة الربانية في هذا الشهر، سواء بالحضور في المساجد، أم بسماع مواعظ الخطباء، أم بإحياء ليالي القدر، أم بمناجاة ربٍّ أرخى ستار رحمته وغفرانه. أجل، إنّ لهذا الشهر جاذبية عظمى، يمكننا أن نستفيد منها في تقوية المنبر والخطابة.

٢ـ الأمر الآخر ـ أو الجاذبية الأُخرى التي يمتلكها الشيعة ـ هي عاشوراء، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، وبرأيي أنّنا طوال الألف والخمسمائة سنة لم نستفد من جاذبية عاشوراء كما ينبغي، إنّني رأيت في الروايات أنّ الله تعالى، ورسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير

المؤمنين عليه السلام، والسيّدة الزهراء عليها السلام، بل وكلّ الأئمّة عليهم السلام، حتّى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قد أكّدوا كثيراً على جاذبيتها ووقعها في النفوس.

إنّ يوم استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام ذلك القائد العظيم، لا يقلّ عن شهر رمضان المبارك في أهمّية استشهاره، فقد كانت مصيبته عليه السلام على مرّ التاريخ سبباً لحضور الشيعة في المراكز الدينية، يقيمون العزاء، ويحيون ذكرى المصاب، ويستقبلون الخطب والمحاضرات الدينية، وهذه معجزة عظيمة يمكننا أن نغتنمها لجذب الناس نحو المنبر والخطابة؛ وهذا ما أراده الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وبذلوا جلّ اهتمامهم لإحياء ذكرى مصاب سيّد الشهداء عليه السلام.

إنّ لأئمّتنا الأطهار الأجر العظيم والثواب الجزيل على ما أولوه من أهميّة لإحياء ثورة عاشوراء، إنّهم حقّاً المنظِّرون العِظام، الذين لم يبرحوا تصميم هذه الواقعة المصيرية وتنظيمها وإحيائها بكلّ اعتزاز. وقد نُظِّم العزاء على أبي عبد الله عليه السلام بطرق عدّة، وهي:

١ـ المديح: المراد به كلام بعض الوجوه أو الشخصيات العظيمة، كالسيّد الحميري[١]، ودعبل الخزاعي[٢]، وغيرهم من الشعراء، الذين عاصروا الأئمّة عليهم السلام، وخلّدوا تلك الواقعة الأليمة بأشعارهم الملحمية والعرفانية؛ وببلاغتهم الحكيمة، وأدبهم الرفيع، أوجدوا علقةً وثيقةً بين الناس وبين سيّد الشهداء عليه السلام.

ولقد ساعدت هذه العلقة والرابطة كثيراً ـ فضلاً عن إشراقة نور الإمام الحسين عليه السلام في قلوب محبّيه ـ في يقظة الشعوب، وجعلتهم يتنفّسون عبق الشهادة، ويعيشون روح المبارزة ومواجهة العدو مهما بلغت الكلفة.

(١) أبو هاشم ـ أو أبو عامر ـ إسماعيل بن قاسم الحميري (١٠٥ ـ ١٧٣ هـ.ق)، الملقّب بالسيّد، من أشجع شعراء الشيعة الذين عُرفوا بالولاء والوفاء لأهل البيت عليهم السلام.

(٢) وُلد دعبل الخزاعي في السنة (١٨ من الهجرة)، في أُسرة عُرفت بالعلم والأدب، عاصر تسعاً من الخلفاء العباسيين، كما عُرف بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

وقد استفاد الإمام الخميني رحمه الله من جاذبية سيّد الشهداء عليه السلام؛ لأجل إيجاد روح الثورة، ولأجل تحريك الأمواج البشرية للوقوف بوجه الظالم، فشيّد صرح الثورة بحمى الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وبالأدب الشيعي الذي ما برحوا عليهم السلام يؤكّدون عليه، والذي يصفه العلماء بأنّه أوقع في النفوس.

لقد كان لشعراء الشيعة بما فيهم شعراء بلاد فارس، الدور الكبير في إحياء عاشوراء وبقاء ثوريتها؛ إذ قدّموا أشعاراً حكيمةً في أرقى الأُطر الأدبية، فهذا المرحوم محتشم الكاشاني[1]، وهو أوّل مَن أنشد في الإمام الحسين عليه السلام باللغة الفارسية أشعاراً، أصحبت من المعلّقات الدائمة في ستائر العزاء الحسيني منذُ زمن الصفوية، وسمّيت العملة والسبائك باسمه تمجيداً له، ولم تقلّ أبيات الحاج سليمان البيكدلي الكاشاني[2] في رثاء أبي عبد الله عليه السلام عن أشعار المحتشم الكاشاني، لكن يبقى الفضل لـمَن سبق.

وقد ارتقى هذا البناء بسلامةٍ إلى الأعلى، وذلك بفضل شعرائه وعلمهم وحكمتهم، فقد وصلوا إلى درجة في شعرهم يغبطهم عليها الآخرون؛ لذا يقول صاحب كتاب الجواهر للشيخ كاظم الأزري: «**إنّني مستعد أن أُعطي كلّ كتاب الجواهر، الذي استغرق تدوينه خمسين سنة، في مقابل ثواب شعر واحد أُنشد في أهل البيت عليهم السلام**».

٢ـ بيان العلوم الإسلامية: لمّا رأى العلماء ـ المنظّرون من بعد الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ الإقبال على عزاء الإمام الحسين عليه السلام، استثمروا هذه الطاقة الجبارة في بيان أحكام الشريعة الإسلامية، وبيان العقيدة الحقّة، وبسط المسائل الأخلاقية. ولهذه الطريقة

(١) شمس الشعراء كمال الدين المحتشم الكاشاني بن الخواجة مير أحمد، من الأُسر الغنيّة في كاشان، وُلد في سنة (٩٠٥هـ.ق).

(٢) الحاج سليمان البيكدلي الكاشاني، المعروف بصباح البيكدلي، من شعراء القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر.

جذور قديمة لا أعلم تاريخ بدئها تحديداً، إلّا أنّها وسيلة ناجحة في ترشيد هذا الحضور الواسع، وسوقه نحو النتائج الأفضل، فقد أُودعت جلسات العزاء في إيران بأيدي علماء الدين الحكماء؛ لبيان أُصول الدين وفروعه، وإيصالها إلى الناس، وطرح المحاضرات العلمية البنّاءة، وعدم ملء وقت العزاء بالشعر والمراثي فقط.

مورست هذه الطريقة في طهران قبل ثلاثين أو أربعين سنة، وقد شاهدت بأُمّ عيني هذه العملية التبليغية الناجحة، لما فيها من تنوّع في المناسبات الدينية التي تختصّ بالأئمّة الأطهار عليهم السلام، كالأيام الفاطمية، والرجبية، والصادقية، فالمراسم الصادقية كانت من إبداعات المرحوم آية الله الكاشاني، والفاطمية والرجبية وأيّام العزاء على السيّدة زينب عليها السلام من إبداعات المرحوم الحاج الشيخ علي أكبر برهان، وهو من الأساتذة والعلماء الكبار في طهران، كما تعدّ أعياد (١٥) شعبان، و(١٣) رجب من إبداعاته أيضاً.

عندما رأى المسؤولون في طهران إقبال الناس على مجالس العزاء والاحتفالات الدينية، وشاهدوا أنّ الناس يحضرونها دون دعوة أو كلفة، ويملؤون المجالس والمساجد والحسينيات، سعوا إلى دعوة خطيب ذي تجربة بالحوزة العلمية، من أهل العلم والتقوى والعرفان؛ كي يكون له الأثر المطلوب في بيان أُصول الدين وفقه الشريعة، من أمثال الواعظ الكبير الحاج مقدّس[1]، الذي كان على درجةٍ من الورع والتقوى، إنسان متّزن متخلّق بالأخلاق الرفيعة.

كان الحاج مقدّس يشترط أو يُقسم على صاحب المجلس، أو القيِّم على المسجد أن يعطيه أجراً دون مراعاة المكانة الاجتماعية وما شابهها، وأن ينوي الأجر إلى ما دون المنبر، ولا يدخل أجر المنبر في النية.

إنّ الخطباء والوعّاظ الذين رأيتهم كانوا حقّاً وجوهاً من العلم والمعرفة ـ وجوهاً شاخصة من العرفان الشيعي، وليس التصوّف الخانقاهي (الديري) ـ كانوا أحياناً

(١) بمعنى: أن لقبه كان (مقدّس).

يبكون على المنبر أكثر من المستمعين؛ وذلك أثناء بيانهم للموعظة، وذكرهم لمصائب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كالسيّد حسن اللواساني، ذلك الرجل العظيم كان يبكي كثيراً في محاضراته، عندما يتلو آيات المعاد من الأجزاء (٢٧) إلى (٣٠) من القرآن الكريم. وإنّ ذلك لدليل على أنّ القائل يرى نفسه في محضر إلهي، ويرى نفسه في يوم القيامة.

إنّ مثل هؤلاء الشخصيات البارزة في مجال العلم والتقوى، من المحال أن يذكروا للناس ما ليس من الدين، أو يُلقوا على المنابر أُموراً غريبة باسم الدين؛ كانوا يعتمدون على القرآن وكلام أهل البيت عليهم السلام، ويجعلونهما المحور الأساسي في خطاباتهم، وهذه هي وصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي**»[1].

٣ـ بيان الأحكام الشرعية: من الأعراف الجذّابة والقيّمة التي كان يعتمدها أكثر الوعّاظ والخطباء السابقين، هي البيان الجميل لمسألة أو مسألتين من المسائل الشرعية قبل الشروع في الخطابة، بمعنى أنّهم كانوا يتحدّثون عن فروع الدين وعن أُصوله أيضاً؛ لذا فإنّ مَن تربّوا تحت تلك المنابر أصبحت لديهم معرفة كبيرة بأُصول الدين وفروعه، وأصبحوا أُناساً واعين مدركين لتعاليم دينهم.

ولم يقتصر ذلك على فئة من الناس، بل حتّى الكسبة وأهل التجارة كانوا يحضرون تلك المجالس، ويتعلّمون منها الكثير من تعاليم الدين، إلى درجة أنّه كانوا يلقبونهم بالفقهاء التجّار ـ فمن باب المثال كانوا يسمّون أبي (فقيه التجّار) ـ وكان أُولئك التجّار يجلسون عند أبواب محلات بيعهم، ويجيبون مَن يسألهم عن المسائل الشرعية.

٤ـ المباحث الأخلاقية: لقد كان كبارنا يشعرون بالتكليف إزاء تربية الناس تربيةً إسلامية، وإنّ هذا الشعور بالتكليف كان في زمن لم يكن فيه للذنوب والمعاصي

(١) النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج٧، ص٢٥٥.

رواج كما هي اليوم؛ إذ لم يكن آنذاك للفضائيات وجود، ولا للمواقع الإلكترونية، ولا للمجلات، ولا للأفلام المبتذلة، ولا للسينما الهوليودية أيّ وجود.

نعم، كانت بعض المعاصي تقترف هنا وهناك، لكن مع ذلك كان علماؤنا يشعرون بالتكليف والمسؤولية إزاء المجتمع، بأن لا يتلوث بالذنوب والمساوئ؛ لذا كانوا يرتقون المنابر، ويحذرون الناس وينذرونهم من الذنوب وعواقبها الوخيمة، وتاريخ إصفهان لخمسين سنة قبلُ، يشهد بأنّ القسم الأكبر من محاريب مساجد تلك المدينة، كان بعهدة المجتهدين الأعلام، فكان إمام الجماعة مجتهداً، وكان يرتقي المنبر كلّ ليلة، ويبيّن للناس مسألتين شرعيتين على الأقل.

المرحوم نجف آبادي ـ الذي يراه بعضٌ من البارزين الذين يقعون في دائرة الأعلمية للفقهاء الكبار ـ كان يصعد المنبر في المساجد والمنازل، وكذا المرحوم آية الله البروجردي كان يرتقي المنبر ويمارس الخطابة في بروجرد لثلاثين سنة؛ لذا حينما سأله أحد الأشخاص: يا سيّد، هل كنت تقرأ على الحسين عليه السلام عندما تصعد المنبر؟ أجاب: نعم، ويا له من عزاء!

إنّ علماءنا استفادوا جيّداً من الخطابة لجذب الناس نحو سيّد الشهداء عليه السلام، لكنّنا اليوم لم نستفد من هذه الجاذبية والارتباط بالنحو المطلوب، وبرأيي أنّ هذا يرجع إلى قلّة المنابر الغنيّة العارفة بأهل البيت عليهم السلام، قلّة المنابر من ذوي العلم والعرفان والحكمة. نعم، إنّ ما يحول دون جذب الناس نحو الحسين عليه السلام، هو قلّة المنابر من أهل الحالة المعنوية والبكاء.

جلسات عزائنا ليست غنيّة كما في السابق، في حين ينبغي أن تكون اليوم أغنى وأكثر من السابق بأضعاف، كان أكثر المنبريين محدِّثين سابقاً، وكانوا على معرفة عميقة بثقافة أهل البيت عليهم السلام، ومن الشخصيات العظيمة، أمثال الشيخ عباس القمي وغيره، كانوا يرتقون المنابر، ويمارسون الخطابة.

سمعت من تلامذة المرجع الكبير المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري، أنّ الشيخ عبد الكريم الحائري كان يدعو الشيخ عباس القمي للصحن الصغير في حرم السيّدة معصومة عليها السلام؛ كي يؤمّ الجماعة، ويصعد المنبر، ويلقي على الناس وعلى طلبة العلم خُطباً قيّمة لعشر ليالٍ متتالية بعد صلاة المغرب والعشاء، وكان الحاج الشيخ الحائري يجلس تحت منبره في طوال لياليه العشر. سأل أحد الفضلاء الشيخ عبد الكريم ذات يوم: كيف رأيت منبر الشيخ عباس؟ فأجاب: إنّني مستعد أن أقتدي بصلاتي الواجبة لثلاثة أيّام بطلبة العلم الذين يحضرون منبر الشيخ القمي؛ لأنّ منبره يصنع العدول.

نعم، هكذا كانت المنابر، وهكذا كان المنبريون، كان أكثرهم محدِّثين يحفظون الكثير من الروايات، ولهم معرفة عميقة بمدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ لذا كان لحديثهم ولخطابهم الأثر البالغ في النفوس. كان أحد الخطباء في مدينة قم يحفظ ألف رواية، وكان أحد الخطباء في طهران يختزن في ذهنه مقداراً كبيراً من كتاب أُصول الكافي، من أمثال المرحوم السيّد إسماعيل شفيعي، الذي كان يظنّ السامع أنّه حفظ الأحاديث كما تُحفظ آيات القرآن، كانوا أُناساً مؤثِّرين حقّاً، خاصّة أنّهم عاصروا الاضطرابات والتشنّجات التي مارسها القاجاريون ضدّ الدين، والحملات التي لم يسبق لها مثيل، والتي شنّها رضا خان ضدّ المذهب، وضدّ الثقافة الدينية بصورة عامّة.

إنّ منابر تلكم الصفوة حفظت دين الناس، وحفظت مجالس أبي عبد الله عليه السلام، وجعلتها إرثاً، بل تراثاً للأجيال، حتّى وصل الحال إلى الثورة الإسلامية. إنّ أصحاب تلك المنابر كانوا على معرفة تامّة بما يقوم به رضا شاه من جرائم؛ لذا ما برحوا ينقلون تلك الممارسات الإجرامية إلى الناس، ويحكون لهم ما رأوه من ظلمٍ وتعسّف؛ كانوا يقصّون قصص الاضطهاد التي قام بها محمّد رضا بهلوي في سنة (١٣٤٢هـ) للأجيال، وبذلك هيأوا الأرضية لإسقاط الجهاز الحاكم.

لقد استفاد الإمام الخميني رحمه الله من هذه اليقظة، وهذه الأرضيات التي تهيّأت من مجالس سيّد الشهداء عليه السلام، وقام ضدّ النظام البهلوي، وساعده الشعب في ثورته، وتكاتف معه على الصُّعد كافّة؛ لأنّهم كانوا على أشدّ الغضب من جنايات النظام البهلوي.

س: من الواضح أنّ المحافظة على المكانة المقدّسة والمضيئة والهادية والمنيرة والمكافحة للخرافات في المنابر كان عملاً صعباً للغاية، وكان يحتاج إلى بصيرة ودقّة ووعي، وسعي وجدٍّ ومثابرة، تتلاءم مع اقتضاء الزمان، كما كان يتطلّب معرفة عميقة، وهذا ما كان عند حماة الدين الذين قاموا بوعي تام لمكافحة الظلمات، بما فيها الآفات المدمّرة للمنبر، برأيكم مَن هو المسؤول؟ وأيّ جهةٍ يجب أن تتصدّى بوعي، لتحفظ المكانة المقدّسة للمنابر؟ وتقوم بتربية الطاقات المقتدرة والواعية؛ كي تحفظ هذه الوسيلة الإعلامية، وتوصلها إلى الأجيال، وليبقى المنبر مشعلاً منيراً للهداية؟

ج: من المؤسف أنّنا نرى في العشرين سنة الماضية ظهور مادّية بعض المنبريين، ولعلّه في بادئ الأمر لم تكن نيّتهم بهذه الصورة، لكنّهم عندما أتوا وارتدوا الزيّ المقدّس لرجال الدين، وارتقوا المنابر في شهر رمضان، ثمّ في العشرة الأُولى من المحرّم، وغيرها من المناسبات، ورأوا إقبال عامّة الناس عليهم، وما يولونهم من أدب واحترام، وبما أنّ إيمان بعضهم متزلزل لم تتوفّر لديهم الظرفية اللازمة لهذا الاحترام، ولم يكونوا أهلاً له، اتخذوا المنبر وسيلة للوصول إلى الرغبات الدنيوية، وقد نهى الإمام الباقر عليه السلام عن أن يُستأكل بهم عليهم السلام[1]، بمعنى أنّ الذين اتّخذوا الدين الإلهي والأئمّة الأطهار عليهم السلام وسيلةً لدنياهم وبطونهم، وانتشروا في المدن ـ مع أنّ أغلب الناس لم يكونوا أهل استدلال وبرهان ـ هذه الفئة من المنبريين قد استغلت الوضع بنقل الأحلام والأحاديث الموهومة في خطبهم.

(١) قال الإمام الباقر عليه السلام لأبي ربيع الشامي: «لا تطلبن الرئاسة، ولا تكن ذئباً، ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٩٨.

لقد قسّم القرآن الكريم مسألة الخطابة على ثلاث مراحل بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]. وهذه المراحل عبارة عن: الاستدلال العقلي، أو الموعظة الحسنة، أو المجادلة المنطقية مع مَن هم أهل للمجادلة، ويمثل تسعون بالمائة من الناس يألفون الموعظة ويتأثرون بها، فالموعظة الحسنة هي الأكثر رواجاً بين الناس.

إنّ المنابر الضعيفة هي التي أبعدت البشر المثقّف من الطلبة الجامعيين وأمثالهم من المنابر، وأبعدت الشباب الواعي من الحضور في المساجد، إنّ هذه الفئة تركت الحضور في المجالس الدينية؛ لأنّها سمعت من المنابر تعاليم دينية لا تتلاءم مع العقل السليم، ومع ما أخذوه من أهل العلم.

لذا عُدنا نفتقد حضور الفئة العالمة في المجتمع عند المنابر، تلك الفئة التي كنّا نشاهدها سابقاً في المجالس، وخسرتها مجالسنا، وسقطت بأيدي المنشدين، الذين يقرأون العزاء بنغماتٍ غير مناسبة مستفيدين من الموسيقى المحلّية أو الأجنبية.

لقد بيّنت في إحدى المحاضرات أنّ وظيفة الحوزة العلمية إقصاء الأُمّيين عن المنابر، وأن تقوم ـ في المقابل ـ بتشجيعهم على الحضور في الحوزات العلمية في مدنهم، ثمّ تقوم الجهات المختصّة في الحوزة باختبارهم، ثمّ تمنحهم إجازة ارتقاء المنابر، كما كانت تعطى إجازة الرواية سابقاً.

وبعد أن تؤدّي الحوزة وظيفتها هذه ينتقل الدور إلى مديري وأئمّة الجماعات في المساجد؛ إذ يجب أن يلتفتوا إلى أنّ لديهم وظيفة ومسؤولية عظيمة، توجب عليهم أن يضعوا المنابر بين أيدي المشايخ الواعين من أهل الخبرة في الحوزات العلمية، ويمتنعوا عن دعوة المنبريين الجاهلين الأُمّيين؛ كما ينبغي لمديري المواكب الحسينية والقائمين على المساجد، أن يبحثوا عن أهل العلم والمعرفة، ويوكلوا مهمّة المنبر ورسالته إليهم.

عندما يُستفاد من المنبريين الصالحين، ومن الخطباء الواعين، سوف تخلو منابر

(١) النحل: آية ١٢٥.

المساجد والحسينيات ـ بصورة طبيعية ـ من المنابر الأُمّية الجاهلة، وهنا تبرز وظيفة الحوزات العلمية في جميع محافظات البلاد في شحذ الهمم؛ لأجل ملء هذا الفراغ وسدّ هذا النقص.

برأيي أنّ سدّ هذا النقص يتمّ بتقبّل رجال الدين في الحوزات لهذه المسؤولية، وتصديهم لإدارة المنابر في مدنهم، وتشجيع حوزات مدنهم على تدريب المنبريّين وتعليم فنّ الخطابة، وبذلك يستطيعون أن يسدّوا هذا النقص، ويرفعوا هذا الخلل.

كما على الحوزات العلمية في مدينة قم أن تقوم بإحصائية دقيقة لمنابر المساجد والحسينيات والمواكب في إيران، وتبحث عن النقص والحاجة، فتربّي منبريّين وفقاً للمتطلّبات المحلّية، وتقوم بتعريفهم للمراكز الدينية، ويزودون مديري المساجد والحسينيات بملازم تحتوي على خصائص رجال الدين وكفاءاتهم في رفع ما يتطلّبه المجتمع.

إنّ هذا العمل يعني ترشيد عملية التبليغ الديني، وهذا الأمر لا يمكن إلّا بوساطة الحوزة العلمية، ومساعدة العلماء الكبار؛ لأنّ لديهم القدرة المعنوية والسياسية للدولة، وبهذه الوسيلة يمكننا أن نحول دون اتساع دائرة المخاطر التي حلّت بالمنبر الشيعي، ومعالجة التبعات والآثار التي تركتها، فعندما يتسلّط غير المتخصّصين على روح الدين وعلى أفكار المجتمع، سيشكّل ذلك خطراً جسيماً، وهذا أمر طبيعي.

لعلّ هذه الفئة من المنبريّين غير المؤهّلين لم يكن تصرفهم هذا عن عمدٍ، ولكن على أيّة حال كان لأعمالهم آثار سلبية ملحوظة لا يمكن غض النظر عنها، وقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام ضرر الكذّابين على الأئمّة عليهم السلام من أجل حطام الدنيا، بقوله: «**ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا، فيتعلّمون بعض علومنا الصحيحة، فيتوجّهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصّابنا، ثمّ يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا، التي نحن براء منها، فيقبله المستسلمون من شيعتنا على أنّه من علومنا، فضلّوا وأضلّوا وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد (عليه اللعنة) على الحسين**

بن علي عليهما السلام وأصحابه؛ فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال»[1]. ولخطورة ما يقوم به هذا الصنف من الناس فقد اعتبر الإمام الرضا عليه السلام ضررهم على الشيعة أكثر من ظلم جيش يزيد (عليه اللعنة) على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه؛ لأنهم ينهبون الأرواح والأموال أيضاً.

إنّ جيش يزيد دمّر جسد الحسين عليه السلام وأجساد أصحابه وأبنائه، وكذلك مَن يستغلّون المنبر للكذب والتهريج، وبث الخرافات بين الناس، الذين استولوا على روح الدين، وعلى أفكار المجتمع، دمّروا العقل والفطرة والدين والمذهب، وذهبوا بإيمان الناس؛ ذلك بإلقائهم لدينٍ أخرجوه من عند أنفسهم، ولم ينزل الله به من سلطان.

إنّ مثل هذه النماذج من المنابر والخطب عندما كان يسمعها آية الله الحاج ميرزا جواد التبريزي من التلفاز ينتقدها في درسه، ويضرب على رأسه من الغضب، وينتقد الإذاعة والتلفزيون بلحنٍ حادّ على بثّها.

إنّني ذات مرّة رأيت مدير الإذاعة والتلفزيون في بيت المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، قلت له: اجلس ولو لمرّة واحدة واستمع لما تبثّونه في التلفاز من خطب وبرامج، لأجل معرفة الواهن منها الذي لا يفيد المجتمع، ولا يصلح للبثّ على التلفاز.

ولذا لا بدّ من السعي من قبل الجهات الدينية المختصّة ـ وبمساعدة القيادة الحكيمة للثورة ـ إلى القيام ودون مجاملة بتطهير وترشيد هذه الوسيلة الإعلامية للتشيّع، وخاصّة في هذا الزمن.

س: لقد ربّى الإسلام في أحضانه خطباء كباراً جدّاً، حاذقين بارعين، مؤثّرين في النفوس، عاشوا في أوساط المجتمع؛ كي يستفيدوا من هذا الفنّ في هداية الناس، ويصنعوا في النفوس ثوراتٍ روحية ساقت القلوب نحو الكمال المطلوب، وكان على

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص٨٨. اُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٦٤.

رأس هذا الهرم المقدّس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ اقتفى أثرهما أكثر الخطباء، وساروا على شعاع نور التعاليم الإسلامية التي كانا يلقيانها على الناس، واقتدوا بهما سائرين على الطريقة المثلى؛ ليوصلوا للبشرية الإسلام الأصيل، وليجسّدوا الدين المحمّدي، ورسالته الغرّاء، ويحافظوا عليه من الآفات والخرافات في مقاطع مختلفة من الزمن.

إنّ المجتمع الإسلامي في هذا العصر بحاجة ماسّة إلى خطباء متّقين مؤمنين من أهل المعرفة بالرسالات والتعاليم الدينية، عالمين بأُمور زمانهم، ومؤثّرين في النفوس. برأي جنابكم الكريم أيّ طريقٍ يجب أن يُسلك، وأيّ برامج تعليمية وتربوية يجب أن تُتّبع؛ كي يحصل المجتمع على خطباء من هذا النوع؟

ج: هناك ثلاثة أُمور يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار:

أوّلاً: أنّ طلبة العلوم الدينية ما داموا منشغلين بالدرس والبحث، سوف لا يتوفّر لديهم الوقت الكافي للحضور عند المنابر الجيّدة والاقتداء بالخطباء الحكماء كالشهيد مطهّري، والمرحوم فلسفي، والمرحوم الراشد،؛ لذا يجب وضع برنامج خاص، بأن تجعل أشرطة الخطابات الجيّدة في تحت تصرف طلّاب الحوزة؛ ليسمعوها بشكلٍ منتظم، ثمّ تحديد أوقات لاختبارهم بما تحتويه تلك الأشرطة من تعاليم ومطالب علمية، كما هي الطريقة المتّبعة في الكتب الدرسية، بمعنى أن تطرح أسئلة من الأشرطة نفسها؛ كي يُختبر الطلّاب بما سمعوه؛ حتّى ترتفع هذه الحاجة في المجتمع بوجود المبلّغين الناجحين والكفوئين.

ثانياً: أن يتمّ التعريف بالكتب القيّمة والمفيدة؛ كي يطالعها الطالب بدقّة فيتهيّأ للخطابة؛ من قبيل المحجّة البيضاء للفيض الكاشاني، فإنّه كتاب بنّاء ومفيد للخطابة والمنبر. وقد رأيت السيّد حسين علي الراشد ابن المرحوم الملا عباس التربتي ـ وهو من الخطباء المشهورين الذين بُثّت خطاباتهم في الراديو لخمس وعشرين سنة في كلّ ليلة جمعة ـ كان يعتمد كثيراً على كتاب المحجّة البيضاء في خطبه دون تكرار. أقول هذا لأنّني طالعت الكثير من خطبه، كان يأخذ نصف صفحة من كتاب المحجّة، فيتعمّق في

مطالبه جيّداً، ويلقيها بلسانٍ جديد وبلغة العصر، فكان لها التأثير الكبير في المستمعين، إذاً؛ من الضروري التعريف بالمصادر التي ينبغي مراجعتها واعتمادها في المنبر.

ثالثاً: التمرين، بمعنى أن يقوم طلّاب العلوم الدينية بعد استماعهم لأشرطة الخطب الجيّدة بالممارسة والتدريب على الطريقة المتلقّاة، فيُدعى مَن يمتلك فنّ الخطابة، وتتوفّر فيه الشروط اللازمة للخطابة من أهل الإيمان والعلم والتجربة في هذا الميدان، في حضور ما يقارب المائة وعشرين طالباً، فيرتقي بعض الطلبة المنبر، وبعد كلّ محاضرة يُتاح لبقية الطلبة أن يعرضوا انتقاداتهم على المحاضرة بصورة منطقية طبقاً للأدلّة، ثمّ يرتقي أحد المتخصّصين المدعوّين المنبرَ، ويتحدّث ما يقارب العشرين دقيقة؛ ليعرض رأيه ووجهة نظره حول المحاضرات التي أُلقيت.

إنّ برنامجاً كهذا ضروري لتربية المنابر المطلوبة والمؤثّرة، يجب أن تزاول التربية المنبرية، وتسير في الطريق الصحيح، وإلّا فسينشأ طلبة العلوم الدينية خطباء من عند أنفسهم، وسوف نرى حتّى مَن له القدرة والفن ـ من أهل العلم والتحقيق ـ غير قادر على تقديم خطابة مفيدة، ومنبر جيّد ذي أُسلوبٍ قويم، بل سوف يعجز عن اختيار عنوان لمحاضراته يكون مناسباً وضرورياً للمجتمع.

س: من المشهور في بلدنا ـ بل وبين المسلمين جميعاً ـ أنّ المنبر قائم على عزاء الإمام الحسين عليه السلام، لكننا ـ مع الأسف ـ نرى أنّ المنابر والخطب بعيدة عن الروح الثورية للإمام الحسين عليه السلام، بل إنّ بعضها خلاف ما أرادته النهضة الحسينية، كما أنّ بعض الخطباء يفسّر الثورة الحسينية بما يهوى له، ويزيدها خرافات وأقاويل خاطئة.

برأي جنابكم الموقّر ما الذي يجب فعله، وما هي الطريقة التي يجب أن تُتّبع؛ كي تشحن الخطابات بالحماس والشغف الحسيني، وتبتعد عن الآفات والتفسيرات الخاطئة؟

ج: لقد توصّلت قبل سنتين إلى أمرٍ مهم ـ وإن كان وصولي إليه متأخراً للغاية، وكان ينبغي أن أصل إليه أسرع ـ وهو أنّني كنت أتساءل: مَن يستطيع أن يوصل لنا هدف سيّد الشهداء عليه السلام من ثورته الربّانية؛ كي نستطيع نحن أن ننقله إلى الناس

بالصورة المطلوبة؟ حقّاً أيّ مصدر، وأيّ إنسان، يستطيع أن يوضّح لنا بشكلٍ جيّد ذلك الهدف العظيم، وتلك الثورة المقدّسة؟

إنّني توصّلت قبل سنتين إلى هذه النتيجة: ليس لأحدٍ أن يوصل لنا ثورة عاشوراء بكلّ جوانبها من أسبابٍ وأهداف سوى صاحبها وقائدها الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك من خلال وصيّته التي يكتبها في أوائل سفره، ويسلّمها لمحمّد بن الحنفية، ومن خلال الشهور التي عاشها قبل سفره إلى كربلاء، ومن خلال خطاباته بين المدينة ومكّة، والخطب التي ألقاها في مكّة، والرسائل التي كتبها وهو في طريقه من مكّة إلى الكوفة، والخطابات التي ألقاها في ذلك الطريق، وكذا خطاباته في الثمانية أيّام، عند محاصرة جيش الحرّ بن يزيد الرياحي له عليه السلام، وخطبته في ليلة عاشوراء التي تعدّ من أروع خطاباته، وخطبته الملحمية في يوم عاشوراء، وأراجيزه عليه السلام وأراجيز أهل بيته وأصحابه، فجميع تلك الأُمور تبيِّن لنا ما احتوته ثورة عاشوراء، وتكشف عن زوايا تلك الملحمة العظيمة وأهدافها وغاياتها.

فإنّنا إن أردنا أن نفهم البعد الملحمي والإلهي لثورة الحسين عليه السلام، ما علينا إلّا أن نرجع إلى أحاديثه وخطبه، ونروجها بين الناس، علينا أن نوصل كلّ ما قاله الإمام الحسين عليه السلام إلى الناس، كما جاء في موسوعة الإمام الحسين عليه السلام التي قامت بتهيئتها وطبعها مؤسّسة الإمام الباقر عليه السلام، يجب أن نطالع كلّ ما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام فيها، ونوصي طلّاب الحوزة والخطباء بمطالعتها ليُبيّنوها للناس على المنابر؛ لأنّها علمية وموقظة للعقل أوّلاً، ومثيرة للحزن والبكاء ثانياً، كما أنّ لها معنوية وروحانية خاصّة.

علينا أن نستفيد في خطبنا من الحسين عليه السلام نفسه، ومن أقواله وخطبه وسلوكه يمكننا أن نرتقي المنابر، ونلقي الخطب لعشر سنين، مستفيدين من خطبه دون تكرار. إنّ الحسين عليه السلام وثورته لَأمرٌ عجيب، إنّني لسنتين أبحث في معنى (السلام عليك يا وارث آدم)، ولم أُكمل البحث فيها، وهذا يعني أنّ زيارة وارث بحدّ ذاتها لو أردنا بسطها والبحث فيها فسوف نستغرق أربع سنين أو خمساً. لقد ذكر الله تعالى

في القرآن سبع امتيازات للنبي آدم عليه السلام لقد ورثها أبو عبد الله عليه السلام بأجمعها، من تلك الامتيازات (خليفة الله)، وقد جسّد الإمام الحسين عليه السلام هذا الامتياز في كربلاء بأروع صوره، كما بيّن عليه السلام هوية الأنبياء الخمس من أُولي العزم، وثورة كربلاء تشهد وتخبر عن ذلك. إنّ ثورة عاشوراء رسمت طريق السعادة بوضوح، الطريق الذي اختطّه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام.

س: الموعظة من وظائف أهل المنبر، وهي الحديث الذي يُلين القلب ويمحو قساوته، ويوازن بين الغضب والشهوة، كما يمنع هوى النفس من الطغيان، ويمنح القلب جلاءً وصفاءً، ولا يستغني أحدٌ ما عن الموعظة، سواء كان عالماً أم لا، ولعلّ أكثر أهل العلم والفكر والسياسية في غنىً عمّا يُطرح على المنابر من مطالب علمية ومعلومات، لكنّهم لا يستغنون عن الموعظة أبداً، خاصّةً إن كانت الموعظة نابعةً من التعاليم الدينية التي تخشع لها القلوب.

برأي جنابكم الموقّر: هل حفظ أصحاب المنابر هذه المكانة بالصورة الصحيحة؟ بمعنى: هل وصلوا إلى مقام الوعظ، فتنبع الموعظة من قلوبهم، لتؤثّر في قلوب الآخرين؟ إن كان هناك ثمّة نقص في هذا المجال، ولم يؤدّ المنبر دوره بالصورة المطلوبة، فما هو الحلّ لرفع هذا النقص؟

ج: نعم، إنّ للمنبر الأثر العميق في الموعظة، لذا نرى الحكّام والأُمراء في الحكومات القديمة لإيران كالصفويين والقاجاريين، كانوا يتأثّرون بالعلماء كثيراً ـ بغض النظر عن الأُمور السياسية ـ خاصّةً في العشرة الأُولى من المحرّم؛ إذ كانوا يقيمون مجالس العزاء ويتأثّرون بمواعظ الخطباء، ولقد حالت المواعظ آنذاك دون وقوع الكثير من الظلم والطغيان.

بإمكان المنبر أن يؤدّي هذه الوظيفة، لكن بوجود طاقات علمية حكيمة، طاقات لطيفة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأهل البيت عليهم السلام، طاقات توجد وتصنع الحالات المعنوية عند الآخرين، وبحمد الله كانت هناك طاقات في السابق، فقد التقيت في الماضي

بخطباء بارعين في إصفهان وطهران، كانوا مراجع أو بمستوى المراجع، لكنّهم كانوا يتلون دعاء كميل ليالي الجمعة لجمعٍ غفير من الناس، ولقد كان لتلكم الأدعية والبرامج الدينية الأثر الروحي العميق.

إن استفدنا من القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام في النصيحة والموعظة، وصرنا في أذهان الناس أُنموذجاً لتطبيق تلك الأحاديث الشريفة، وطرحنا المواعظ بتوجّع وحرقة، فسوف يكون لمواعظنا الأثر البالغ في النفوس.

ومن المقولات التي تقع على كاهل الخطباء، هي تعليم الناس مصالح الدين والدنيا، فما هي الخصائص التي ينبغي أن تتوفّر في الخطيب في يومنا الحاضر؟ وكيف يتعامل مع هذه المهمّة؛ كي يستطيع أن يبيّن للناس مصالح دينهم ودنياهم؟

ينبغي للخطيب أن يكون عالماً وحذراً من مكائد القوى الشيطانية بمكرها وحيلها، يجيد لغة الفضائيات؛ كي يبعد عن المجتمع طواغيت العصر، ويوصل إليهم مرتبة التوحيد الأُولى (لا إله)، فإن استطاع أن يبعد الطاغوت عنهم، فسوف يمكنه إيصال مرتبة التوحيد الأُخرى، وهي (إلّا الله). وإن استطعنا أن نطوي سجل الطاغوت من أفكار المجتمع ونزرع بذور التوحيد فيه، فسوف يمكننا آنذاك أن نبيّن المصالح والمفاسد، معتمدين القرآن الكريم، كما نبيّن الأضرار الناجمة من الثقافات الأجنبية.

لديّ تجربة مع جيل الشباب، وكانت مؤثّرة للغاية، أذكر مثالاً في بيان المصالح والمفاسد: بعد أن يتعرّف المستمع على الثقافة الشيطانية، ونبيّن له الثقافة الحقّة، نبدأ بمقارنةٍ بين الثقافتين، بفعلنا هذا حاربنا الثقافة الشيطانية في داخله، لينبثق نور التوحيد في قلبه، وقد مارست هذه الطريقة، ورأيت النتيجة، فقد أرسلت إليّ بعض البنات السافرات أو المتهاونات بالحجاب ـ سواء قبل الثورة الإسلامية أم بعدها ـ بأنهنّ رجعنَ إلى الدين بفضل المنبر، وبفضل المسائل التي تمّ بيانها.

وما زال الكثير من الشباب ـ ممَّن لهم سوابق غير جيّدة ـ يرجعون إليّ، ويذكرون لي

تأثير المنبر، والمسائل التي أثرتها من القرآن الكريم، وعن أهل البيت عليهم السلام في أنفسهم، ويحكون لي ذكرياتهم العجيبة، وقد أوردت في كتاب ذكرياتي شيئاً عنهم.

س: برأي جنابكم الكريم، ما الذي حصل كي تتبدّل المواعظ على المنبر، وبيان مصالح الدين والدنيا، وبيان فلسفة قيام الإمام الحسين عليه السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وبكلمة جامعة: بيان زوايا الإسلام الأصيل وتعاليمه التي تحيي القلوب، تتبدّل إلى الكلام الواهن والخرافات والأحلام التي انشغل بها بعض أهل المنابر؟

ج: كان لكثيرٍ من أهل المحراب والمنابر بعد انتصار الثورة الإسلامية الأثر في مدنهم ومناطقهم، وبمقتضى الشعور بالحاجة ـ وهذا أمر لا يمكن إنكاره ـ حوّلوا المنبر إلى طاولة إدارة، ثمّ قاموا بأعمال تتطلّبها مصلحة الثورة الإسلامية، واستلموا بعض المناصب في الدولة، كما أنّ الكثير من المنابر الجيّدة إبّان الثورة، كانت تفتقد الفنّ في بيان الثورة وفقاً لما يقتضيه الزمن؛ مما أدّى ذلك بالشباب إلى ترك تلك المنابر، وهذا إفراط في المقام أدّى إلى تضعيف أو إقصاء بعض الشخصيات من المنابر. وما بقيَ في طهران وبعض المدن من منابر جيّدة كانت قليلة حقاً، فاستغلّ أهل المكر هذا الفراغ، ودخلوا الساحة مسرعين، قاموا بتخريب الدين، سواء كان فعلهم هذا عن جهلٍ أم عن حبّ للمال، لكن كان بعضهم ـ على يقين ـ مرتزقةً مأمورين من قبل العدو، فقد خصّصت أمريكا وأوربا أموالاً طائلة لأجل هدم الدين وتخريبه.

نعم، لقد احتلّت هذه الفئة عرصة المجتمع، وجذبت الشباب الذين كانوا يفتقرون للاستدلال العلمي في مسائل الدين. كانت الثورة قائمة، والمحاريب والمنابر خالية، فاستغلّوا بحيلهم فرصة فراغ الخطباء والعلماء الحكماء، وجذبوا الناس نحوهم.

وقد حذّرت كثيراً من هذه المنابر الواهية، وأشرطة محاضراتي لخمس وعشرين سنة تشهد بذلك، إنّها منابر استُغلّت لبثّ الخرافة والمسائل الباطلة؛ يُطرح فيها ما يُحرّف التعاليم الإلهية. لقد كنت وحيداً في ذلك الزمن، ولم يساعدني أحد في مهمّتي

هذه، حتّى أنّني شكوتُ ذات مرّة لقائد الثورة بأنّ المنابر غدت خاوية خالية من القرآن والأحاديث، لكن قبل سنتين دخل بعض العلماء الكبار وبعض المراجع في هذه الساحة، وبحمد الله فكّروا في هذا الأمر، وبادروا لمسك زمام الأُمور في الآونة الأخيرة؛ لأنّ الأكاذيب والتحريفات أضحت قائمةً في المجتمع.

فضلاً عن المنابر المليئة بالكذب والخرافة التي حُمّلت على روح الدين في المجتمع، كان للكتب الدور الآخر، تلكم الكتب التي كانت تطبع بأعداد غفيرة ـ سواء بإجازة رسمية أم من دون إجازة ـ وكانت مشحونة بالكذب والدجل والخرافات والكرامات المدّعاة، فقد دُونت بعض تلك الكتب لأجل بيان كرامات بعض الأشخاص الذين كانوا أحياءً، وكنت أعرف أبناءهم، فسألتهم ذات مرّةٍ عنها، فأجابوا ضاحكين: بأنّهم لم يروا من آبائهم ـ طوال خمسين أو ستين سنة من المعاشرة ـ شيئاً ممّا ذُكر في تلك الكتب بعنوان كرامات.

هناك كتاب دُوّن لبيان كرامات أحد الأشخاص ـ ولم يكن رجل دين ـ ذُكرت فيه الحالات المعنوية لذلك الشخص؛ ليرفعوا مقامه من خلال هذا التوصيف، في حين أنّني أعرف ذلك الشخص، إنّه بعيد عن ذلك الكلام الذي ذُكر عنه، لقد ذكر في هذا الكتاب مقامات لم يذكرها القرآن ولا الأحاديث حتّى لأنبياء الله تعالى.

إنّ خلق هذه الكرامات وتدوين هذه الترّهات سرى إلى المنابر بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبنقل هذه الكرامات المختلقة والأحلام العجيبة، استطاعوا أن يجذبوا الناس نحوهم، ويبعدوهم عن المعارف الدينية الحقّة.

لقد لوحظ ـ في برهة من الزمن ـ أنّ هناك توجهاً أكثر إفراطاً من الصوفية عند أهل السنّة في خلق الكرامات، فهم لا يملكون إلّا كتاب (تذكرة الأولياء)، وكتاب (النفحات) للجامي، في حين أنّ محلّات كتبنا تزخر بالكتب الخرافية، وتتكرّر طباعتها لمرّات وكرّات حتّى يصل بعضها إلى عشرين طبعة أو خمس وعشرين طبعة.

اذهبوا إلى بائعي الكتب، وانظروا كم من كتبٍ تتحدّث عمّن لهم كرامات مع الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، تباع للناس، وتطبع مرّات عدّة، كرامات مختلقة،

وعبارات عجيبة حول بعض الأشخاص، إلى درجةٍ أنّ شاباً قال لي يوماً: سمعت أنّك عندما لا تحمل معك مفتاح الدار تنظر إلى باب الدار فينفتح لك. فقلت له: جيّد، إنّك نبّهتني إلى هذه الكرامة، لقد نسيت مفتاحي قبل كم ليلة في الدار، وعندما رجعت لم أجد أحداً في البيت؛ كي يفتح لي الباب، فجلست عند الباب لخمس وأربعين دقيقة، حتّى رجعت أُسرتي، وفتحوا الباب بالمفتاح!

لقد وصل الحال في شيوع الخرافات إلى هذا المستوى، وأصبحت الكتب الخرافية المليئة بالكرامات الكاذبة في متناول الناس، خاصّة الشباب الذين يتأثّرون بها كثيراً، كما حصل لذلك الشاب الذي أخبرني بأنّ لي كرامة.

بخلو المحاريب والمنابر من الخطباء الحكماء، وتمويل القوى الغربية بما فيها أمريكا؛ لأجل إبعاد الشباب عن الدين، وشحذ أذهانهم بالخرافات، ورواج مثل هذه المنابر والكتب، وصلنا إلى هذه النتائج الوخيمة.

س: فهمنا من بيانات حضرتكم بوضوحٍ أنّ المنابر الخاوية والضعيفة والخرافية، قامت على أساس الأحلام والكرامات المختلقة، وكان لها الدور المفتاحي في رواج الخرافات، وأكّدتم أنّ من ضمن الحلول هو المنبر، وذلك بإصلاحه، والاقتداء بالمنابر الراقية والصانعة للإنسانية، البعيدة عن الخرافات والأكاذيب. لعلّنا بمقارنة المنبر قبل الثورة الإسلامية وبعدها نصل إلى نتائج أفضل ونتعرّف على النقائص أكثر.

ج: إن قارنا بين المنابر قبل الثورة الإسلامية وبعدها، سوف نرى الاختلاف الكبير في بُعدين:

١ـ في عدد المنابر، فقد كانت المنابر متوفّرة في أكثر مدن إيران في الماضي، وكان الخطباء بالعدد الكافي، ولعلّه أكثر ممّا يحتاج إليه الناس، إلى درجةٍ أنّ بعض الخطباء في مدينة مشهد ـ مثلاً ـ كانوا يسافرون للتبليغ أيّام محرّم وشهر رمضان إلى بقية المدن؛ لكثرة الخطباء في تلك المدينة.

كنت أرى في أيّام صباي ودراستي بعض الخطباء المشهورين يأتون من مشهد إلى

طهران، ويلقون الخطب على الناس في المساجد، مع أنّه كان في طهران علماء كثيرون، لكن بما أنّ عدد سكان طهران أكثر كان قيّمو المساجد وبعض الأفراد يدعون الخطباء المشهورين من مشهد وغيرها من المدن، فيدعون كبار الخطباء، من قبيل الحاج المحقّق الخراساني، والسيّد مرتضى السبزواري، وقبلهم الشيخ غلام رضا الطبسي من مشهد، والسيّد صدرايي الأشكوري من رشت، فكانوا يأتون إلى طهران، ويرتقون المنابر.

وهذا لا يعني أنّه ما من حاجةٍ في مشهد ورشت إلى تلكم الشخصيات، أو لم تتوفّر المنابر لديهم، بل كان الناس يدعونهم؛ لأن منابرهم غنيّة بفكر أهل البيت عليهم السلام، وعلومهم، ولأنها رفيعة المستوى.

كانت هناك بعض الوجوه المنبرية المتميّزة والمعروفة في إقليم كيلان، ومازندران، كمدينة رشت، لاهيجان، آمل، جرجان، وغيرها، كان أُولئك العلماء يُفيدون الناس في كثير من الأُمور، ويرشدونهم إلى كثير من المسائل الدينية، كما كان في إصفهان خطباء كثيرون أيضاً، خطباء من أهل العلم والحكمة والمعرفة، من أمثال حسام الدين الواعظ، والحاج الشيخ باقر زند الكرماني.

أمّا الآن فنحن نفتقر إلى المنابر، وضجّت الأصوات لقلّة الخطباء، سواء في العاصمة أم غيرها من المدن. دعيتُ إلى أكثر من مائة مدينة، وارتقيت المنبر فيها، وكان أكثرها في مراكز المحافظات، أو في المدن الكبيرة، ورأيت الناس المؤمنين يواجهون مشكلة في قلّة الخطباء، حتّى أنّني في إحدى محاضراتي في مدينة قم المقدّسة أنشدت أشعار دعبل الخزاعي التي ألقاها باكياً عندما زار الإمام الرضا عليه السلام:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ

وذلك لأجل قلّة الخطباء.

٢ـ وفيما يرتبط بكيفية المنبر، كان خطباؤنا سابقاً من العلماء الكبار، شخصيات من أهل العلم والمكانة الاجتماعية، كانت الحوزة في طهران غنيّة جدّاً، وكان فيها مدارس ذات رونق وجلالة حتّى سنة (١٣٣٠هـ)، من قبيل مدرسة المروي، ومدرستين في

سوق طهران، كان في الحوزة أساتذة كبار، كالمرحوم الميرزا مهدي الآشتياني ـ الذي يُعبّرون عنه بفيلسوف الشرق ـ وبعض تلامذته من أهل المنابر الحاذقين، كالمرحوم الشيخ محمّد رضا ربّاني، الذي له منبر غنيّ حقّاً، والمرحوم الشيخ محمّد تقي فلسفي، الذي استطاع أن يرتقي المنبر لسبعين سنة دون تراجع، وكذا الشيخ مهدي القوّام.

إنّ تلكم الوجوه قد تخرّجت من حوزة طهران، الحوزة التي كان يُدرِّس فيها المرحوم الميرزا مهدي الآشتياني، والمرحوم ابن الدين، والمرحوم السيّد محمّد علي اللواساني، والمرحوم السيّد محمّد كاظم عصار ـ الذي كان من المراجع في ذلك الزمن ـ والمرحوم الميرزا أحمد الآشتياني، والمرحوم محمّد تقي الآملي، والمرحوم آية الله العظمى السيّد أحمد الخوانساري.

أخذ خطباء طهران العلم والأخلاق من هؤلاء العلماء، وشرعوا بالخطابة منذُ أيّام شبابهم؛ وذلك أثناء دراستهم وبحوثهم، مستفيدين من تجارب أساتذتهم الكبار؛ إذ كانت لهم إرادة قوية في تلقّي العلوم، فلم يتركوا الدرس والتحقيق حينما تصدّوا للمنابر.

وأمّا الخطباء الذين نشأوا في حوزة مشهد، فلقد أخذوا العلوم والأخلاق، من أشخاصٍ عرفوا بالعلم، والتقوى، والزهد، والمقامات الرفيعة، وجوه عظيمة من قبيل: السيّد بزرك (الكبير) الحكيم، والشيخ مرتضى الآشتياني، والسيّد يونس الأردبيلي، والسيّد مهدي النوغاني، والأُستاذ القدير الأديب النيشابوري.

عاصرت بعض الخطباء والعلماء الذين ذكرتهم، وأنا ابن ستّ سنين أو سبع، فقد كان أبي رحمه الله يصطحبني معه إلى منابرهم، كانت خطبهم راقية جدّاً إلى درجة أنّ بعض المستمعين من أهل العلم والدراسة كانوا يدونّون ما يسمعونه منهم، ويكتبون الأحاديث التي يذكرونها، ويبيّنون النقاط التربوية والعلمية فيها. كان أبي من بين الذين يكتبون تلك الخطب، ولعلّ ما دوّنه والدي من تلك المنابر يصل إلى ما يقارب

خمسة آلاف صفحة خلال ثلاثين سنة من حضوره في تلك المجالس المليئة بالموعظة والخطابة الشيّقة، مع الأسف أنّ تلك المدونّات قد راحت من أيدينا؛ بسبب اعتقالنا من قِبل (الساواك)؛ إذ قامت أُسرتنا بإبعاد كلّ الأوراق الإعلامية أو المنشورات التي كتبناها للثورة الإسلامية، وكان من بين تلك الأوراق مدونّات والدي رحمه الله. لقد بحثت عنها كثيراً فيما بعد، لكنّني لم أعثر عليها، كنت أطمح في تنظيمها وطبعها؛ لتكون مجلدات جامعة للمطالب المنبرية القيّمة.

كان في كيلان، وبابل في مازندران، وجرجان، ورشت، حوزات فعّالة وناشطة من حيث العلمية، وعلى ما أظنّ كان زعماء حوزة كيلان من تلامذة المرحوم النائيني، والمرحوم الكمباني.

وفي مدينة رشت كان المرحوم السيّد زياوري، والمرحوم السيّد بحر العلوم، والمرحوم اللاكاني، الذي رأيت إجازة اجتهاده التي أخذها من آية الله العظمى السيّد البروجردي، إنّ أُولئك كانوا معلّمين بمعنى الكلمة، ربّوا تلامذة خطباء مقتدرين، أو تلامذة ذوي أقلام بارعة، كالمرحوم السيّد حجتي الذي مات وهو شاب إثر حادث سيّارة، لقد كان يكتب وينشر في جريدة قد حظيت بشراء الكثيرين آنذاك، وما زال هناك خطباء قدماء ممَّن رأوا الحوزات العلمية سابقاً، لكن لا أحد يدعوهم لكبر سنّهم.

وعلى أيّ حال، إنّ ما نراه من تحريفاتٍ وبدعٍ وأقاويل واهنة، ما ظهرت إلّا لشحّة المنابر العلمية، ولقلّة الخطباء وأئمّة الجماعة الحكماء، فعندما يكون إمام الجماعة في المسجد مجتهداً كما في السابق، سوف لا يجيز لأي أحد أن يرتقي المنبر ويخاطب الناس، كما لا يدعو أيّ شخصٍ كان ليودعه عقول الناس وقلوبهم، إنّ أئمّة الجماعة المجتهدين ـ الذين كانوا في مدينتنا ـ في حدود الأربعة عشر إماماً أو خمسة عشر كانوا دقيقين كثيراً في دعوة الخطباء المؤثّرين من أهل العلم والتقوى.

س: إنّ محاربة قدسية المنبر والطعن بمكانته الرفيعة أمر خطير للغاية، وضربة لجبهة الحقّ والثقافة والمعارف الدينية، فمَن هم المسؤولون المقصّرون الذين ساهموا

في انتقاص شأن المنبر عن السابق، سواء بتساهلٍ، أم بإهمالٍ، أم بعدم الاستفادة الصحيحة منه؟

ج: لنستبدل كلمة (التقصير) بكلمة (الغفلة)، لا يمكننا أن نقول مَن هو الشخص المقصِّر، أو أيّ جهةٍ مقصِّرة، بل يمكننا أن نقول: إنّ الكثير ممّا تحتاج إليه الثورة من أعمال شغلت العلماء والمفكّرين في مدينة قم وغيرها بالعمل لإنجاح هذه الثورة، فهناك عدّة من العلماء يعملون بجدٍّ وإخلاص للمحافظة على الثورة الإسلامية، وهذا ما جعلهم يغفلون عن المنبر ومحتواه العلمي، وعن الخطابة ومَن يتصدّى لها.

ينبغي أن نحول دون وقوع هذا الخطر بالاستفادة من أهل العلم والخبرة، وبمساعدة الحوزات العلمية، واتخاذ التدابير الدقيقة؛ كي تتمّ عملية إصلاح المنابر وتنظيمها بالشكل المطلوب، فلقد اتخذ الطاغوت إجراءات مكثّفة لأجل إزالة الدين، وكانت المنابر في صدارة ما قام النظام بمحاربته، فقد لقي أصحاب المنابر المؤثّرة الاعتقالات والتحقيقات من (الساواك) آنذاك، كان يرسل أفراده ليتجسّسوا عمّا يقال على المنابر، هل يتهجّم أصحاب المنابر على الشاه وحكومته؟ هل ينتقد الخطباء الوضع الموجود؟ فيكتبون التقارير التي تحدّد مصير الخطيب من إنذارٍ، أو منعٍ، أو اعتقال.

وينبغي ـ بحسب رأيي ـ لوزارة الأمن اليوم أن تدخل إلى ميدان العمل في مجال المنابر، وتشكّل جناحاً خاصّاً يعمل في كلّ إيران؛ لينظر مَن يرتقي المنابر من الكذّابين والمهرجين للبدع والخرافات، لتحول دون الأضرار والضلالات الناجمة من هذه الوسيلة الإعلامية.

كما ينبغي للحوزة العلمية أن تشكّل مؤسّسة خاصّة تُعنى بالمنابر في كلّ البلد، وتقوم بتتبّع الخطباء والمنشدين من أهل الزيغ والبدع، وتقطع ارتباطاتهم بالمساجد والحسينيات والمراكز المذهبية، فعلى وزارة الأمن والحوزة العلمية أن يحولا دون اتساع دائرة هذا المستنقع من دون مجاملات.

سمعت يوماً كلاماً من السيّد القائد الخامنئي عند أهل سنندج، قال عبارة أعجبتني: «**الرجل الشيعي الذي يسبّ أهل السنّة ويهين مقدّساتهم يُعدّ مرتزقاً للعدو، وإن لم يكن يعلم ماذا يفعل**».

عندنا أفراد من هذا النوع، يرتقون المنابر، ويقولون ما تهواه أنفسهم، ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار قلق القائد والعلماء والمراجع من خطر المنابر؛ ليُعمل على إصلاحها. فهناك مسؤولية عظمى على كاهل وزارة الأمن؛ لأنّ الحوزة عندها بعض الأيدي الواردة في العمل، وبإمكانهما معاً محاربة كلّ المنابر الخرافية المدمّرة للمجتمع والقضاء عليها بشكل تام.

س: أيّ تحوّل في المنبر يراه سماحتكم ضرورياً، ومَن يمكنه أن يقوم بهذا التحوّل وإدارته؟

ج: لا يمكن أن تُغيَّر المسائل الإلهية التي وردت في كتاب الله تعالى وروايات أهل البيت عليهم السلام، والمنبر بمعناه التقليدي هو الفقه التقليدي الذي أكّد عليه الإمام الخميني قدس سره الذي يقول: «**إن استطعنا أن نلاحظ الفقه من حيث الزمان والمكان، فسوف يمكننا أن نلبّي ما يقتضيه العصر من احتياجات**».

لا بدّ من ملاحظة الزمان والمكان في الفقه، وإلّا فإنّ الفقه لا يتغيّر، حلال الله وحرامه لا يتغيّران، وطريق الاجتهاد لا يتغيّر أيضاً، لكن النظرة إليه تتغيّر؛ إذ يمكننا أن ننظر إلى الفقه بصورة أعمق؛ لنحصل على أجوبة المستجدّات من المسائل الفقهية، وذلك بضمّ علم الأُصول إلى الفقه.

إنّ المتطلّبات الفقهية اليوم والمستجدّات من المسائل لم تكن أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، ولا يمكننا أن نقول: إنّ هذه المسائل ما دامت لم تتواجد أيّام النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، فليس لها حلول فقهية، ولا نستطيع الجواب عنها؛ لأنّ القرآن وصف الدين الإسلامي بأنّه دين تام وكامل.

إنّ أجوبة المستجدّات من المسائل الفقهية المبتلى بها في المجتمع اليوم، موكولة

إلى معرفتنا بالفقه بصورة أعمق من السابق؛ كي نستخرج الأحكام المطلوبة في هذا العصر، من قبيل معاملات البنوك والبلديات، وغيرها ممّا تتطلّبه احتياجات المجتمع، وإلّا فسوف تقع في طريق مسدود إن لم تتوفّر لها الحلول.

فلنؤدِّ مثل هذا العمل في المنابر أيضاً، بمعنى أن تبقى المنابر على طريقتها التقليدية في الاعتماد على الكتاب والسنّة الشريفة، وبيانهما للناس، لكن يبقى الخيار للخطباء من أهل العلم بأن يبدعوا في طرح المسائل الجديدة التي تُلبّي احتياجات المجتمع.

ينبغي للخطباء أن ينظروا في أُناس هذا العصر، في حياتهم الفردية والأُسرية والاجتماعية، ويشخّصوا الخلل الذي صار سبباً للفساد والظلم لأنفسهم ولأُسرهم.

إنّ هذه الأُمور يجب أن يدركها الخطيب العالم بزمانه ومجتمعه، ويشخّص الفراغات والاحتياجات، ويُجيد لغة العصر؛ ليتكلّم مع الناس بلغتهم التي ينجذبون إليها، مستنداً في ذلك إلى القرآن والروايات.

هكذا يمكننا أن نحافظ على المنبر التقليدي، كما حافظنا على الفقه التقليدي، لكن مع ملاحظة الزمان والمكان، وبعبارة أخرى: إن قام منبرٌ ما ببحث علمي معاصر ينبغي أن لا يتعدّى ما يحتاج إليه المجتمع، كمَن يطرح على المنبر اليوم في مدينة طهران، أو إصفهان أو غيرها مسألة طهارة ونجاسة مياه البئر؛ لأجل الوضوء منها، فإنّ هذه المدن اليوم استغنت عن مسألة الآبار وحكم مياهها، فلا توجد آبار في البيوت، لنحتاج إلى حكم طهارة مياهها في الوضوء وغيره.

على الحوزة العلمية في قم اليوم أن تقيم لطلبتها دروس المعرفة بالعصر، ومعرفة الناس في هذا الزمن، فبمعرفة ما يدور في هذا الزمن من التيارات الفاعلة، ومعرفة أحوال المجتمع، سوف يُدرك الطلبة ما يريده الناس اليوم، وأنّ أُناس اليوم ليسوا أُناس السابق؛ لأنّ العقل البشري قد نما، وأنّ وعيهم ارتقى، وذلك بتوسّع الجامعات والدراسات، فأكثر الشباب اليوم درسوا وحصلوا على شهادات في الدراسات العليا.

معرفة الناس ومعرفة ما يدور في الزمان أمران مهمّان للغاية، وهذا ما دفع

الأمريكيين والأُوربيين قبل ثلاثمائة سنة إلى العمل على هذا الأمر؛ لذا استطاعوا أن يتسلّطوا على العالم، إن لم يكن أُولئك على علم كافٍ بأحوال العصر وأُناسه، لما استطاعوا أن يستعمروا الكثير من البلدان.

فضلاً عن ذلك، لا ينبغي أن يخلو المنبر من رسالته الحوزوية، بمعنى أنّه ينبغي أن ننتبه إلى عدم استبدال رجال الدين من أهل العمائم بغيرهم؛ لأنّ هذه الفئة بوجاهتها ومكانتها الخاصة، يمكنهم أن يجذبوا الناس نحوهم، إذ من المقلق أنّ طلّاب الحوزة اليوم يميلون إلى ارتقاء المنبر دون ارتداء العمائم، فهذه الموجة خطيرة على المنبر.

إنّني لا أُؤيّد مَن يوكل المجالس الدينية لغير أهل الحوزة، ممَّن لا يرتدي الزيّ الحوزوي، وإن كان بعض الجامعيين أهل علم، ولعلّهم أخذوا بعض الدروس الحوزوية، ولكن الأفضل أن لا يرتقي المنبر مثل هذه الفئة، ففي ذلك نتائج لا تحمد عقباها، ستظهر عاجلاً أم آجلاً، بما فيها تشجيع طلبة العلوم الدينية على خلع زيّهم المقدّس، واستبداله بالزيّ العادي أو التقليدي في البلد؛ ليرتقوا المنابر، ويتحدّثوا إلى الناس، وهذا أمر خطير يهدّد المنبر، فيجب أن يبقى المنبر على شكله التقليدي، لكن مع مراعاة الزمان والمكان.

س: لقد كان لجنابكم الموقّر التوفيق الكبير في الخطابة، وتدوين الكتب الناجحة والمؤثّرة، ولا شكّ في أنّ الاطّلاع على حياتكم العلمية، وسرّ موفّقيتكم مفيد لطلبة العلوم، فتفضّلوا علينا ببيان نشاطاتكم، خاصّة ما يختصّ بالجانب القرآني، وما يتعلّق به من نقاط وزوايا.

ج: بما أنّ حياتي مليئة بالمغامرات طلب منّي الأصدقاء أن أُدوّن ذكرياتي، فقمت بذلك، ودوّنت ما ينبغي تدوينه، من ولادتي إلى الآن، فصارت مجلدين فيما يقارب الألفي صفحة، وهي الآن تحت التنظيم، وإن كنت لا أرغب في تدوين ذلك ـ وما كنت أودّ أن تدوّن حياتي أبداً ـ فلقد كنت أبتعد عن الشهرة دائماً؛ لأنّ الشهرة من

الأُمور التي كنت أكرهها منذُ أيّام شبابي، وكثيراً ما كنت أطلب من الله تعالى أن يبعدني عن الشهرة، لكن حصل العكس. على كلّ حال، دوّنت أُموراً إجمالية عن حياتي، علّها تكون موعظةً للآخرين.

كان في نفسي ميل عظيم نحو اكتساب العلوم الدينية منذُ أيّام دراستي في الإعدادية، وعندما أكملت شهاداتي لأجل الدخول في الجامعة كانت تلك الرغبة في نفسي، وقد صارت سبباً في تحقّق ما أصبو إليه، فدخلت الحوزة العلمية لاكتساب العلوم الدينية.

كان أهمّ الأُمور عندي أيّام دراستي في الحوزة هو عدم إتلاف الوقت، وكنت أسعى لتجنّب أيّ جلوس وقيام يذهب بوقتي، وكنت مجدّاً في اكتساب الدروس ومطالعتها دون إتلاف للوقت، وما زلت غير مفارق لكتبي الدراسية، خاصّة كتب قواعد اللغة العربية، ومع أنّ أعمالي كثيرة جدّاً فإنّني لا أُفارق كتبي الدراسية، سواء كتب قواعد اللغة العربية، أم كتب الفقه والأُصول؛ وذلك لأجل أن أفهم الآيات والروايات بصورة أكثر عمقاً.

والقسم الآخر من حياتي هو المنبر، شرعت في ممارسة الخطابة المنبرية منذُ السنة السادسة والعشرين من عمري، ولأجل ما منحني الله تعالى من نعمة البيان وسلاسة اللسان، عُرفت في إيران بصورة سريعة، وبدأت طلبات الدعوة تتزايد عليّ يوماً بعد يوم، كان شعار منبري منذُ البداية وصية رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم ثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فأُنظروا كيف تخلفوني في عترتي**»[1]. ولأجل نجاح خطابتي وجعلها مؤثّرة أكثر، جعلت لائحة منبري معرفة الناس والزمان.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢٣، ص١٠٨.

كنت أُطالع وأُدوّن كثيراً لأجل المنبر، ولديّ الآن أكثر من عشرين دفتراً من محاضراتي، يحتوي كلّ دفتر على مائتي صفحة، كما لديّ ما يقارب خمسة آلاف ورقة من قطع (A4)، وغيرها من الدفاتر المدوّنة. إن سألني أحد: أيّ منبر ارتقيت في سنة (١٣٤٧ش)؟ وأين كان؟ وماذا قلت فيه؟ أستطيع أن أُراجع دفاتري لأجيبه: ماذا قدّمت في سنة (١٣٤٧ش) من خطابة، وماذا قلت في شهر محرّم، وشهر رمضان من تلك السنة.

لقد كرّست كثيراً من وقتي لمطالعة المصادر الإسلامية، ولو استمعتم إلى أشرطة خُطبي قبل (٣٠) أو (٤٠) سنة، لرأيتم أنّني كنت أتحدّث إلى الناس عن المصادر الإسلامية، مثلاً أنقل عن رجال الكشي، وأنقل معلومات من الكتب العميقة للشيعة والسنّة، فضلاً عن مطالعاتي للكتب والمجلات العلمية، ككتب علم النفس، والاجتماع، والنجوم، كان هدفي الاطّلاع على رؤية علماء الغرب، والاتحاد الاشتراكي، وما زال في مكتبتي عدّة من كتب العلماء الغربيين وعلماء الاتّحاد الاشتراكي.

حينما كنت أُريد أن أبحث عن التوحيد، وبيان آيات التوحيد على المنبر، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، كنت أُراجع الكتب التي تتحدّث عن علم الأرض والنجوم، والكتب التي تختصّ بالأطعمة والفاكهة والثمار، سواء كانت كتباً محلّية أم أجنبية، والحمد لله، ما كنت أقوم بتحميلها على الآيات والروايات أبداً، فما كنت أراه أمراً أساسياً أدمجه مع الآيات والروايات؛ ليكون المنبر مفيداً ومؤثّراً وجذّاباً؛ لأنّ اتّخاذ هذه الطريقة في المنبر مفيدة لتصحيح عقيدة الشباب الذين يحملون شبهات كثيرة حول الدين في أذهانهم، فعندما يُنقل لهم

(١) البقرة: الآية ٢٢.

أنّ القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة سنة أشار إلى الكثير من المسائل العلمية المهمّة بصورة كلّية، سوف يتأثّرون بذلك، ويكون المنبر طريق نجاة لهم ممّا يُلقيه الأعداء في عقولهم، خاصّةً أنّ الله تفضّل عليّ بقدرة الموعظة والنصيحة، فكان لحديثي الأثر الروحي والتربوي دائماً.

لقد استطاعت هذه المؤسّسة التي أسّستها بجهود العاملين فيها، جمع ستة آلاف شريط لمحاضراتي، من سنة (١٣٤٩ش) أو (١٣٥٠ش) إلى الآن، وقد صنّفت هذه الأشرطة وفقاً للبرنامج الذي اقترحته؛ ليتم تدوين ما جاء فيها وطبعه إن شاء الله، وليكون مصدراً عظيماً للمنبر الشيعي.

تمّ طبع ثلاثة مجلّدات منها بهذه العناوين: العقل مفتاح كنز السعادة في (٤٩٤) صفحة، العقل محرم أسرار الملكوت في (٥٢٧) صفحة، والعقل ونفس الإنسان في مرآة القرآن في (٤٧٩) صفحة. وإنّني أراه مصدراً ومنبعاً مفيداً؛ لأنّني كنت أُطالع (٣٠) مصدراً لأجل عشر محاضرات في عشر ليالٍ، طالعت المطالب بصورة جيّدة، وضممت بعضها إلى بعض؛ كي أُؤدّي منبراً جيّداً. إنّ هذه المجلّدات تحتوي على محاضراتي، وإنّها لسفرة حاضرة لـمَن يريد أن يرتقي المنبر.

تبتدئ هذه المجلّدات بعناوين: العقل، التوحيد، النبوّة، الولاية، والمعاد، حتّى تصل إلى المباحث الأخلاقية والاجتماعية، كما تحمل بعضها عناوين قرآنية، من قبيل: (أولياء الله)، وفيه مباحث واسعة جدّاً، لعلّها تصل إلى خمسة مجلّدات.

وأمّا القسم الثالث من حياتي، فقد كان للتأليف والترجمة، ولا أعلم ما هو الداعي والباعث على الإقدام على ذلك، عزمت على التأليف والترجمة من سنة (١٣٥٠ش)، ولعلّ السبب في ذلك ملء وقتي حينما لم يكن لديّ منبر أو درس أو بحث، فأردت بذلك الحيلولة دون إتلاف الوقت وهدر العمر، فلقد كنت في خوف شديد من إتلاف عمري، أخاف أن أُؤاخذ يوم القيامة من أجل التقصير في قيمة العمر؛ لأنّ

الله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[1]؛ إن قلقي هذا أجبرني أن أُوظّف قلمي في التأليف، فكتبت ـ بلطفه تعالى، بغضّ النظر عن محاضراتي التي تمّ تنزيل محتواها وتنظيمها وطبعها ـ ستين كتاباً بحسب متطلّبات العصر؛ لذا وصل بعضها إلى خمس وعشرين و بعضها إلى ثلاث وثلاثين طبعة.

تُرجمت عشرة منها إلى سبع لغات، وقد وصلتني رسائل من دور النشر التي قامت بالترجمة والطبع، تعلن عن إقبال القرّاء من دولٍ عدّة على تلك الكتب، يقول أحد الناشرين: ترجمت كتاباً وأرسلته إلى الخارج، فاستغرق بيع ألف نسخة منه خمس إلى سبع سنين، في حين أنّ كتبكم وصلت إلى الطبعة الثالثة والرابعة خلال ثلاث سنين.

ثمّ فكّرت بترجمة أربعة كتبٍ، وهي: القرآن الكريم، ونهج البلاغة، والصحيفة السجادية، ومفاتيح الجنان، استغرقت ترجمة القرآن أربع سنين بجهود مستمرّة، وتمّت هذه الترجمة بمراجعة أربعين كتاباً علمياً، وتفاسير الشيعة والسنة، ونظّمت الترجمة من دون الرجوع إلى التراجم الأُخرى للقرآن، كانت الكتب العلمية عبارة عن: إعراب القرآن، علوم اللغة العربية، كمغني اللبيب، مفردات الراغب، المنجد، فروق اللغات، العين، المصباح المنير، قاموس المعين، مجمع البحرين، أمّا التفاسير فكانت من قبيل: تفسير الصافي، والكشّاف، ومجمع البيان، والميزان، وأيسر التفاسير، ونور الثقلين، وروض الجنان، وغيرها.

كان همّي الأكبر في هذه الترجمة أن تكون سلسة بسيطة، بعيدة عن الإبهام والتعقيد، وقد تمّ تنقيح هذه الترجمة ثلاث مرّات، من خلال منقِّحَين حاذقين، ثمّ تمّ عرضها على مركز الترجمة والمطالعات؛ ليتمّ نقدها والتحقيق فيها، استمرّ عمل المدقّقين والباحثين أربعة شهور، وأصدروا رسالة رسمية ذكروا فيها أنّها ترجمة رصينة وسهلة وقابلة لفهم الجميع، خاصّة أنّ فيها بعض التوضيحات اللازمة.

بعد مرور سنتين أو ثلاثة على هذه الترجمة وصلت طباعتها إلى أربعة آلاف نسخة؛

(١) فاطر: آية٣٧.

لأنّ الجميع بإمكانه أن يستفيد من ترجمة القرآن، سواء أهل العلم، أم طلاب الجامعة، حتّى الأفراد العاديين، إنّها ترجمة قريبة إلى مفاهيم القرآن، وفيها الكثير من الإبداعات؛ لذا نويتُ تدوين رسالة في إبداعات هذه الترجمة، لكن ما أُتيحت لي الفرصة.

وأمّا ترجمة نهج البلاغة ـ وهي أوّل ترجمة حرفية لهذا الكتاب، بمعنى: السعي إلى تساوي النصّ الفارسي مع النصّ العربي بلا زيادة أو نقصان ـ فقد وصلت هذه الترجمة إلى أكثر من ثلاثين طبعة. وبالنسبة إلى ترجمة الصحيفة السجادية، فإنّني أرى أنّها أسهل ترجمة إلى الآن.

أما ترجمة مفاتيح الجنان، فإنّ مكانة هذا الأثر رفيعة جدّاً؛ لأنّه الكتاب الذي يتواجد إلى جنب القرآن في كلّ البيوت، والمساجد، والمراقد، والأضرحة. إنّ مكانة هذا الأثر رفيعة جدّاً؛ ممّا دفعني إلى أن أقوم بترجمته ترجمةً بسيطة، تكون في متناول أيدي المؤمنين وأهل الدعاء.

لقد كان هذا الأمر يدور في ذهني، حتّى التقيت بآخر مَن تبقّى من أُسرة المرحوم المحدّث القمي، وهو الشيخ محسن ـ الذي توفِّي قبل شهرين أو ثلاثة ـ فقلت له: إنّ الإنشاء الفارسي لكتاب مفاتيح الجنان إنشاء يعود إلى ما قبل ثمانين سنة، وفيه الكثير من الكلمات التي لا يفهمها جيل اليوم، فضلاً عن أنّ إنشاءه ثقيل بعض الشيء في البداية، فقد يتيه القارئ في عباراته، فهلّا سمحت لي بإعادة ترجمة الشيخ القمي إلى قلم العصر مع الحفاظ على أُطر مفاتيح الجنان! وبعد التوضيحات اللازمة، قال لي: إن كنت أنت مَن يقوم بهذا العمل فلا ضير، أُجيز ذلك، فقمت ـ لمدّة سنة ـ بإعادة الترجمة الفارسية إلى لغة اليوم، وقمت بترجمة الأدعية بالطريقة التي اتّبعتها في ترجمة القرآن، ونهج البلاغة، والصحيفة السجادية.

س: في نهاية المطاف نرجو من سماحتكم أن تقدّموا لنا ولسائر طلبة العلوم موعظةً ونقاطاً توصّلتم إليها من خلال تجاربكم الوافرة!

ج: إنّني أُحبّ طلبة العلوم الدينية كثيراً، وأُبجّل الذين يرتدون الزيّ المقدّس،

ويسعون لكسب العلوم، وإلى تأسيس معقل للدفاع عن المذهب، ولخدمة دين الله تعالى.

إنّ من أُمنياتي ـ ولعلّها من مصاديق طول الأمل الذي نهى عنه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله[1]، لكنّني ابتُليت بطول الأمل الإيجابي[2] ـ أن يرزقني الله إمكانات، حتّى أسعى بقدر المستطاع؛ ليصبح طلبة العلوم الدينية ـ ممّن يدرسون في مدينة قم المقدّسة، ويجدّون ويجتهدون في طلب العلم ـ أصحاب بيوتٍ بما يتناسب وشأنهم دون دَيْنٍ أو قرضٍ، ودون أيّة مشكلةٍ؛ كي يقدموا على الدراسة براحة بالٍ.

وصيّتي لطلبة العلوم الدينية أن يدرسوا ويسعوا إلى رفع مستواهم العلمي؛ كي يصبحوا علماء، كما أطلب من الأساتذة الفضلاء أن يبذلوا كلّ ما بوسعهم لتشجيع الطلبة، وتقديم العلوم إليهم بحرص وجدّية.

كما أنّني أُفضل أن تُهيّأ بيوت جاهزة يُجاز للطلبة المجدّين المثابرين ـ ممّن يعانون من مشكلة السكن ـ الإقامة فيها لعشر سنين أو خمس عشرة سنة، وبعد أن ترتفع حاجتهم تنتقل تلك البيوت إلى طلبة آخرين.

إنّني أتألّم كثيراً على الوضع المالي لطلبة العلوم الدينية، أتمنى أن لا يعاني طالب العلم من عُسرٍ في المعيشة، وما يتقاضونه من رواتب ضئيلة لسدّ حاجاتهم وحاجات عوائلهم، لا بدّ أن يكون استلامه بطرق تناسب شأن طالب العلم ومكانته قدر الإمكان.

* نشكركم جزيل الشكر على الوقت والفرصة التي أتحتموها لنا لبيان ما نحتاج إليه، ونأمل أن نستفيد ممّا أدليتم به بأفضل وجه.

(١) «أخسر الناس صفقة رجل أخلق يديه في آماله، تساعده الأيّام على أُمنيته، فخرج من الدنيا بغير زاد، وقدم على الله تعالى بغير حجّة». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير: ج١، ص٤٩.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأمل رحمة لأُمّتي، ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجراً». الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة: ج١، ص١٠٢.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢ـ بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ـ تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة.

٤ـ تفسير روح المعاني، محمود بن عبد الله الآلوسي.

٥ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، ورّام بن أبي فارس الحلّي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.

٦ـ الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧ـ الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.

٨ـ مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩ـ ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، دار الحديث، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

١٠ـ نهج البلاغة، محمّد عبده، دار الذخائر، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش.

آليات تطوير لغة الخطاب المنبري الحسيني

الشيخ عبد المجيد فرج الله*

تمهيد

من المدهش المبهِج أنّنا حين نتأمّل في الخطاب الحسيني، نجده في قمّة الخطاب العالمي الإنساني وذروته على امتداد الأعصار، ومع اختلاف الأمصار؛ ففي كلّ زمان ومكان نجد هذا الخطاب الحسيني فاعلاً ومحرِّكاً للحياة الإنسانية، بل هو الأكثر فاعليةً وتحريكاً على صعيد الحياة البشرية إذا تمّ استثماره استثماراً إنسانياً عالمياً.

وهو منذُ بداية تأسيسه على يد سيّدنا ومولانا الإمام الحسين عليه السلام، كان يجمع طرقاً فاعلةً ومؤثّرةً ومحرِّكةً للتاريخ الإنساني برمّته، وقد وظّفها عليه السلام في نهضته أفضل توظيف، وكان هذا واضحاً في خطابه الإنساني الذي خاطب به كلّ الأجيال، سواء منها الأجيال التي كانت في زمنه، أم التي سوف تأتي في مستقبل الأيّام والسنوات والدهور، وسواء كان ذلك في مكان استشهاده ـ العراق ـ أم مكان تواجد أُمّته المسلمة، وأقصد الرقعة الجغرافية العربية، أو ما كان خارج الحدود العربية، وإلى جميع الأجيال في كلّ البلدان، وفي مختلف الأزمان.

اللغة المنبرية وتغيّر العصور

نحن باعتبارنا منتمين إليه عليه السلام، ومحسوبين عليه، نشعر بضرورة أن نكون بمستوى هذا الانتماء، ونمتلك من الأدوات ما يجعلنا فاعلين بأحسن الأداء، ولكن هناك

---

* أُستاذ في الحوزة العلمية، النجف الأشرف.

صعوبات تعترض المسير، وعقبات يصعب تجاوزها لغير ذوي لياقة التطوّر الإيجابي المؤثِّر في الحراك الحضاري جيلاً بعد جيل، مع ضرورة امتلاك لباقة التمكّن من أخذ ناصية العلم والبيان معاً.

ومن تلك الصعوبات والعقبات والتحدّيات هي: إنّ الخطيب يواجه مشكلة تأثّر اللغة بتبدّل العصور، وتغيّر الثقافات، فمن المعلوم أنّ لكلّ عصر من العصور ـ بحسب اختلاف المستوى الثقافي السائد ـ هبوطاً أو صعوداً، وباختلاف الـمُدخَلات الجديدة إلى اللغة، أو اندراس مفردات وترميزات، تكون لغة الخطاب ـ بحسب كلّ ذلك ـ متأثّرة كلّ التأثّر! فمثلاً: اللغة العالية لا تنجح في المجتمع القليل الثقافة، وكذلك اللغة البسيطة المعبّأة بأفكار تعتبر من الـمُسلّمات والبديهيات لا تكون مؤثّرة في مجتمع مُثقّف.

أقول هذا ولا أُريد به التقليل من شأن الخطابة المنبرية التي تكون بمستوى التلقّي الشعبي، إنّما أُريد أن نضع أيدينا على نقاط القوّة التي يتحلّى بها الخطيب، ومنها قدرته على إثارة انتباه أكثر من طبقة، وأكثر من مستوى ثقافي في خطبة واحدة، يستمتع بها الأديب، ويرتاح إليها الشاعر، ويتدبّر فيها المفكّر، ويستفيد منها المثقّف، ويقتنع بحججها المشكّك، وتُدحَض بها مُدّعيات الـمُنكِر.. كما يرتاح إليها الإنسان الأُمّي، أو الذي يعيش نصف متعلّم.. هؤلاء جميعاً يرتوون من عطاء خطيبها، وهو يدبّجها باكتناز علمي، وعمق فكري، واقتناص ثقافي، ويجيد ترصيعها ببيان أدبي، وبلاغة جميلة، والتفاتات ذكّية، ونوادر طريفة، وشواهد مثيرة.. مع حرصه على أن تكون مفهومة وواضحة لدى المتلقّين من جميع الطبقات، وبمعدّل خطاب يُرضي متوسطي الثقافة.

وهذه المشكلة تتفاقم أكثر، أو تتراجع حتّى تكاد تتلاشى حسب منابع الثقافة والمعلومة الدراسية التي يتّبعها صاحب الخطاب، فمثلاً: عندما تكون المنابع المعرفية لأشخاص يقدّمون معلوماتهم في الخدمة الحسينية مأخوذة من طريقة تدريسية

قديمة، تعتمد على ذهنية المنطق الأرسطي، تكون هذه الطريقة بشكل عام منقطعة عن الحال الثقافي الذي يعيشه أغلب الناس. نعم، قد تنجح هذه الطريقة في الوسط الذي يُعنى بهذه الطريقة الدرسية، وبهذه المرتكزات المنطقية الأرسطية، خاصّة إذا كان الخطيب يُحاضر في مجلس حسيني، والحاضرون فيه من طلبة الحوزة العلمية.

إذاً، عليه أن يكون واعياً ـ بادئ ذي بدء ـ للغة خطابه، ونوع الشريحة التي يخاطبها، وقد نجح في ذلك خطباء كثيرون، عاصرت منهم عديدين، لعلّ من أقربهم إلى الذاكرة الخطيب الأديب الشهيد السعيد السيّد جواد شبّر، الذي كان خطيب العلماء، كما كان خطيب الطبقة المثقّفة أكاديمياً؛ ولذا فالعلماء يحرصون على أن يكون هو خطيبهم في المجالس التي يعقدونها.

ومن الذكريات الدالّة على ذلك أنّني لاحظتُ أسف القائمين على عزاء مدرسة المرجع الأعلى في وقته سماحة السيّد الخوئي (طيب الله ثراه) في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وكان مصدر أسفهم أنّهم لم يستطيعوا تلبية أمر السيّد الخوئي الذي أراد أن يكون الخطيب هو السيّد جواد شبّر، بسبب أنّ السيّد عبد الحكيم الصافي عالم البصرة كان قد اتّفق مع السيّد جواد ليكون هو خطيب مجلسهم الكبير، وقد تحاشى كثير من الخطباء أن يرتقوا المنبر بحضور السيّد الخوئي ومراجع النجف ومجتهديه، حتّى امتثل الشيخ صالح الدجيلي، ليكون هو خطيب العلماء في ذلك الموسم.

هذا فيما يخصّ مجالس العلماء التي يُفتَرض أن يُراعي الخطيب فيها كثيراً من التدقيق والتحقيق في الموضوعات التي يختارها، والمرويات التي يعتمدها، والأحاديث التي يرويها، والمطالب التي يُثيرها، والنتائج التي يصل إليها، والشعر الذي ينتقيه، والفصاحة التي يتحلّى بها.

لغة المنبر وثورة الثقافات

لا بدّ من ملاحظة أنّ الذين يعتمدون في منابعهم الفكرية على الطريقة الحداثوية في

تحليل النصّ، ومناقشة الدين بموضوعية صرفة، وعدم التقديس لما هو سائد، إلّا ما كان متّصلاً بكتاب الله الكريم فقط، هؤلاء يحتاجون إلى لغة أُخرى في الخطاب، أو بتعبير أدق: هؤلاء لا تؤثّر فيهم اللغة الدرسية بطابع المنطق الأرسطي المتعارف لدى كثير من الدارسين الدينيين، بل هنا تفشل اللغة في إيصال الفكر الحسيني، ومرامي النهضة الحسينية.. والخلل ليس في النهضة، ولا في ثقافة هذه النهضة الحسينية، بل في طريقة الإيصال، أو في استعداد المتلقّي، فكيف لو أراد الخطيب أن يتخطّى بتأثيره الوعظي الإقناعي دائرته المحلّية؟ أو قرّر أن يكون خطابه حضارياً عالمياً.. فكيف ينجح؟

هذا يحتاج أن نتوجّه بمجسّات التحليل إلى المنهجية العلمية التي تتصل بالخطاب، ونجعل نصب أذهاننا هذه الأسئلة الثلاثة: كيف يكون الخطاب عالمياً؟ وكيف يكون ناجحاً؟ وكيف يكون مؤثّراً؟

وهذا البحث في غاية الأهمّية، وربّما أجعله بحوثاً مستقلة، أختصرها ـ إن شاء الله ـ في مقالات قادمة، لكنّني سأشير هنا إشارات سريعة مستفادة من القرآن الكريم، وشيء يسير من الحديث والمرويّات، ثمّ أجعل مدخلاً إلى تلك البحوث المستقبلية في هذا البحث المتواضع، من خلال شواهد لغوية، ومشاكل واقعية، مع تطعيمها برفدٍ ما؛ لتحسين القدرة الخطابية وتحصينها، وسأحرص على إشارات ونصائح لتطوير السليقة لدى الخطيب، واكتساب الطبع الخطابي، بعد التنبيه إلى نقاط تنفعه في المران والدربة، واكتساب الملكة.. وهذا كلّه يدور حول لغة الخطاب كلغة، وليس بالضرورة أن يكون مختصّاً باللغة العربية وحدها، وإن كانت المشاكل التي سأُشير إليها مشخّصة من واقعنا العربي.

كيف تكون لغة الخطاب المنبرية ناجحة؟

في القرآن الكريم نجد الحثّ، بل الأمر بتشكيل (أُمّة)، هي جزء من أُمّة الإسلام، ومهمّة هذه الأُمّة الوليدة أن يأخذ أفرادها على عاتقهم الدعوة إلى الخير، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر[1]. وواضحٌ جدّاً أنّ الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وكلّ ذلك المنصوص عليه في القرآن الكريم، إنّما هو توجيه إلى إنتاج لغة خطاب بهذه المواصفات، ومواصفات أُخرى مذكورة في آيات قرآنية مباركة، وأحاديث شريفة.

إذاً، الأُمّة المسلمة بمجموعها، مدعوّة إلى أن يتشكّل منها قلب نابض، ذلك القلب هو (الأُمّة الصفوة)، التي تُنتج لغة خطاب سليمة، تكون قادرة على مخاطبة الآخرين المختلفين في الدين، والقِيَم، والمُثُل، والطباع، والتقاليد، والأعراف، والميول، والأهواء، والعُقَد، والتحزّبات، والاتجاهات، والقناعات، والقابليات، وأنماط التفكير.. مع مراعاة الدقّة في معالجة رواسب الشرك، ومخلّفات الكفر، وموروثات الفساد، إلى آخر ما ينبغي الالتفات إليه أو مراعاته، أو طريقة تخليص الآخرين من شباكه، ومن وتائر استحكامه في النفوس، حتّى يكون الخطاب مؤثّراً غاية التأثير، دون التنازل عن حقٍّ لله، أو حقٍّ للإنسانية، مقابل نزعات شخصية، أو مصالح غير شرعية.

وفي معرض توصيف الأُمّة الإسلامية التي تستحقّ هذه السمة، نستكشف أنّها تمتلك عقلانية الحوار مع أبناء الأديان الأُخرى، بحيث يقتنع أُولئك بأنّ الخير الحضاري كلّه يكون بالإيمان بهذا الدين الذي يحرّر العقل من سُباته، والفكر من ركوده، والإرادة الإنسانية الخيّرة من شللها، يقول ربّنا الجليل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾[2].

(١) ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) آل عمران: آية ١١٠.

وهذا كلّه قد جعله الإمام الحسين عليه السلام محوراً لخطاب حضاري إقناعي، وهو يخاطب أعداءه المحدقين به، بل جعلهم جسراً من حيث لا يشعرون لإيصال خطابه إلى كلّ أجيال الأرض، وعلى هذا السبيل سار الأئمّة عليهم السلام من آل الرسول صلى الله عليه وآله، وهم يخاطبون بالحسين عليه السلام العقل الإنساني، والفكر الوجداني، حتّى أخذ عنهم تلامذتهم وأتباعهم هذا النفس البهي في خطاب الآخر المختلف، بل حتّى المعادي.

وقد رأينا التلازم والتواؤم بين النهضة الحسينية الجهادية والنهضة العلمية المعرفية الثقافية الحضارية، وهذا له جذوره القوية في القرآن الكريم؛ إذ نجد الحثّ عليه، بل النهي عن التقاعس في النفر باستعداد علمي، بموازاة النفر بالاستعداد العسكري، بدلالة الآيات: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وأكثر من ذلك نتحسّس في هذه الآية المباركة اللّوم؛ بسبب انشغال جميع أبناء الأُمّة المسلمة بالنفر إلى القتال بمجموعهم، مع تأكيد انتقاء مجموعات من كلّ فرقة، ليكونوا متفقّهين في الدين، متمكّنين من لغة خطاب سليم، من أجل أن ينذروا الآخرين من قومهم إذا رجعوا إليهم، لعلّهم يحذرون.

إذاً؛ فمُتلازِمة النفر العلمي والنفر النهضوي متضافرة الوشائج، وقد أنتج أئمّتنا الطاهرون عليهم السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ذهنيةً قتالية جديدة، بل وفريدة، تلك هي ذهنية قتال الجهل أوّلاً، وإذا استدعت الظروف القاهرة قتال الأعداء فلا بدّ أن يكون قتالاً بقيادة معصومة لا تُخطئ أبداً، ولو بنسبة الواحد بالمليون، يُضاف إلى ذلك أنّه قتال مشروع راقٍ جدّاً، يتخندق فيه العلم والجهاد الواعي الذي يحافظ على سلامة الوجود الإنساني في خندق واحد معاً، وبلا انفكاك، وهذا من أهمّ مرتكزات الخطاب الحضاري الذي يُفتَرض بالخطيب الحسيني أن يُبدع فيه كلّ الإبداع.

(١) التوبة: آية١٢٢.

التحذير من تكرار الخطأ القاتل

اللافت للانتباه أنّنا نجد التحذير الإلهي المستمرّ لنا؛ حتّى لا نقع فيما وقع فيه أهل الكتاب السابقون، الذين فشلوا في أخذ الدين أخذاً صحيحاً، وكذلك فشلوا في الدعوة إليه بلغة خطاب سليم، وهذا التحذير الإلهي يتكرر كثيراً في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، كما هو دائم التكرار في الأحاديث المعصومة الشريفة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد في القرآن المجيد تشخيصاً لفشل لغة الخطاب الديني اليهودي، وإنّما ضرب الله ذلك مثلاً لِحِكم وفوائد، ومن المؤكّد أنّ منها أخذ العبرة؛ حتّى لا نقع في أخطائهم، فنصير إلى ما صاروا إليه من فشل ذريع في خطاب الآخر، وانتهى بهم الأمر إلى أنّهم حصروا ديانتهم في عِرقهم وحدهم، دون أيّ عرق بشري على وجه الأرض، لذا هم لا يدعون الناس إلى اعتناق الديانة اليهودية؛ لأنّهم يرون أنفسهم وحدهم الأفضل، وأنّ الدين لا يستحقّه أحد غيرهم، وقد استبدلوا الدعوة إلى دينهم بالكيد للأديان الأُخرى من أجل تهديمها وتحطيمها.

يقول ربّنا الجليل (عزّ مِن قائل): ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ * وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ * وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ * أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ * ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[1].

ونحن نستفيد من هذه الآيات المباركة أنّ لغة الخطاب اليهودية كانت فاشلة تمام

(١) البقرة: آية ٤٠ ـ ٤٨.

الفشل، وإذا أردنا أن لا نقع في فشلهم، فعلى كلّ واحد منّا ـ خصوصاً كلّ داعٍ إلى الله باسم الحسين عليه السلام ـ أن يذكر نعمة الله الحسينية باستمرار، ولا يكون انتماءٌ إلى الإمام الحسين عليه السلام إلّا بمعرفة نعمة الله التي منّ بها علينا؛ وهي معرفة هذا الإمام عليه السلام، والهدى الذي يمثّله، والسير على منهجه؛ ولذا يقف كلّ زائر على قبره فيقول: «**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله... اللهمّ إنّي أشهد أنّ هذا قبر ابن حبيبك وصفوتك من خلقك**»(١).

ثمّ إنّ بين أيدينا أحاديث شريفة تؤكّد على غفران ذنوب مَن يزور الإمام الحسين عليه السلام ارفاً بحقّه، وهذا عهد من الله، والله يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٢)، فلا بدّ ـ بدايةً ـ أن يكون وفاء منّا بعهد الله، حتّى يكون وفاء من الله بعهده لنا.. ومن وفائنا بعهد الله أنّنا لا نَرهب إلّا الله ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾(٣)، ولا تأخذنا في الحقّ لومة لائم، ولا غضبة ظالم، وأن نؤمن إيماناً حقيقياً، ونعمل على طبق إيماننا بكلّ ما أنزل الله، ولا نكون أوّل كافرين به، ولا نشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، كلّ هذا يأتي مقترناً بالتقوى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾(٤).

وعلينا أن لا نُلبس الحقّ بالباطل، وأن لا نكتم الحقّ في كلّ ما نفعل، وفي كلّ ما نقول، خاصّة وأن مَن يرتقي المنبر يكون عماد خطابته الكلام، فلا بدّ أن يكون متأكّداً من صحّة كلامه كلّ التأكّد، ولا يتحدّث بمسموعات لا أصل لها في التاريخ والحديث الشريف.

كما علينا أن نُقيم الصلاة، بكلّ ما يعني فعل الأمر (أقيموا)، وأن نؤتي الزكاة، بكلّ ما تعني كلمة (آتوا)، وأن لا نركع إلّا لله، على منهج المؤتين الزكاة وهم راكعون،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٠٠.
(٢) البقرة: آية٤٠.
(٣) البقرة: آية٤٠.
(٤) البقرة: آية٤١.

وهو منهج سيّدنا وإمامنا علي بن أبي طالب مع أخيه الرسول وآلهما عليهم السلام، فلا نتقدّمهم بقول، ولا نقصّر عن أفعالهم بأيّ فعل.

وعلى كلّ خطيب أن ينتبه جيّداً إلى لغة خطابه الأقوالي، ولغة خطابه الأفعالي؛ حتّى لا يكون مصداقاً للآية المباركة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، وهذا كلّه يحتاج إلى استعانة بالصبر والصلاة، مع يقين تام بأنّنا إلى ربنا راجعون، وله ملاقون، فيجب أن نعمل أعظم الأعمال بأخلص النوايا لله، وقد أكّد سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام على هذا الصدق في لغة الواعظ قولاً وفعلاً بكلمته الراقية في نهج البلاغة: «**أيّها الناس، إنّي والله ما أحُثّكم على طاعةٍ إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيةٍ إلّا وأتناهى قبلكم عنها**»[2].

فإذا أحاط الخطيب بكلّ ذلك، امتلك الصدق العقيدي، والصدق العاطفي، والصدق الخطابي، فيكون بتوفيق الله قادراً على التأثير في الناس، وهذه بعض مفاتيح نجاح الخطاب الذي يُفترَض أن يكون مؤثراً في الآخرين، ومن البديهي أنّنا لا نستطيع التأثير في الآخرين إلّا إذا غيّرنا أنفسنا بما نَعِظ به غيرنا، وجعلناها على طبق المنهج الذي ندعو إليه.

وللإنصاف إنّنا وجدنا على طول تاريخ الوجود الولائي لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّ خطباء لامعين كانوا أهلاً لتمثُّل هذه الوصايا وأخذ هذه الأوامر القرآنية، خطاباً وسلوكاً، وقد كان نزولهم إلى ساحة التصدّي والتحدّي باسلاً، وهم يجاهرون بالمعارضة، ويرفعون أقنعة زيف إعلام السلطات الغاشمة، كاشفين الحقيقة للناس جميعاً، لقد كانوا أفذاذاً وهم يثبون أُمناءَ لتشخيص الحقّ، وإدانة الباطل، بما في ذلك من إدانة للحاكمين الظالمين، ممّا يستدعي التضحية بالنفس والنفيس من أجل هذه القيم الناصعة.

---

(١) البقرة: آية ٤٤.

(٢) نهج البلاغة (خطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام): ص ٢٥٠، الخطبة ١٧٥.

وللأمانة التاريخية، لقد رأيتُ شخصيّاً عدداً من خطباء المنبر الحسيني الذين اعتُقلوا، وسُقوا السمّ في معتقلات الأمن الصدّامي سيئة الصيت، رأيتهم بعد أن خرجوا من السجن، وهم يعانون من آثار السمّ القاتلة حتّى ماتوا شهداء مسمومين، ومنهم الخطيب الأديب الشيخ إبراهيم فرج الله في البصرة، والخطيب الأريب الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق في النجف الأشرف.

الخطابة الحسينية وأعراف الشعوب

وعلى الخطيب الحسيني ـ خاصّة إذا كان متنقلاً في البلدان ـ أن يلحظ أنّ للشعوب ثقافات وأعرافاً وتقاليد، ولكلّ لغة خصائص، ولكلّ مستوى ذائقة، ولكل ذائقة قنوات تأثير، فعليه أن يلتفت إلى كلّ ذلك، ويتعاطى معه التعاطي العلمي التام.

ومن ذلك أنّ شعوباً تعيش انفتاحاً اجتماعياً قد لا يكون مرضيّاً في مجتمع الخطيب نفسه، فعليه أن لا يُسقط لغة خطابه في مجتمعه على هذا المجتمع، وكذا فإنّ هناك أمراضاً اجتماعية في بعض المجتمعات، من قبيل (الغيبة) التي يُكثر الخطباء الكرام تحذيراتهم منها، ويفصّلون في آثارها المدمّرة، بينما لا نجد هذا المرض لدى شعوب مجتمعات أُخرى.

إنّ الاختلاف بين المجتمعات أمر موجود، ويكاد يكون طبيعياً، والخطيب الحسيني الذي يُدعى من بلده إلى بلد آخر عليه أن يطّلع اطّلاعاً كافياً على العادات الاجتماعية في البلد الذي يسافر إليه، ويحاضر فيه، كما عليه أن يسأل عن الأمراض الاجتماعية التي فيه، فيحاول علاجها بالقرآن الكريم، وبالصحيح من الحديث الشريف، واغتنام التلاقي العلمي بين الدين والعلم، ليكون كلّ ذلك بارزاً في خطابه الذي يُفترَض أن ينفع هذا المجتمع بما يرضي الله، وبما ينتمي حقيقةً إلى المنهج الحسيني المعصوم، ولا بدّ من ابتعاد أيّ خطيب في محاضراته وحواراته عن آرائه الشخصية، التي لا يملك عليها أدلة من القرآن الكريم والحديث الصحيح الذي يعضده العلم الحديث.

أبديّة الخطاب الحسيني ـ المحمّدي

ثمّة ملاحظة تستحقّ التأمّل، تُثير دهشتنا ونحن ندرس ـ دراسة علمية ـ لغةَ الخطاب الديني المنتمي إلى أهل بيت رسول اللهﷺ، ملخّصها أنّنا نلاحظ على أرض الواقع أنّ كلّ خطاب ديني أو غير ديني يحتاج إلى مواكبة الأساليب الحديثة، ولو على حساب المبادئ والقِيَم والأهداف والشعارات، وإلّا كان ضعيف التأثير، وبمرور الوقت يكون قد أكل الدهر عليه وشرب.

ويُستثنى من هذا الخطاب المنتمي لآل محمدعليهم السلام؛ فهو يحمل جِدَتَه معه، ويكتنز في ذاته طراوته، ويحافظ على تناغمه مع كمال الإنسان، على امتداد الزمان، وباختلاف مساحات المكان، فلا يحتاج الخطاب المحمدي الحسيني إلى القفز على المبادئ، ولا التحايل على القِيَم، ولا التناسي للأهداف، ولا التغاضي عن الشعارات، أو تغييب ما أصبح قديماً.

إنّنا نحتاج ـ فقط ـ أن نطوّر حديثنا عنه، أو حديثنا به، أو حديثنا منه، أو حديثنا فيه، لا أن نكون بزعمنا مطوّرين للخطاب الديني المحمدي (الأئمّتي) المعصوم بنفسه، فهو القمّة التي يرنو إليها كلّ متطلّع إلى النور، أو الهدى، أو العلم، أو الحبّ، أو الحرية، أو السعادة، أو كلّ قِيَم الخير والفضيلة.

وأمّا المشاكل ـ إذا وُجدَت ـ فهي في لغة خطاب المتحدّثين عنهم، والمبشّرين بهم، والداعين إليهم، ولا يمكن تجاوز تلك المشاكل اعتماداً على (حقّ البركة)، أو مقولة (لا يُترَك الميسور بالمعسور)، بل علينا أن نشخّص تلك المشاكل تشخيصاً دقيقاً، ثمّ نسعى إلى تحصيل الحلول.

أكثر من مشكلة في لغة الخطاب

نعترف بأنّ هناك أكثر من مشكلة مرتبطة باللغة الخطابية المنبرية، ولا أعني طبعاً باللغة: واحدةً من مجموعة اللغات العالمية المنطوق بها، إنّما أتحدّث عن اللغة كماهيّة

لغويّة، يتعاطى الخطيب بمفرداتها، وتراكيبها، وصياغاتها، وإشاراتها، وكناياتها.. وإن كانت العيّنات التطبيقية هنا مأخوذة من اللغة العربية.

ومن تلك المشاكل، مشكلة وجود مفردات مرتبطة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام لا يفهمها كثير من سامعيها، بل لا يفهمها حتّى كثير من الذين يقولونها على المنابر، وتتفاقم المشكلة كلّ التفاقم إذا أراد غير المختص ترجمتها إلى اللغات العالمية الأُخرى.

ومن تلك المفردات كلمات كانت في التاريخ الماضي تعني أشياء بعينها، وهذه الأشياء كانت في وقتها مفهومة ومعروفة، أمّا في عصرنا الحاضر فلا يعرفها أغلب الناس، من قبيل (**قَربوس**)، وهي كلمة يكاد جميع قرّاء المقتل الحسيني يقرؤونها في اليوم العاشر من المحرّم، وفي كثير من مجالس رثاء الشهيد علي بن الإمام الحسين عليهما السلام، ومَن منّا لا يتذكّر المقطع الذي تضمّن هذه الكلمة؟! وهو: «**قال حميد بن مسلم الأزدي: كنت واقفاً وبجنبي مُرّة بن منقذ، وعلي بن الحسين يشدّ على القوم يمنة ويسرة فيهزمهم، فقال مُرّة: عليّ آثام العرب إن مَرّ بي هذا الغلام لأُثكلنّ به أباه. فقلت: لا تقل، يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه. فقال: لأفعلن. ومَرّ بنا عليّ، وهو يطرد كتيبة، فطعنه برمحه، فانقلب على (قربوس) فرسه، فاعتنق فرسه، فكرّ به على الأعداء...**»[1].

ومعنى «**القَرَبوسَ: حِنْوُ السَّرْجِ، وهما قَرَبُوسَانِ، وهما مُتَقَدَّمُ السَّرْجِ ومُؤَخَّره**»[2]، وهي مفتوحة الراء، وليس تسكينها على ألسنة الخطباء إلّا لهجة بعض القبائل العربية، وهي كلمة تختصر لنا المشهد بكامله؛ فالطعنة إذاً، كانت غادرة، بدليل انقلاب علي ابن الحسين على قربوس فرسه، ثمّ إنّ الفرس الأصيل الذي احتمله إلى الأعداء، إمّا حجب الدم النازل على عينيه مجال الرؤية، أو أنّه لم يكن يشعر بإصابة علي بن الحسين عليه السلام، وشعر بثقل ضغطه على قربوسه ممّا يدعوه إلى مواصلة العدو بالاتجاه نفسه، ولهذا أخذه إلى وسط معسكر الأعداء، فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً!

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢١.
(٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٨، ص٤١٠.

وأغمضُ من كلمة (**قَربوس**) كلمتا (**مُدعّس**)، و(**مُكردس**) في البيتين اللذين ينشدهما قُرّاء المقتل في يوم الفاجعة، ويترددان على ألسنة الخطباء في كثير من مجالسهم، لكن لو سألهم سائل: ما معنى مُدعّس؟ أو ما معنى مكردس؟ فكم يا ترى منهم مَن يعرف الجواب؟ قد يجيبون إجابات تقريبية مستقاة من سياق البيت الشعري، لكن المعنى اللغوي لهاتين الكلمتين مجهول لدى كثيرين، ولا أُحب أن أقول عند أكثرهم، مع أنّ مراجعة متأنّية لمعاجم اللغة تسعفهم بالمعاني.

فالـمُدَعَّس: أصله بلا تشديد، وإنما شُدّد للمبالغة، ومعناه اللغوي: الرمح الشديد الذي لا ينثني، يقول ابن منظور: «**والمِدْعَسُ: الرمحُ يُدْعَسُ به، وقيل: المِدْعَسُ من الرماح: الغليظُ الشديدُ الذي لا ينثني، ورمح مِدْعَسٌ والمَداعِسُ: الصُّمُّ من الرماح، حكاه أبو عبيد، والدَعْسُ: الطعنُ والمُداعَسَةُ المُطاعَنَةُ، وفي الحديث: فإذا دَنا العدوُّ كانت المُداعَسَةُ بالرماح، حتّى تُقْصَدَ، أَي: تُكْسَر، ورجلٌ مِدْعَسٌ: طَعَّانٌ، قال:**

لَـتَـجِـدَنِّي بـالأَمـيرِ بَـرًّا ... وبالقَناةِ مِدْعَساً مِكَرّا»[1].

وأمّا المكردس، فلا يُعرف معناه من أوّل وهلة؛ لأنّ المعنى اللّغوي يحوم حول التقييد وشدّ الأيدي والأرجل، قال أكثر من واحد من أهل اللغة: «**ورجل مُكَرْدَس: جُمِعت يداه ورجلاه فشدَّت**»[2]؛ ولذا لا يستطيع مَن يتصفّح كتب اللّغة تصفّحاً سريعاً أن يفهم المراد من البيتين:

قـومٌ إذا نُـودوا لِدَفْـعِ مُلِمَّـةٍ ... والخَيْـلُ بَيْنَ مُدَعَّـسٍ ومُكَرْدَسِ

لَبسُوا القُلوبَ على الدُروعِ وأقْبَلوا ... يَتهافتونَ على ذَهابِ الأَنْفُسِ[3].

فلا بد من التعمّق في كتب اللغة، وقد أجاد صاحب معجم (تاج العروس) حين

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٦، ص٨٣.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٥، ص٤٢٦.

(٣) هذان البيتان شائعان في كثير من الكتب التي أرّخت لمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وفي كلّ سنة يقرؤها على المنابر جمع غفير من خطباء المنبر الحسيني.

قال: «كَرْدَسَ القائدُ الخَيْلَ: جَعَلَهَا كَتِيبَةً كَتِيبةً، والكَرْدَسَةُ: الوَثَاقُ، حُكِيَ عن المُفَضَّل: يُقَال: فَرْدَسَه وكَرْدَسَه: إذا أَوْثَقَه، وأَنْشَد امرئ القَيْس:

فَبَاتَ علَى خَـدٍّ أَحَمَّ ومَنْكِبٍ ضِجْعَتُه مِثْلُ الأَسِيرِ المُكَرْدَسِ

وأَرادَ: مثْل ضجْعَة الأَسير. وقالَ الأَزْهَرِيُّ: يقال: أَخَذَه فعَرْدَسَه ثُمَّ كَرْدسَه، فأَمَّا عَرْدَسه: فصَرَعَهُ، وأَمّا كَرْدسَه: فأَوْثَقَهُ. والكَرْدَسَةُ: مَشْيٌ في تَقَارُبِ خَطْوٍ كالمُقَيَّد، عن ابن عَبّادٍ. والكَرْدَسَةُ: السَّوْقُ العَنيفُ، والطَّرْدُ الشَّديدُ. وكُرْدِسَ الرَّجُلُ بالضَّمِّ مَبْنيّاً للمَجْهُول: جُمِعَتْ يَدَاهُ ورِجْلاهُ فشُدَّتْ. والمُكَرْدَسُ على صِيغَة المَفْعُول: المُلَزَّزُ الخَلْقِ، قال هِمْيَانُ بن قُحافَةَ السَّعْديُّ: دِحْوَنَّةٌ مُكَرْدَسٌ بَلَنْدَحُ...»[1].

إذاً، الشاعر يعنيه المعنى الثالث للكردسة، الذي هو تحديداً: السوق العنيف، والطرد الشديد، ويبقى البيت الثاني يحتاج في فهمه إلى ذائقة بلاغية، فالقصد أنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام لا يلبسون الدروع على صدورهم خشيةَ اختراق السهام والرماح والسيوف لقلوبهم، بل يلبسون قلوباً هي أصلب من الحديد، فتتدرّع دروعهم بقلوبهم، لا قلوبهم بدروعهم، في وصف جميل للثبات والتضحية المنقطعة النظير.

ولم أسمع خطيباً وضّح هذين البيتين وشرحهما شرحاً لغوياً ثمّ بلاغياً، حتّى يتسنّى فهمهما لسامعيهما، مع أنّ أغلب الموالين يكادون يحفظونهما من كثرة ما سمعوهما، وللإنصاف أيضاً أقول: إنّ هذه الكلمات ومعانيها ودلالاتها البلاغية كانت من بديهيات الخطباء القدامى، ومن أولويات دراساتهم المعمّقة، يختبرون بها طلابهم، حتّى يتمكنوا منها، ويحفظوها.

إنّ هذه الكلمات ـ وكثيرٌ مثلُها ـ يُفتَرض أن تُعطي ثروة لغوية للخطيب، بدلاً من أن تكون سبباً لإحراجه، ثمّ إذا هو عرف معناها وحفظه، فسيكون من المناسب توضيحه لسامعيه، وبذلك يستطيع الخطيب أن يشيع الثقافة اللّغوية في المجتمع لو

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٨، ص٤٤٢.

أنّه في كلّ مجلس تناول بالتوضيح مفردة من المفردات، إضافة إلى أنّ هذا يعزّز ثقة مستمعيه به؛ إذ يرونه أوسع اطّلاعاً منهم، يوضّح لهم ما يجهلونه هم أنفسهم.

والأهمّ من ذلك أنّنا إذا أردنا الترجمة إلى اللّغات العالمية الحيّة، فلا بدّ أن نفهم المعنى المراد، وإلّا كانت الترجمة من أفشل الأعمال، وبدلاً من أن تشدّ غير العرب إلى التفجّع على مقتل الإمام الحسين عليه السلام بلغة قصصية مؤثّرة، ستنكفئ هذه الترجمات إلى أدنى مستوى من التأثير لدى الناطقين بغير العربية.

مشكلة أُخرى في التركيب والجُمل

توجد تراكيب بعينها تعني دلالات خاصّة لدى دارسيها، أو إحالات مفهومة في وقتها، لكنّها الآن قد تبدو غريبة، أو على الأقل لا يُعرف المراد منها، فهي غائمة لدى قارئيها وسامعيها على السواء، وعصيّة على المترجمين إلى اللّغات الأُخرى.

وسآخذ على سبيل المثال نصّين من كُتب مقتل الإمام الحسين عليه السلام، الأوّل: «**هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول**»[1]، ويقول قُرّاء المقتل أنّ الشمر بن ذي الجوشن اللّعين قاله في ردّ كلام الإمام الحسين عليه السلام، ممّا حدا بحبيب بن مظهّر ـ وليس مظاهر ـ الأسدي أنّ يردّ عليه بقوّة.

وأجزم أنّ كلام الشمر هذا غير واضح لدى (٩٩٪) من سامعي المقتل، ولكي يتوضّح المراد أعود إلى المقطع كلّه، بدءاً من قول الإمام الحسين عليه السلام: «**أَوَلَمْ يَبلغْكم قول مستفيض فيكم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذانِ سيّدا شبابِ أهلِ الجنّة؟ فإنْ صَدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تَعمّدتُ كذباً مُذ علمتُ أنّ الله يَمقتُ عليهِ أهلَه... وإنْ كذّبتموني فإنّ فيكم مَنْ إنْ سَألتموه عن ذلكَ أخبرَكم؛ سَلوا جابرَ بنَ عبدِ الله الأنصاري، أو أبا سعيدٍ الخدري، أو سهلَ بنَ سعد الساعدي، أو البراءَ بنَ عازب، أو زيد**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٣. أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١١٨.

ابنَ أرقمَ، أو أنسَ بنَ مالك، يُخبِروكُمْ أنّهم سَمِعوا هذه المقالةَ مِن رسولِ الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي. أَما في هذا حاجزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دمي؟ فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول. فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك...»[1].

فبعد هذا المقطع يخرج السامع بنتيجتين معاكستين للمراد، الثانية: أنّ حبيب بن مظهّر الأسدي يشهد للشمر بن ذي الجوشن بأنّه صادق، والأُولى: أنّ الشمر يقول: هو [أي: الحسين عليه السلام] يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، وهنا كارثة معنوية، بكلّ ما تعني الكلمة، ولن تنفعنا كتب اللّغة وحدها في الخلاص منها، بل لا بدّ من الرجوع إلى القرآن الكريم أوّلاً، وإلى كتب تفسير القرآن ثانياً، وإلى كتب البلاغة ثالثاً، بعد ذلك يتّضح المراد، ونحصل على ترجمة دقيقة لهذا القول من الشمر، وردّ حبيب الأسدي.

أمّا القرآن الكريم فيعطينا هذه الآية المباركة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[2]، وأمّا كتب التفسير فتعطينا هذا التوضيح الذي اختصره الزمخشري في كشّافه بقوله في كشف معنى (على حرف): «**على طرَف من الدين، لا في وسطه وقلبه، وهذا مثَل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، وإلّا فرّ وطار على وجهه. قالوا: نزلت في أعاريب قدِموا المدينة، وكان أحدهم إذا صحّ بدنه ونتجت فرسه مهراً سرياً، وولدت امرأته غلاماً سوياً، وكثر ماله وماشيته، قال: ما أصبتُ منذُ دخلتُ في ديني هذا إلّا خيراً. واطمأنّ، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلّا شرّاً. وانقلب. وعن**

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٨. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٢٥، وغيرهما من كتب المقاتل.
(٢) الحج: آية١١.

أبي سعيد الخدري: أنّ رجلاً من اليهود أسلم، فأصابته مصائب، فتشاءم بالإسلام، فأتى النبي (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، فقال: أقلني، فقال: إنّ الإسلام لا يُقال، فنزلت»[1].

إلى هنا يبقى المراد غائماً، فما معنى أن يقول الشمر مقاطعاً كلام الإمام الحسين عليه السلام: هو على طرف من الدين، لا في وسطه وقلبه، مع قلق واضطراب في دينه، لا على سكون وطمأنينة، إن كان يدري ما تقول؟!

وحين نأتي إلى البلاغة، نعرف أنّ النقل عن القائل يكون بالنص تارةً، وبالمعنى تارةً أُخرى، وإذا كان نصّ كلام القائل فيه كفر، أو قُبح شديد، فيحقّ للناقل أن يغيّر الضمير من (ضمير متكلّم) إلى (ضمير غائب)، فمثلاً إذا سمع صديقك (أحمد) من عدوّك (خالد) قوله لك: (أنا أكرهك)، وأراد هذا الصديق أن يخبرك بكلمة العدو، لكنّه لا يريد أن يقول لك نصّ كلمته القبيحة (أنا أكرهك)؛ لأنّها لا تليق أن تُقال لك في وجهك من لسان صديق محبّ، فيحقّ لأحمد أن يقول لك: عدوّك خالد قال لك هو يكرهك، باستبدال ضمير المتكلّم (أنا)، إلى ضمير الغائب (هو)؛ تنزيهاً للناقل (صديقك أحمد) عن قول القائل الذي هو (عدوّك خالد).

عند هذا يتّضح لنا أنّ السيّد محسن الأمين في (لواعج الأشجان) وغيره من كُتّاب المقتل ورواته وقرّائه، لم يُرِدْ أيٌّ منهم أن يقول: أنا أعبد الله على حرف، لبشاعتها، وصراحتها بالنفاق، أو الكفر، فقالوا: «**هو[أي: الشمر] يعبد الله على حرف إن كان [أي: الشمر] يدري ما تقول [يا حسين]**».

وبهذا يكون المعنى: أنّ الشمر أراد أن يصوّر للناس أنّه هو المؤمن، وأنّ كلام الإمام الحسين عليه السلام لا واقع له، وتأكيداً لذلك فإنّ الشمر يجعل نفسه مصداقاً لـمَن يعبد الله على حرف لو كان يدري أنّ رسول الله قد قال للحسن والحسين عليهما السلام أنتما

(١) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشّاف: ج٣، شرح ص٧. وتُراجع كتب تفسير القرآن التي تعرّض مؤلّفوها لتفسير هذه الآية.

سيّدا شباب أهل الجنّة؛ ولذا شهد له حبيب بن مظهّر الأسدي بما معناه: أنّك يا شمر صادق في قولك: إنّك تعبد الله على طرف من الدين، لا في وسطه وقلبه، بل تعبده على سبعين طرفاً، مع قلق واضطراب في دينك، وهذا هو عين النفاق، ومحض الكفر، فقد شهد الشمر على نفسه بالنفاق والكفر، وصدّقه حبيب الأسدي على شهادته؛ لأنّ جميع المسلمين قد وصل إليهم حديث الرسول صلى الله عليه وآله المتقدّم.

فكم يحتاج المترجمون إلى دقّة في فهم المراد، وإلى انتقاء المفردات الدالة على هذا المعنى في اللغات التي يريدون أن يُترجموا إليها هذا النصّ؟!

ومثل هذه العبارة، قول الإمام الحسين عليه السلام أكثر من مرّة لأكثر من شخص: «**ثكلتك أُمّك**»[1]، ومن المضحك المبكي ما كان من كاتب سيناريو فيلم عن الإمام الحسين عليه السلام، يدّعي أنّه استغرق عشر سنين في كتابته، وأراد أن يخرجه سينمائياً، وقد اعترضتُ على كثير من هفواته، ثمّ جمعنا لقاء طويل، فقال لي، والمترجم يُترجِم: كثير من الأشياء غير صحيحة في كلام الروحانيين ـ يقصد المعمّمين من رجال الحوزة العلمية والخطباء الحسينيين ـ فقلتُ له: مثل ماذا؟ فقال: كيف ينال الإمام الحسين في كلامه من أُمّ رجل بقوله ثكلتك أُمّك؟ فقلتُ للمترجم: قل له: وماذا تعرف عن عبارة ثكلتك أُمّك؟ فردّ بأنّ الإمام الحسين عليه السلام يتّهم أُمّ الرجل بشرفها!

إنّ هذا الابتعاد عن فحوى الدلالة المعنوية للكلمات، تجعل حتّى العرب يقعون في غياب فهم المراد، إذ معنى (ثكلتك أُمّك): أصبحتْ أُمّك ثكلى بك، وهذا دعاء على المخاطَب بأن يموت، فتفقده أُمّه ميتاً، فتصبح ثكلى به، فأين هذا المعنى من المعنى الذي انصرف إليه ذهن كاتب سيناريو معروف، ممضياً من وقته عشر سنين في البحث والتنقيب والتحقيق والكتابة وتدقيق النصوص؟!

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٤.

مشاكل أُخرى جارحة

المشاكل في لغة الخطاب ـ التي ينبغي للخطيب أن يتجنبها أو يعالجها أو يتخلّص منها ـ كثيرة، والمشكلة تارة تُثار في الوسط المعادي، وهذه قد تُشخّص بسهولةٍ، وتارة تُثار في الوسط المؤيّـد، لكن بعفوية، وهذه يمكن أن تُعالج بلا اعتراضات قوية من المؤيّدين الذين يجمعنا وإيّاهم حبّ الإمام الحسين عليه السلام، بل والتضحية من أجله بكل غالٍ ونفيس، ولكنّها تتفاقم حين يظنّ بعض المؤيّدين أنّها عين النصرة للإمام عليه السلام، فيتبنونها بلا رويّة تمحيصية، وبلا رؤية استراتيجية.

وتارةً تكمن المشكلة في عدم قراءة الحركة التاريخية التي تؤثّر في صنع الأحداث، أو في تطويق الأحداث، وهناك أيضاً مشكلة تتصل بطريقة الإيصال والتوصيل والتبشير والتثوير.

وكل تلك المشاكل حريّة بالدراسة، لكنّني سأُخصص الحديث عن المشكلة الأخيرة المتصلة بطريقة الإيصال والتوصيل والتبشير والتثوير، من زاوية تأثيرها في لغة الخطاب نجاحاً أو فشلاً.

ولهذه المشكلة أشكال متعدّدة، بل أصناف شتّى، ومنها: إنّنا نجد في الغالب لدى المبتلين بها أن يكون الخطاب لديهم بلغة هشّة، فقيرة المفردات، عامية التراكيب، وعلى وتيرة واحدة، ولا يناغي قائلها إلّا مستوى واحداً من التلقّي، ومثل هذا الخطاب سوف يعيش قطيعة مع أغلب المتلقّين.

ولعلاج هذه المشكلة لا بدّ من أن يتّجه الخطيب إلى تصحيح لغة الخطاب نفسها، فهو بحاجة إلى أن يتأمّل في اللغة، كلغة خطاب واضحة، مؤثّرة، وحضارية، فلا غنى عن اختيارها بدقّة وعناية.

وتتفاقم القطيعة بين مرتقي المنبر الذي يعاني من هذه المشكلة وشريحة الأُدباء والشعراء؛ إذ لا بدّ أن يكون الخطيب الحسيني مُلِمّاً بالبلاغة العربية، ودقيقاً في قراءة

الأبيات الشعرية؛ لأنّ أيّ خلل في أداء قراءة البيت الشعري سوف يجعل هؤلاء الأُدباء والشعراء ينفرون منه، بل ربّما يسخرون منه، وربّما هجاه بعضهم.

فعلى الخطيب أن يُجيد وزن الأبيات الشعرية عَروضياً، ويُجيد التكلّم بفصاحة، وأن لا يكون حديثه فقيراً جدّاً فيما يتّصل بالكنايات والاستعارات والتشبيهات والمجازات.

هؤلاء الأُدباء والشعراء إذا أردنا أن نخاطبهم بخطاب حسيني ناجح، علينا أن نُنْعش عندهم هذا التذوّق الأدبي، فلا يمكن أن يقتنع هؤلاء بلغة خطابية منبرية غير مُستمِدّة في مفرداتها وتراكيبها وصياغاتها وعباراتها من البلاغة العربية، ومن المستوى الأدبي البياني المعروف عند الأُدباء، ويُضاف إلى ذلك هذا التحديث في الصورة الشعرية، والرمز الإبداعي الذي تخطّى الأسوار اللغوية المحلّية، وأصبح عالمياً بحق.

الحدّ الأدنى من معرفة الخطيب للبلاغة

إنّ الخطيب حقّ الخطيب هو الذي آتاه الله موهبة وتوفيقاً، فعزّز ذلك بشروط الخطيب الناجح، ولا يتمّ له ذلك إلّا إذا كان أديباً بليغاً، والبلاغة لا كما يتوهّمها بعض الدارسين من أنّها حفظ تعريفات وشواهد عن التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز بأنواعه، والمحسنات اللفظية والبديعية، فالطامة الكبرى في دروسنا أنّنا نكتفي بالتعريفات والشواهد من أجل النجاح في الامتحانات والاختبارات الدراسية، دون أن يكون عندنا تأصّل في التطبّع المعلومي التطبيقي، ويالللأسف؛ فإنّ كثيراً من الدارسين ـ فيما لو درسوا البلاغة ـ ينسون بعد الامتحان ما حفظوه، بلا اكتساب سليقة، ومران ذائقة، مع أنّ الصحيح أن نجعل التطبّع طبعاً، والمران سجية مستحكمة.

وقد أولى القدماء البيان العربي والبلاغة الأدبية أهمّية فائقة، وراح بعضهم يتتبّع المنابع البلاغية حتّى لدى أُمم أُخرى، ولغات مختلفة، ولم يكتفوا بالبلاغة من زاوية المتعارَف العربي، وهذا ما يؤكّده أبو حيّان التوحيدي وغيره عن البلاغة عند أهل الهند، وأهل الروم، وأهل فارس، فضلاً عن العرب من الأعراب والمتحضّرين: «**قال الهندي: أوّل البلاغة أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل الحركات، خفي اللحظ، متخيّر اللفظ، لا يُكلّم الملوك بكلام السوقة، ويكون في قوته التصرف في كلّ طبقة... وقال الرومي: البلاغة هي الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة. وقال الأعرابي: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقال الفارسي: البلاغة معرفة الفصل من الوصل...**»[1].

ولـمَن يرتقي المنبر الحسيني خطيباً أن يتأمّل في هذا الكلام مليّاً، فليس كلّ مَن ارتقى الأعواد أدّى حقّها، ولا كلّ مَن أبكى الحاضرين أصبح خطيباً مفوّهاً؛ لأنّ المحبّين يبكون إمامهم الحبيب الشهيد، سواء أجاد الخطيب أم أخفق، ونجح في إقناعهم أم لم يوفّق، فلا بدّ أن يدرّب نفسه على كثير من مقوّمات الخطيب الناجح، ومنها رباطة الجأش، وأن يجعل في ذهنه دائماً أن يكون قليل الحركات، وإلّا اشترك مع الممثّل أو حتّى المهرّج في التأثير في الناس، ولكن من زاوية أُخرى، وهي الأداء الحركي الشديد للجوارح، وهذا بحدّ ذاته لغة؛ فالدراسات الخاصّة بـ(لغة الجسد)، والإيحاء الحركي، قد أوسعت هذا الجانب بحثاً، حتّى اكتفى عديدون بلغة الجسد عن لغة اللسان.

وأمّا خفاء اللحظ، واختيار اللفظ، فهما من أهمّ العوامل التي تساعد الخطيب على الوصول إلى قلوب سامعيه، حتّى إذا تمكّن من كلّ ذلك، تأمّل متى يكون حديثه مقتضباً بملاحظة استعراضه لفكرةٍ بدهية، أو نتيجة بدهية، أو أيّ معلومة بدهية، أمّا

(١) أبو حيّان التوحيدي، علي بن محمد، البصائر والذخائر: ج١، ص٦٨.

إذا كان يروم الإطالة والإسهاب، فلا بدّ من أن يُحسن تطويل الكلام بلا ملل، ولا يكون ذلك إلّا بغزارة تعزّزه في المطلب والشاهد، بأحسن استعراض، وبأفضل شرح يتحاشى ملل السامع، ويتحفه بحلاوة القول، وطلاوة المنطق الجميل.

ولا ينسى بعد ذلك أن يكون حريصاً على وضوح الدلالة في كلّ كلامه، مع حُسن انتهاز الفرصة، وجمال الإشارة الكلامية المعبّرة، وأن يراعي مواضع الفصل، فلا يصل في موضع يستلزم الفصل بين الجمل، وكذا عليه أن يكون ملتفتاً تماماً إلى مواضع الوصل بين عباراته، فلا يفصل أثناء تتابع كلامه الذي يُستحسن فيه الوصل، بخلاف كلامٍ لا يتضح المعنى فيه إلّا بالفصل.

وعلى العكس من استحسان الفصل ما حكاه بعضهم: «**أنّ المأمون قال ليحيى بن أكثم: هل تغدّيت؟ قال: لا، وأيّد الله أمير المؤمنين. فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها! وكان الصاحب بن عبّاد يقول: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ**»[1].

الموهبة لا تكفي، بل لا بدّ من التدريب

ونُشير هنا إلى أنّ الخطيب الحسيني لا يكون بليغاً إلّا إذا درّب موهبته حتّى يكون ذا طبع جيّد، أو على الأقل يُحاكي الخطباء الموهوبين بلا استنساخ لأساليبهم وأصواتهم، بل يجعل له طريقة خاصّة به، مغطّياً على قصور الموهبة لديه ـ إذا كان ذا قصور ـ بمحاكاة يجتلبها، بل حتّى الخطيب الموهوب يحتاج إلى التمرين، وربّما إلى التصنّع الذكي أيضاً؛ حتّى يتمكّن بموهبته وأدوات صناعته الخطابية من أن يؤثّر أعمق تأثير مُستطاع في نفوس سامعيه، هذا كلّه مع الحفاظ على لغة يختار مفرداتها بدقّة، وتكون هي بصمته الخطابية الخاصّة به.

لغة تخاطب أكثر من مستوى

ومن الخطأ أن يقتصر الخطيب بخطابته على حدود الفهم الدنيا لدى سامعيه،

(١) الأبشيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف: ج١، ص٩٨.

بحجّة أنّه يُخاطب طبقات المجتمع كافّة وبداعي إفادة الغالبية من الأُميين أو قليلي الثقافة، بل عليه أن يسعى لإرضاء جميع الأذواق، بما في ذلك أذواق المثقّفين، وأصحاب الاختصاصات العلمية والأدبية.

وهنا تبرز الحاجة إلى إعمال الذكاء مع الموهبة، فيأتي بالكلام المفهوم لدى عامّة الناس، حتّى وإن كانوا أُميين أو فقراء ثقافة، وهذا الكلام البسيط بنفسه فيه إشارات متتالية إلى مطالب علمية، ومعلومات تخصصية، تريح المختصّين بها، وتجذبهم إلى خطابته، وهنا تكمن براعة الخطيب الذكي الناجح، متآزرة مع موهبته ومؤهلاته.

ولا يتمكّن الخطيب من كلّ ذلك إلّا بتوافره على قابلية بلوغه القصد بأقرب طرق الإفهام، وبأحسن جماليات فنّ توصيل الأفكار، وقد حفلت الساحة الخطابية بكثير من الخطباء الأُدباء الذين لا يمل السامعون من خطابتهم، بل يشتاقون إليها كثيراً، وينتظرون مواسم مجالس شهر رمضان، ومحرّم، وصفر، بفارغ الصبر، إضافة إلى الأيّام الفاطمية وغيرها من الأيّام التي تُعقَد فيها تلك المجالس العامرة.

هل دائماً خير الكلام ما قلّ ودلّ؟

ولا يظنّ مَن يرتقي المنبر أنّ تقليل عدد الحروف في المفردات التي يختارها مع اختصاره لأفكاره، هما وحدهما الكفيلان بنجاحه الخطابي، فربّما نجح تقليل الحروف والوصول إلى الغرض في هذا النجاح، وربّما لا؛ ولذا قال أبو حيّان التوحيدي: «**أقرب الطرق في الإفهام أن تكون الغاية مثالاً للعقل، ثمّ يكون المعنى مسوقاً إليها، واللفظ منسوقاً عليها، فَهِمَ السامع أو قصّر، ثمّ ليس هذا المعنى مقصوراً على العربية، بل هو شائع في النفوس، مستمدّ من العقول، معروف باللغات، لكنّ العربية عندنا أحسن الألفاظ مخارج، وأوسعها مناهج، وأعلقها بالقلب، وأخفها على اللسان، وأوصلها إلى الآذان**»[1].

وهنا يكون محكّ الذكاء للخطيب الناجح، وفيه يسقط كثيرون، وهم لا يشعرون،

(١) أبو حيّان التوحيدي، علي بن محمد، البصائر والذخائر: ص ١٨٩.

خاصّة الذين لم يأخذوا الخطابة عن خطباء متمرّسين، وأُدباء متمكّنين، بل يظنّون أنّهم أحسنوا قولاً، وما هو إلّا قول مَن لا حَظَّ له في عالم الخطابة الدقيق العميق، وبخلاف هذا النمط نجد خطباء مُجيدين، استبان في خطابتهم الذوق الأصيل، مع الطرح الجميل، والمعنى العميق بالأُسلوب الأنيق، والبيان الوافي مقترناً بالجمال الضافي، والأداء الصافي.

التفنّن الصوتي

وممّا لا شكّ فيه أنّ الأداء الصوتي المتقن، هو الذي يجعل الخطيب الحسيني ناجحاً، مُستطاب المحاضرة، مقبول التأثير، ولا نعني بالأداء الصوتي أداء النعي وترجيع الصوت، فهذا من مختصّات قراءة الرثاء في العزاء، وإنّما كلامي هنا عمّا يتصل بالصوت الجهوري، الذي يعطي كلّ حالة من حالات الاسترسال، أو الانفعال حقّها من وتيرة الأداء أثناء المحاضرة.

ولا بدّ أن يظلّ الخطيب طيلة مجلسه من أوّله إلى آخره مركّزاً بذكاء على نبرة الصوت، وطبقاته، وأدائه بـ(القرار)، أو (الجواب)، وفنّيات الانتقال والاستبدال، والتداخل والتقاطع، مع إعطاء كلّ أُسلوب من أساليب الإنشاء والإخبار حقّه من التفنّن الصوتي؛ فنبرة التعجّب ودرجة ارتفاع الصوت فيه تختلف عن نبرته ووتيرة ارتفاعه عند الاستفهام، وهما يختلفان أيضاً عند الدعاء، وكذا في النداء، وغيره، وعلى هذا فلا يُكتفى بأن يكون الخطيب جهير الصوت، بلا تأتأة، ولا فأفأة، حتّى وإن تخيّر الألفاظ بدقّة، مع رباطة جأش، بل لا محيص عن أن يجيد التفنّن الصوتي بأكثر من مستوى، وبتنوّع ذكي، يُعطي لكلّ حالة حقّها من الأداء.

مشاكل أُخرى

وهناك مشاكل عدّة تعترض الذين يُريدون أن يُقدّموا خدمات دينية ولائية، من خلال التثقيف المنبري والخدمة الحسينية، من ذلك:

النقل الشفوي

مشكلة استشراء النقل شفوياً (نقل عن نقل) من أخطر عيوب البحث العلمي، سواءٌ كان كتابة، أم خطابة، أم تحليلاً، أم دراسة، وقد حرص العلماء الكبار، والخطباء المتميّزون على أن يكون اعتمادهم في النقل على أوثق مصادر الحديث والمرويات، حتّى لا يُمنى أحدهم بهزيمة ضعف النقل الموثّق من أُصوله التاريخية، ومصادره المعتبرة، ومراجعه الموثوقة، وهذا الكلام ينطبق على كلّ نشاط علمي وجهد بحثي في أيّ حقلٍ من حقول المعرفة، ولدى أيّ باحث أو معنيّ بالحديث عن معلومة علمية أو تاريخية.

وتتركّز هذه الخصوصية لدى المُحاضر الذي يأخذ عنه المعلومةَ طلابُه وسامعوه، باعتباره أميناً على نقلها، ولخصوصية كونه (مرجعاً) في النقل يُدلي بها، وهذا واضح في محاضرات أساتذة الجامعات، وهو أكثر وضوحاً ـ أو بدرجة الوضوح نفسها ـ لدى أساتذة الحوزة العلمية، أمّا أساتذة البحث الخارج من المجتهدين والمراجع الكرام، فإنّ الدقّة العلمية في النقل، والتثبّت التامّ من التوثيق أثناء البحث يكونان في أعلى وتائرهما، وفي أدق تفاصيلهما، حتّى أنّ أيّ فهم قد يخالف النصّ المنقول المُستشهَد به يُعبّر عنه ناقله بعبارات تدلّ على أنّ هذا هو المُتبادر فهماً، وليس بالضرورة أن يكون هو المراد الدقيق لقائله، فنجد في حلقات البحث الخارج أساتذة يأتون بفقرات من كتب مجتهدين سابقين أو معاصرين، ويتبعونها بعبارات من قبيل: (على ما في تقرير بحثه)، أو بعبارة: (يظهر من قوله)، وتتركّز أكثر فأكثر الحاجة إلى هذه الدقّة النقلية في الحديث مع طبقات شعبية من مستويات ثقافية عدّة، حتّى لا يُساء فهم الفكرة، أو يقع محذور اضطراب الفهم، واختلاط المفاهيم.

من هنا يفترض بالخطيب الناجح أن يتوخّى الدقّة التامّة في النقل (كنقل)، ويتوخّى كذلك الإيضاح التامّ للفكرة (كإيضاح)، حتّى لا يكون كلامه واهناً، أو واهياً، أو فيه غياب للدقّة وإن لم يقصد ذلك، لكن كلمات الارتجال، وما يصاحبها

من ارتباك، أو اختيار مفردات غير دقيقة في التوصيل إلى المطلوب، كلّ ذلك يُساهم في وقوع الخطيب في هذا المحذور الوخيم. وهنا يمتاز الخطيب الناجح الذي يحرص كلّ الحرص على الدقّة التامّة في النقل، وكذلك الدقّة التامّة في الوصف، وهو يوصل إلى أذهان السامعين توضيحات بشأن النصّ المنقول.

ويعاني أشدّ المعاناة كلُّ مَن لم يأخذ الخطابة الحسينية على تمام أُصولها، ومَن لا يمتلك كامل أدواتها، فيقع في صعوبات جمّة، أو يقع في مطبّات من سوء الفهم لدى المتلقّين، أو قد يؤسّس لأفكار خاطئة، أو قد يُشوّه حقائق من حيث لا يشعر، لا لشيء إلّا لأنّه لم يتثبّت تماماً في دقّة النقل، أو لم يرجع إلى مصادر موثوقة للأخذ منها عن حادثة ما، أو كلام ما، ينقله إلى الناس.. فضلاً عن مشكلة ارتجال الكلمات، فيقع فريسة عدم الدقّة في الدلالة، وقد تكون الدلالة مقلوبة تماماً، أو تُشير إلى غرض آخر، ومعنى مخالف.

إذاً، فالخطيب يحتاج أن يكون دقيقاً كلّ الدقّة في النقل، وفي الوصف، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر أشدّ أهمّية، وفيه إضرار بالدقّة العلمية لدى الخطيب، أن ينقل نقلاً شفهياً من آخرين سمع منهم، ولم يتقصَّ ما سمع منهم، باحثاً ومنقّباً في المصادر الأصلية، والمراجع الموثوقة.

إنّ مشكلة النقل الشفاهي (نقلٌ عن نقل)، أوقع كثيراً من الخطباء في كثير من الإحراجات، ولتلافي هذه المشكلة هناك حلّان رئيسان:

الحلّ الأوّل: أن يعمد الخطيب قبل المحاضرة إلى كتابة النصّ الذي سيُلقي مضمونه، محاولاً استذكار مفرداته بدقّة كاملة، أو ينقله بالمعنى، ويقول: أنقله بالمعنى، وليس بالنص، ثمّ يكتب هذا النصّ قبل إلقائه الخطاب، ويحفظه، أو يحفظ أهمّ مطالبه، ورؤوس النقاط فيه، حتّى إذا ارتقى المنبر وأراد أن يذكره فسيذكره بالدقة التي كتب بها ذلك النصّ، فلا يقع في الارتباك أثناء الارتجال؛ لأنّ الارتجال سيكون

قاصماً إذا لم تكن الكلمات التي تخطر في الذهن أثناء الارتجال دالة على المعنى المراد.

وقد كان شيخ الخطباء في العصر الأخير، وهو العلّامة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، يكتب محاضراته، وقد تفرّغ تماماً لإتقانها، فلم يكن منشغلاً بتدريس في الحوزة، ولا في الجامعة، مع كونه أُستاذاً حوزوياً وجامعياً، ومع كونه خطيباً متمكّناً من الخطابة، ولا يصعب عليه الارتجال، ومع كلّ ذلك تفرّغ للخطابة الحسينية، وللكتابة التفصيلية لمحاضراته القيّمة.

وهكذا نجد حاجة الخطيب مستمرّةً طيلة أيّام اشتغاله في التحضير للمحاضرات، والتهيئة للخطب، أن يدرّب قريحته الخطابية على الارتجال (المدروس)، أو الارتجال (المحفوظ المطالب)، فلا يكون ارتجاله ارتجالاً (بدائياً) بلا تدريب؛ لأنّ كلّ خطيب لا يُدرّب ارتجاله، سيقع في محذور جريان كلمات على لسانه لم يكن يقصدها بعينها، أو بتمام دلالتها، هذا إذا نجح في العثور عليها أثناء تجشّمه عناء الارتجال، ممّا يعني أنّ الخطيب يحتاج إلى ثراء لغوي، وسعة في قاموس مفرداته، وجدولة لأفكاره، وحفظ لأهمّ محاور خطبته، ودقّة استظهار لشواهده وأدلّته.

ومن المفيد جدّاً أن يكتب الخطيب في دفتر خاصّ به مجموعة كلمات تكون متقاربة في المعنى، أو مترادفة، ويحفظها، حتّى إذا غابت عن ذهنه مفردة بعينها يستطيع أن يأتي بالبديل الأقرب دلالة عليها، فمثلاً: لو أنّ الخطيب أثناء استطراده قال: عندما نتأمّل في التاريخ نقطع بشكل تام... ولم يكن يريد كلمة (نقطع)، ولم يكن يريد كلمة (تام)، بل كان قصده (يمكننا أن نستفيد)، فغابت عبارة (يمكننا أن نستفيد)، وقال بدلها: (نقطع بشكل تام)، فإنّه سوف يتحمّل المسؤولية العلمية عن هذا القطع، وسوف يتحمّل الدقّة الدلالية الناتجة عن هذه القناعة، التي أصبحت عنده بشكل تام، مع أنّ السبب في كلّ ذلك هو غياب عبارة (يمكننا).

إذاً، يجب على الخطيب من ناحية علمية وموضوعية، أن يكون مُلِمّاً بالمفردات، وأن تكون لديه ثروة لغوية، وقدرة على انتقاء أدلّ الكلمات على مراده، فإذا غابت

عن ذهنه مفردة، استطاع أن يعوّض منها بأقرب المفردات المرادفة، للدلالة عليها.

ولا ننسى أنّنا في زمن يتربّص بنا أعداؤنا ومخالفونا من أجل تسقّط الأخطاء، وتتبّع هفوات اللسان، فكيف بنا ونحن نريد أن نكون أُمناء على إحياء أمر أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام؟! وهم الذين أعطونا المنهج العلمي الدقيق، في تعلّم علومهم بكلّ دقّة وموضوعية، حتّى نتبيّن (محاسن كلامهم)، وكما أنّ الناس إذا سمعوا كلماتهم عليهم السلام اتبعوهم، كذلك لو أنّ تلك المحاسن غابت بسبب عدم الدقّة في النقل، فإنّ الانصراف عن أهل البيت عليهم السلام سيكون بسبب هذا الخطيب، الذي لم يكن دقيقاً في النقل، أو كان قاصراً عن حسن الوصف والرصف.

إنّها أمانة كبرى، ومسؤولية عُظمى، خاصّة وأنّ الخطيب الحسيني يختلف عن المحاضِر الذي يعتمد على الورقة، ويستشهد بالكتب، ولا يضيره ذلك، وهذا بسبب أنّ الخطيب الحسيني تعوّد الناس أن يسمعوه مرتجلاً، لا يعتمد على ورقة، ولا يقرأ في كتاب.

وقد تحمّل هذه الأمانة جمّ غفير من الخطباء، وبعضهم كانوا خطباء وشعراء وعلماء أيضاً، تحمّلوها على طول الأزمنة التي تلت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وكانت لهم آثار مهمّة جدّاً في الإثراء الثقافي والمعرفي، وبرز منهم كثيرون، منهم: شيخ الخطباء العلماء في بغداد، بعد النصف الثاني من القرن العشرين، ألا وهو الشيخ محمد حسن آل ياسين، صاحب المحاضرت العلمية الثقافية المثرية، فقد تألّق فصيحاً بليغاً بلغة تجمع بين الجزالة والوضوح، وفيها المسحة الأدبية المتوائمة مع التعمّق العلمي، وهو يجمع بين تفسير القرآن الكريم في محاضراته والعلوم العصرية.

وكان لبعض منهم تميّز في الأداء الفصيح المشجي، ولا تزال إلى اليوم بعض من آثارهم تُستعاد في أيّام محرّم وصفر، ولعلّ اسم الخطيب الشهيد الموالي الشيخ عبد الزهراء الكعبي الكربلائي من أبرز مَن تخطر أسماؤهم فوراً في ذاكرة كلّ عراقي أو شيعي خليجي، فيما يتصل بقصّة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وما هذا إلّا بسبب

النجاح الخطابي الكبير، والإخلاص الحسيني الكثير، مع أنّ تسجيل صوته وهو يتلو قصّة استشهاد الإمام عليه السلام قد مرّت عليه عشرات غير قليلة من السنين، وبثته دار الإذاعة العراقية من بغداد بعد ثورة تموز عام (١٩٥٨م). ومع كلّ التطوّر التقني في هندسة تسجيل الأصوات إلّا أنّه لا يزال هو الأقرب إلى القلوب في ليلة عاشوراء ويومها والليلة التي تليها، وفي ليلة العشرين من صفر ويومها وليلته، إلى حدّ أن ذائقة كثير من ملايين المستمعين تكاد تفصح بهذا القول: لم يسمع مقتلَ الإمام الحسين عليه السلام مَن لم يسمعه بصوت الشيخ عبد الزهراء الكعبي.

الدقّة في انتقاء الشعر وحسن الاختيار

نلاحظ لدى كثير من الخطباء أنّهم يتلون أبياتاً، أو أجزاء من قصائد ومقطوعات شعرية، تكون هي العماد في بداية المجلس، بشتّى أطوار النعي، وباختلاف تلك الأبيات من فصيح أو دارج، وهكذا في النهاية، حيث تكون المصيبة، ويكون التأثّر في أعلى مستوى عند ختام المجلس بأبيات النعي الـمُشجية.

لكنّ مشكلةً بدأت تتفاقم، وهي أنّ أغلب الأبيات الشعرية التي نسمعها من أغلب الخطباء أضحت مكرّرة، إلى حدّ أنّها أصبحت محفوظة من قِبَل الجمهور، وربّما يتقصّد كثير من قرّاء العزاء أن يقرأوا أبياتاً محفوظة لدى الناس، لأكثر من سبب، ومن تلك الأسباب أنّ هذه الأبيات ـ لشدّة تأثيرها في خواطر المتلقّين، وذواكر السامعين ـ يؤدّي الإتيان بها بعينها إلى تأجيج الحسرة في قلوبهم، ممّا يستدعي نزول الدمعة.

وهناك سبب آخر، وهو أنّ الأبيات المحفوظة ما حُفِظَت إلّا لأنّها الأكثر إشجاءً وإبكاءً من غيرها، وهذا بحدّ ذاته صحيح؛ لأنّ الأبيات الجديدة قد يصعب على المستمعين فهم معانيها بدقّة وبتمام الفهم، ممّا يسبّب تلكّؤاً في إيصال حسرات الشاعر وزفراته أثناء كتابته لتلك الأبيات التي يستفيد منها الخطيب.

ولكنّ تلك المشكلة تُعالج بأن يشرح الخطيب معاني الأبيات قبل قراءتها، وحتّى لا يكون شرحه لها شرحاً درسيّاً مملّا، يمكن أن يعتمد لتحقيق ذلك على الطريقة الآتية على سبيل المثال، وهي أن يقول: ورحم الله الشاعر الذي يصف تلك الحالة إذ يُشير إلى... ويبدأ بشرح الأبيات قبل قراءتها، فيهيّئ نفوس المستمعين للتطلّع إليها قبل تلقّيها، وللتفاعل معها قبل أن يلقيها، كاشفاً عن محاسن تصويرها، ومكامن الإبداع فيها.

ومع الإيجابيات التي يظنّها قُرّاء العزاء في فائدة الأبيات المحفوظة في استدرار الدمعة واستدامة التفاعل العاطفي الـمُشجي الذي يعيشه المستمعون، تبرز مشكلة الملل من التكرار، حتّى أنّنا نسمع من هذا أو ذاك بعض المقولات التي تشكو التكرار لبعض أبيات الشعر الشعبي.

إذاً، هناك حالة من الملل أصبحت عند كثيرين ممّن يستمعون إلى الأبيات المكرّرة، ولا ننسى أنّ هذا الاعتراض هو من أشخاص كبار في السن، أمّا جيل الشباب، فإنّ كثيراً من أفراده لا يتفاعلون مع المكرّر أصلاً، وبعضهم يصل به الحال إلى التقليل من شأن قدرة قرّاء العزاء الذين يكرّرون هذه الأبيات بعينها دون غيرها.

وهناك مسألة في غاية الدقّة، ينبغي الإلفات إليها، وهي: أنّ أغلب تلك الأبيات ليس فيها عمق أدبي، وليس فيها إبداع شعري؛ ولذا فإنّ الذين يفهمون في الأدب ويتذوّقون الشعر لن يتفاعلوا مع تلك الأبيات (الناشفة من الإبداع)، بينما يتفاعلون مع الأبيات التي فيها نَفَسٌ جديد، وتصوير فريد، فيه المسحة الأدبية الراقية، والتصوير الشعري البارع.

قرّاء مجالس العزاء والشواهد الوائلية

لقد أجاد عميد المنبر الحسيني، الخطيب الفذّ، العلّامة الشيخ أحمد الوائلي في انتقاء شواهد شعرية دالّة ومعبّرة، ترسخ في الأذهان؛ للطافتها، وطرافتها، وطريقة الشيخ

في إلقائها، لكنّ الغريب أنّ عدداً من قرّاء العزاء راحوا يكرّرون في مجالسهم الأبيات الوائلية نفسها، وكأنّ الشعر العربي ليس فيه إلّا هذه الأبيات. حتّى لو كان الخطيب معجباً بها، فمن الجميل أن يأتي بها، وبردٍّ عليها، أو متمّمٍ لها... فعلى سبيل المثال لو جاء خطيبٌ بهذين البيتين:

إيـهِ يـا أيُّهـا الزمـانُ الـمُعَفّـي ... كُلَّ أطباعـهِ بِطَبْـعِ الشِّـحاحِ
بينَـما جِئْـتَ مُنْعِـماً بِعَـلـــيٍّ ... واحـدٍ جِئْتَنـا بألْـفِ سَـجاحِ

فجميل أن يأتي بردّ يرسّخ العقيدة، بدلاً من أن يبقى هذان البيتان يجسّدان حسرة جاثمة على القلوب، كأن يستدرك الخطيب فيقول: ولله درّ الشاعر الذي ردّ بقوله:

عـلـيٌّ يكفـي لِمليـونِ دَهْـرٍ ... أيَّ ذِكْـرٍ تَرى لألْفِ سَـجاحِ؟!

وكمثال آخر البيت الشعري الشهير:

ولأيّ الأُمـــور تـدفـن سرّاً ... بضعة المصطفى ويُعفى ثراها[1]

فمن المناسب أن يواتر الخطيب مستوى التأثير العاطفي، وهو ينزل إلى المصيبة، متهيّئاً لقراءة العزاء، فيقول: هذا السؤال الشعري الملحّ، الذي طالما تكرّر على ألسنة الخطباء الكرام، حاول أن يجيب عنه أحد الشعراء بقوله:

ذاكَ أنّ الله العظيـمَ دعاهـا ... لِلِقـاهُ واللهُ شـاءَ لِقاهـا
فـإذا نَعْشُـها سـفينةُ نُـوحٍ ... فـازَ مَـنْ كانَ مُمْسِـكاً بِعُراهـا
وحـرامٌ عـلى دَعـيٍّ ورِجْـسٍ ... أن ينـالا رِضوانَـهُ ورِضاهـا

شواهد فيها عِبْرة

وحتّى لا يظنّ أحد أنّنا جعلنا الصورة قاتمة أكثر من اللازم، سأُريحه بذكر شواهد فيها العِبرة، وربّما الطرافة، للتذكير بأهمّية أن يبذل الخطيب كلّ جهوده ليمتلك

(١) الأزري، كاظم، الأزرية: ص١٤٣.

أدوات الخطابة الناجحة، ومن تلك الشواهد: جواب عبد الملك بن مروان حينما قيل له: «**أسرع إليك الشيب. فقال: وكيف لا، وأنا أعرض عقلي على الناس في كلّ جمعة مرّة أو مرّتين**»[1].

والخطيب الحسيني بلا أدنى شكّ يعرض في كلّ مجلس عقله، وذوقه، وتفنّنه، بالإضافة إلى مستواه العلمي، ومستواه الأدبي، ومستواه الثقافي، ومستواه الصوتي، على الناس الحاضرين في مجلسه، وعلى الناس الذين يتابعونه عبر وسائل الإعلام التي تبثّ مجلسه بثّاً مباشراً، أو من خلال التسجيل.

ومن هنا نعرف دواعي عبارات اشتُهِرت عند العرب دالّة على صعوبة الخطابة، مع أنّهم أهل الفصاحة، والجزالة، والجراءة، والبلاغة، ومن تلك العبارات قولهم: «**إيّاك والخطب؛ فإنّها مشوار كثير العثار**»[2]، وقولهم: «**لا يجترئ على الكلام إلاّ فائق أو مائق**»[3]، بل أكثر من ذلك ما قاله عبد الله القسري عن مقام الخطيب: «**هو مقام لا يقومه إلّا أهوج أو قليل الحياء**»[4]، مع أنّ القسري هذا وولده خالداً كانا قليلي الحياء، كثيري الإجرام، ومراجعة تاريخهما المتهالك كافية للتدليل على ذلك، والخطباء الذين يراجعون ترجمتيهما وتراجم أمثالهما سيستفيدون كثيراً من الشواهد والقصص التي تناسب بعض موضوعات مجالسهم.

ولا غرابة إذا حُصر حتّى الملوك والقادة أمام أتباعم ورعيتهم، أثناء خطابتهم؛ لذا وجب أن يتسلّح الخطيب بالموهبة الخطابية، وبمنعشات هذه الموهبة، من قراءة، وانتقاء، وبحث، ومتابعة، وغوص في بحار الكتب، لالتقاط أطرف الفِكَر، وأبهى الدرر.

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٩، ص٧٨.
(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب الحديث: ج١، ص٢٤٥.
(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، أدب المجالسة وحمد اللسان: ص٥٥.
(٤) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ج١، ص١٧٤.

ومن شواهد انحراج القادة على المنابر ما ينقل عن يزيد بن المهلّب الذي أُحرج غاية الإحراج، ولم يدرِ ماذا يقول حين ارتقى المنبر بعد أن (أُرْتِجَ عليه)، فلمّا نزل صدح ببيت من الشعر، كان فيه ناجحاً بحُسن التخلّص، إذ قال:

«فإنْ لا أكُنْ فِيكُمْ خَطيباً فإنّني لَسَيْفي إذا جَدَّ الوَغا لَخطيبُ

فقيل له: لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب العرب!»[1].

وصعد واحد من أجرأ مجرمي بني أُمية وأسوأ أدعيائهم، وهو خالد بن عبد الله القسري المنبرَ فأُحرج وأُرتِجَ عليه، فقال: «**إنّ هذا الكلام يجيء أحياناً، ويعسر أحياناً، وربّما طُلِبَ فأبى، وكُوبِرَ فعسا، فالتأنّي لمجيّه أيْسرُ من التعاطي لأبيّه. وقد يختلط من الجريء جَنانُه، ويَنقطع من الذَّرِب لِسانُه...**»[2].

ومن الطرائف أنّ عبد الله بن عامر حُصر عليه الكلام وهو على منبر صلاة الجمعة في البصرة، فأُحرج غاية الإحراج، واشتدّ جزعه، فقيل له: «**إنّ هذا مقام صعب، فامتحن فيه غيرك، فأمر وادع بن مسعود أن يصعد ويخطب، فلمّا ابتدأ الكلام حُصِرَ، فقال: لا أدري ما أقول لكم، ولكنّني أُشهدكم أنّ امرأتي طالق، فهي التي أكرهتني على حضور الصلاة، ثمّ أمر آخر، فصعد المنبر، ونظر إلى أصلع، فقال: اللهمّ العن هذه الصلعة**»[3]، وأطرف منها ما يروى من أنّ عتاب بن ورقاء صعد منبر إصبهان يوم النحر، فحُصِر، وفرّت منه الكلمات، فقال: «**صعد عتاب بن ورقاء منبر إصبهان فحُصر، فقال: ولا أجمع عليكم عيّاً وبخلاً، ادخلوا سوق الغنم، فمَن أخذ شاة فعليّ ثمنها، وهي له**»[4].

وفي المقابل كان خطباء العرب يفخرون بقدرتهم على الخطابة، وفي ذلك يقول قيس بن عاصم:

---

(١) الشريف المرتضى، علي بن الطاهر، الأمالي: ج٤، ص٢١.
(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٢، ص٢٨١.
(٣) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ج٦، ص٣٠٨.
(٤) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، أدب المجالسة وحمد اللسان: ص٧٣.

خُطَباءُ حينَ يقولُ قائِلُهُمْ بيضُ الوجوهِ مَصاقِعٌ لُسنُ[1]

وقد أحسن الشاعر العربي الكبير لبيد في الكناية عن التمكّن من الخطابة، وطول النفَس فيها باتخاذ الخطيب للعصا، فقال:

إذا اقتسَمَ الناسُ فَضْلَ الفَخار أطَلْنا على الأرضِ مَيْلَ العَصا[2]

وقد اشتُهر من خطباء العرب قس بن ساعدة، ولقيط بن معبد، وزيد بن جندب، وصعصعة بن صوحان، وقطري بن الفجاءة.. ولكن أعلاهم شأنا، وأجودهم منطقاً سيّدنا رسول الله، وآله الكرام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

الكوفة موطن أجمل لغة خطاب

على امتداد العصور، يرى الباحث أنّ أجمل الخُطَب، وبأنجح لغة خطاب، تلك التي كانت في الكوفة من سنة (٣٦هـ) إلى سنة (٤٠هـ)، وكذا في أواخر سنة (٦٠هـ) ومطلع سنة (٦١هـ).

ومن أحسن الخطب في الكوفة، التي قلبت الرأي العام رأساً على عقب، خطبة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حين أرسله أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مناشداً أهل الكوفة الالتحاق بالإمام علي عليه السلام في ذي قار من أجل وأدِ فتنة الناكثين فيما بات يُعرف بـ(حرب الجمل).

وكذا كانت خطب الإمام علي عليه السلام العلمية، والسياسية، والجهادية، بعد أن اتخذ الكوفة عاصمة له، وأيضاً خُطَب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء التي كانت تابعة لامتدادات بساتين الكوفة من الجهة الغربية، وكذا خطب الإمام زين العابدين عليه السلام وأُخته فاطمة بنت الحسين، وعمّته السيّدة زينب عليها السلام بعد استشهاد أخيها وذويها

(١) القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي: ج١، ص٢٤٣.
(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج٣، ص٨.

وأنصارهم.. حتّى قال قائل من بني أسد: «**فلم أرَ خَفِرةً أنطق منها، كأنّما تُفرِغ عن لسان أبيها**»[1]، سلام الله على أبيها وعليها.

ولذا من المؤسف حقّاً أن يُقَوِّل بعض الذين لم يتقنوا الخطابة الحسينية حقّ الإتقان، يقوّلون هذه السيّدة العظيمة ما لم تَقُل، ويسرحون بخيالاتهم في محاورات مُفتَرضة لا وجود لها، تدلّ على انكسارها، وتوسّلها بقتَلة أهلها، أو بحادي الظعن من أعدائها.. بل أكثر من ذلك حين ينقلون حوارات بينها وبين إخوتها، وفيها العتاب الشديد، وربّما حتّى الاستنكار؛ لأنّهم خذلوها بعد أن كفلوها! كلّ ذلك بأوهى لغات الخطاب، وأهبط مستويات البلاغة.

وما حداني إلى هذا القول سوى فجيعة الأمانة، أمانة التاريخ والحقيقة، كما هي أمانة الولاء والأدب، ولكنّني أُنوّه بكثير من خطباء المنبر الحسيني الأفذاذ، ذوي الذكاء العلمي، وهم يجيدون قول ما ينبغي أن يقال، ويتركون ما لا يصح من المقال.

أخيراً

قد تَبَدَّتْ لنا نقاط حَرِيّة بأن يلتفت إليها قارئ العزاء، والمبتدئ في الخطابة الحسينية، الذي يُريد أن يكون خطيباً ناجحاً مؤثراً بأقصى ما يستطيع من التأثير في مستمعيه، والمتلقّين لخطابته ووعظه وإرشاده، بلغة عابرة، لا تقف في حدود الدائرة المحلّية الضيّقة، ولا يرضى أن تكون خطابته الحسينية ومحاضرته الإرشادية أقلّ ممّا ينبغي لها من شأن جسيم، وتأثير عظيم.

وفي الختام، فإنّ لنا أملاً يتجذّر في إنتاج خطاب حسيني حضاري عالمي، يكون بمستوى المسؤولية التاريخية، والتلقّي الجديد، خاصّة مع دخولنا الناجح إلى قلب التاريخ الإنساني، وتأثيرنا العميق في تشكيل ذهنية نابضة بما يُنير العقل، ويضيء الوجدان، ويلبي احتياجات الروح الظمأى لقيم الخير والجمال والنور.. وليكن

(١) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٦٦.

الحسين هو الرمز الأثرى في الخطاب العالمي المعاصر، كما كان كذلك على امتداد مراحل التاريخ، كلّ التاريخ.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أدب المجالسة وحمد اللسان، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢ـ الأزرية، كاظم الأزري التميمي، تخميس: الشيخ جابر الكاظمي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣ـ الأمالي، إسماعيل بن القاسم القالي، منشورات المكتب الإسلامي.

٤ـ الأمالي، علي بن الطاهر المعروف بـ(الشريف المرتضى)، تحقيق: السيّد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأُولى، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

٥ـ البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦ـ البصائر والذخائر، علي بن محمد بن عباس المعروف بـ(أبو حيّان التوحيدي)، تحقيق: الدكتور وداد القاضي، دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧ـ البيان والتبيين، عمرو بن بحر المعروف بـ(الجاحظ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٨ـ تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٩ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٠ـ التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، تحقيق: إحسان عبّاس، وبكر عبّاس، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٩٩٦م.
١١ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، إيران ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
١٢ـ عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٣ـ غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: الدكتور عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ.
١٤ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٥ـ الكشّاف، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
١٦ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت ـ لبنان.
١٧ـ لواعج الأشجان، السيّد محسن الأمين، المطبعة العلمية في النجف الأشرف، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣هـ.
١٨ـ مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن نما الحلّي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
١٩ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الإصفهاني)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٥هـ.
٢٠ـ المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، أبو الفتح الأبشيهي، المكتبة التجارية الكبرى، بغداد، ١٩٨٦م، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٠١ لسنة ١٩٨٦م.

٢١ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، تحقيق: حسين الغفاري، مطبعة العلمية، قم ـ إيران.

٢٢ـ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، الشريف الرضي، تحقيق: صبحي صالح، الطبعة الأُولى، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

المنبر الحسيني وضرورة تقنين المعلومات

د. الشيخ أسعد السلمان*

المقدّمة

يحظى المنبر الحسيني بمكانة مهمّة في الواقع الشيعي، فهو يُعدّ أحد أهمّ وسائل الارتباط الديني لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعليه فهو يحمل على عاتقه مهمّة عظيمة وخطيرة، استدعت من القائمين عليه والمهتمّين بتطويره والارتقاء به بذل الجهود الكبيرة؛ لإبعاد كلّ ما يوهن هذه الوسيلة الإعلامية الفعّالة في مقام أدائها لدورها الرسالي.

وفي هذا المقال الذي بين يديك عزيزي القارئ، نحاول تسليط الضوء على نقطة مهمّة وجوهرية ترتبط بصورة مباشرة بالدور الرسالي الذي يؤدّيه المنبر الحسيني في حياة الناس، وهذه النقطة تتمثّل في وضع الركيزة الأساس المتمثّلة بمعلومات الخطيب على بساط البحث والمناقشة، وذلك من خلال الحديث عن إمكانية وجدوى ضبطها وتقنينها، وبعبارة أُخرى: نحن في المقام نسعى إلى تقديم إجابة واضحة عن سؤال مهمّ وحيوي في هذا المجال، وهو: ما هو مدى الحاجة إلى تقنين المعلومات المعروضة على المنبر الحسيني، سواء على المستوى المعرفي، أم السلوكي، أم التاريخي، أم العاطفي؟ وما هي القوانين التي يُفترض اتّباعها في هذا المجال؟ من هنا ستكون الإجابة عن هذا السؤال ذي الشقّين ضمن محورين رئيسين.

---

* باحث إسلامي وأُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

تمهيد

إنّ طريقة نقل المعلومات من خلال أُسلوب التبليغ البياني والقولي في مسألة التفهيم والتفاهم، تُعدّ من أهمّ الوسائل التي يتمّ توظيفها من قِبل الأنبياء، والملوك، والقادة، والمصلحين، والخطباء، ونحوهم؛ من أجل إيصال رسائلهم إلى الناس، فالأنبياء ـ مثلاً ـ كانوا من أبرز مَن اعتمد على هذه الوسيلة في مقام رفع المستوى الفكري والمعرفي والإيماني، وتصحيح المسار السلوكي لدى مخاطبيهم، وفي هذا الصدد نجد أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «...**وليس على الجوارح عبادة أخفّ مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام فيه رضا الله، ولوجهه، ونشر آلائه ونعمائه في عباده، ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل فيما بينه وبين رُسله معنى يكشف ما أسرّ إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام، وكذلك بين الرسل والأُمم، فثبت بهذا أنّه أفضل الوسائل، وألطف العبادة...**»[1]، كما نجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام ـ وفي الصدد نفسه ـ يروي عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام: «**أنّه قال لرجل وقد كلّمه بكلام كثير، فقال: أيّها الرجل، تحتقر الكلام وتستصغره؟! اعلم أنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها ذهب ولا فضّة، ولكن بعثها بالكلام، وإنّما عرّف الله (جلّ وعزّ) نفسه إلى خلقه بالكلام والدّلالات عليه والأعلام**»[2]، إلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام.

ثمّ إنّنا إذا نظرنا إلى واقعنا الإسلامي، نرى أنّ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، هو أوّل مَن تصدّى لمهمّة التبليغ البياني، كيف لا وأنّ رسالته كانت عبارة عن كلام إلهي تجلّى عن طريق الوحي في القرآن الكريم، والنبي بدوره قد أُوكلت إليه مهمّة بيان هذا الكلام؟! قال تعالى: ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

(١) الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضى، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٥، ص١٩٧.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٤٨.
(٣) النحل: آية ٤٤.

ولعِظم هذه المهمّة الخطيرة، وحتّى لا يساور متلقي البيانات النبوية شك في كونها غير متّفقة مع المراد الإلهي، بين عزّ وجلّ أنّ الرسول صلى الله عليه وآله في كلّ كلمة ينطقها يكون متصلاً بالمبدأ الغيبي (الوحي)؛ إذ يقول تعالى في هذا الصدد: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وبما أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو امتداد للحركة الرسالية المحمدية، فإنّ نهضته عليه السلام ستكون بلا أدنى شك في مصب الهداية التي أرادها الله للناس.

هذا، وإنّنا لو رجعنا إلى البيانات الصادرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام نفسها، لوجدنا أنّ التقنين له حضور واسع فيها، فأهل البيت عليهم السلام ـ ونتيجة للفاصلة الزمانية أو المكانية بينهم وبين شيعتهم ومحبّيهم ـ قد أعطوا ضابطة مهمّة لاستمرار المعيّة التي أقرّها الرسول صلى الله عليه وآله بينهم وبين القرآن الكريم، هذه المعيّة التي تُمثّل طوق نجاة لكلّ مَن تمسّك بها إلى يوم القيامة، وهذه الضابطة التي يتمّ من خلالها تمييز الأخبار الصادرة عنهم قد جاءت في روايات كثيرة[2]، وبصيغ متعدّدة، منها: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**إنّ على كلّ حقّ حقيقةً، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه**»[3]، ومنها ـ أيضاً ـ قول الإمام الصادق عليه السلام: «**ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف**»[4].

ثمّ إنّه وبعد واقعة الطف المروّعة سنة (٦١هـ)، وبعد ملاحظة ارتباط النهضة التي قام بها سيّد الشهداء في هذه الواقعة بصميم المشروع التغييري الإلهي[5]، نجد أنّ الأُسلوب الخطابي قد أخذ دوراً كبيراً في إبراز هذه النهضة؛ وذلك من خلال إقامة مجالس ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام، وما جرى عليهم من محن ونكبات، وقد

(١) النجم: آية٣ ـ ٤.
(٢) أُنظر: السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء (المقدّمة): ج١، ص٤٧.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٦٩.
(٤) المصدر السابق.
(٥) أُنظر: الهاشمي، السيّد كامل، أُصول المحاضرات: ص١٣.

كانت هذه المجالس في بدايتها عبارة عن مآتم للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه عليهم السلام، يبرز فيها البعد العاطفي بشكل ملحوظ، ثمّ أصبحت ذات شكل جديد، تتم إقامتها بعد تهيئة وإعداد سابقين، وقد أُطلق عليها (المآتم الهادفة)، وهذه المآتم هي الأساس لما نشاهده هذا اليوم من ظاهرة المنبر الحسيني[1].

إنّ المنابر الحسينية تتطرّق سنوياً ـ وعبر شبكة كبيرة من الخطباء ـ إلى كمّ كبير من المعلومات التاريخية التي تُشكل نقطة مفصلية في حياة الفرد المسلم عموماً، والشيعي على وجه الخصوص؛ وذلك لما تمثّله من أعظم مواجهة بين الحقّ والباطل، مواجهة برزت فيها كلّ معالم الرأفة، والرحمة، والوفاء، والإخلاص، ضدّ معالم الخسّة، والحقارة، والخذلان، واستخدام أقذر الوسائل من أجل كسب المعركة عسكرياً؛ وبالنتيجة فإنّ الدور الأساس الموكل إلى المنابر الحسينية التي تُقام سنوياً في شهري محرّم وصفر ـ ناهيك عن المناسبات الأُخرى ـ هو تسجيل أحداث النهضة الحسينية، وترسيخها في نفوس المسلمين؛ وذلك لكي تكون هذه النهضة مثلاً يُحتذى به من قِبل كلّ الحركات التحرّرية في العالم.

وعلاوةً على ما تقدّم أنّه نتيجة للتماهي الحاصل بين الحركة الرسالية التي قادها رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله وبين الحركة الثورية والتغييرية التي قادها أبو عبد الله الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف الخالدة، فإنّ المنبر الحسيني قد اتّخذ بُعدين آخرين فضلاً عن البُعدين العاطفي والتاريخي المتقدّمين، وهما:

١ـ **البُعد المعرفي**: فقد أصبح المنبر الحسيني ـ نتيجة لكونه يمثّل الحركة الحسينية التي هي امتداد للحركة المحمدية ـ عبارة عن موسوعة دينية تُعنى بالقضايا العقائدية، والفقهية، والتفسيرية، والروائية، والأخلاقية، ونحو ذلك، وأصبح من وظائف الخطيب الحسيني توجيه الناس وتوعيتهم وتربيتهم وتثقيفهم ثقافة

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧.

إسلامية، وكذلك الإجابة عن مجمل الشبهات في مختلف القضايا الدينية؛ فـ«**من وظائف الخطيب الحسيني توجيه الناس وتوعيتهم...وهذه الأُمور تستوجب علم الخطيب بالإسلام: عقائده، وأحكامه، وأخلاقيّاته، وسائر شؤونه...**»[1].

هذا، ولم تنحصر عجلة العطاء المعرفي للمنبر الحسيني بتعلّم العلوم الإسلامية فقط، فإنّه ـ بسبب تطوّر وسائل التواصل، وسهولة تداول المعلومات، وصيرورة الكثير من الناس أهل معرفة واطّلاع وثقافة ـ تحتّم على الخطيب الحسيني أن يكون على مستوى عالٍ في مجال العلوم الوضعية الحديثة؛ فـ«**إنّ المنبر جزء لا ينفصل عن الوضعية الثقافية العامّة، من حيث الغنى في الأبعاد العلمية، وانعكاس التطوّرات التقنية على مجمل الأفكار، ونضوج الوعي بضرورة مواكبة المنبر للحركات الثقافية، وارتفاع مستوى الفرد حضارياً في كلّ النشاطات الثقافية**»[2].

وبكلمة جامعة: إنّ الخطيب كلّما زادت حصيلته العلمية زادت عطاءاته التي سوف تنعكس بصورة إيجابية على ترسيخ دور المنبر الحسيني في حياة الناس، وجعله جزءاً لا يتجزّأ منها، وعلى العكس من ذلك إذا كان الخطيب فقيراً من الناحية العلمية، فإنّ منبره سوف يكون باهتاً، بل سوف يكون مُبعِداً للناس عن الانتهال من معين النهضة الحسينية المباركة.

٢ـ البُعد التصحيحي للسلوك الفردي أو المجتمعي: إنّ المنبر الحسيني ـ فضلاً عن المسؤولية المعرفية الملقاة على عاتقه ـ قد تحمّل مسؤولية أُخرى لا تقلّ أهمّيةً عن الأُولى، تمثّلت بسعيه الحثيث إلى تصحيح المسار السلوكي للأُمّة الإسلامية أفراداً ومجتمعات، وذلك انطلاقاً من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو أحد الفرائض المهمّة في الشريعة الإسلامية، وقد كان تحمّل المنبر لهذه المسؤولية

(١) المقدسي، محمد باقر، فنّ الخطابة الحسينية: ص٦٠.
(٢) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٥٥ـ١٥٦.

الجسيمة هو نتيجة لكونه الممثّل الأبرز للنهضة الحسينية، التي جعلت من العمل بالفريضة المشار إليها آنفاً الهدف الأبرز لها، فقد جاء على لسان قائدها الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ما نصّه: «... **وأنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب...**»[1].

المحور الأوّل: حاجة المنبر الحسيني إلى تقنين المعلومات التي يعرضها

وبعد اتّضاح ماهية الدور الذي من المفترض أن يؤدّيه المنبر الحسيني في دائرة التبليغ الديني، من خلال الأبعاد الأربعة المشار إليها، يأتي دور السؤال الأساس للبحث في هذه المقالة، وهو: ما هو مدى الحاجة إلى تقنين المعلومات المعروضة على المنبر الحسيني، سواء على المستوى المعرفي، أم السلوكي، أم التاريخي، أم العاطفي؟

والجواب هو: إنّنا استناداً إلى مجموعة من الأدلّة، نرى أنّ الخطيب الحسيني لا يستغني عن التقنين والضبط بالنسبة إلى كلّ ما يطرحه على المنبر، وإنّه بذلك سوف يضمن ترتّب الثمار المتوخّاة من وجود المنبر بين الناس، وهذه الأدلّة عبارة عن:

الدليل الأوّل: قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ...﴾[2]، فالآية الشريفة تُعطي ضابطة عامّة وأساسية لكلّ دعوة تسعى إلى ربط الناس بالله (سبحانه وتعالى)، فهي تُشير إلى أنّ أساليب التفهيم التي تعتمد عليها هذه الدعوات ينبغي أن تكون عِبر ثلاث طرق، هي: الحكمة، والموعظة، والمجادلة[3]؛ إذاً، فالمجال ليس مفتوحاً يطرح فيه الداعي ما يحلو

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.
(٢) النحل: آية ١٢٥.
(٣) فُسّرت **الحكمة** بـ: «الحجّة التي تُنتج الحقّ الذي لا مرية فيه، ولا وهن ولا إبهام. والموعظة: هو البيان الذي تلين به النفس، ويرق له القلب... والجدال: هو الحجّة التي تُستعمل لفتل الخصم

له من فنون وأساليب، فضلاً عن ذلك، فإنّ الآية الشريفة وفي هذا البيان نفسه لم تترك هذه الطرق من دون تقنين وضبط، فبالنسبة إلى الطريقين الثاني والثالث قد تمّ تقييدهما بكون الموعظة حسنة، والجدال يكون بالتي هي أحسن، وهذا الأمر فيه «**دلالة على أنّ من الموعظة ما ليست بحسنة، ومن الجدال ما هو أحسن، وما ليس بأحسن ولا حسن، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة، ومن الجدال بأحسنه**»[1]، وبما أنّ المنبر الحسيني هو أحد سُبل الدعوة إلى الله، فلا بدّ له أن يكون خاضعاً للتقنين والضبط بحسب ما أفادته الآية الشريفة.

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ...﴾[2]، ففي مقام تفسير هذه الآية الشريفة يقول السيّد الطباطبائي ما نصّه: «**لمّا فرغ** [أي: الله عزّ وجلّ] **من التنظير رجع إلى ما كان عليه من بيان حال القرآن وذكر أوصافه، فذكر أنّه أنزله إنزالاً مصاحباً للحقّ، وقد نزل هو من عنده نزولاً مصاحباً للحقّ، فهو مصون من الباطل من جهة مَن أنزله، فليس من لغو القول وهذره**»[3]. وهنا نقول: إنّه إذا كان حال القرآن بهذا الشكل من الإحكام والتقنين، والابتعاد عن لغو القول وهذره، فحريّ بالخطيب الحسيني ـ الذي يُمثّل الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين هم عِدل القرآن ـ أن يكون خاضعاً لضوابط وقوانين تجعل كلامه لا ينحو منحى اللغو والهذر والعشوائية.

الدليل الثالث: جاء في وصية لأمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام بعدما ضربه اللعين ابن ملجم في مسجد الكوفة، ما نصّه: «... **أُوصيكما وجميع ولدي**

عمّا يُصرّ عليه، وينازع فيه، من غير أن يريد به ظهور الحقّ، بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلّمه هو والناس، أو يتسلّمه هو وحده في قوله أو حجّته». الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٢، ص٣٧١.

(١) المصدر السابق: ص٣٧٢.

(٢) الإسراء: آية١٠٥.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٣، ص٢٢٠.

وأهلي ومَن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم...»[1]. ومن خلال ملاحظة أنّ هذا المقطع قد ورد في سياق كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في آخر لحظات حياته المباركة، يُفهم أنّ رعاية النظم والقوانين هي من الأُمور المهمّة، التي ينبغي أن تتوافر عليها مجمل الأعمال الحسّاسة، التي يقوم بها المسلم في حياته اليومية، والتي تترتّب عليها أهداف فردية أو اجتماعية؛ ويمكننا أن نستشهد لهذا الفهم بقول صاحب كتاب منهاج البراعة عند شرحه لهذا المقطع: «**التزام النظم في كلّ الأُمور، فإنّ عدم رعاية النظم يوجب عدم الوصول إلى المآرب والحوائج**»[2].

ومن الموارد المهمّة التي ترتبط بحياة المسلم الشيعي موضوع المنبر الحسيني، فهل يمكن أن يقال: إنّ المعلومات التي تُطرح عليه بمنأى عن التقنين والنظم؟! أو إنّ هذه المعلومات ليست قضايا دينية، واجتماعية، وأخلاقية، وسياسية، ونحو ذلك ممّا يرتبط بصميم الحياة الفردية والاجتماعية؟!

الدليل الرابع: توجد مجموعة من الكلمات المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام، فيها دلالة واضحة على ضرورة تقنين الكلام وضبطه، والابتعاد عن الطرح العشوائي الذي يوجب الإخلال في فهم السامعين، ومن هذه الكلمات:

قوله عليه السلام: «**إيّاك والكلام فيما لا تعرف طريقته ولا تعلم حقيقته؛ فإنّ قولك يدلّ على عقلك، وعبارتك تُنبِئ عن معرفتك، فتوقّ من طول لسانك ما أمنته، واختصر من كلامك ما استحسنته، فإنّه بك أجمل، وعلى فضلك أدلّ**»[3].

وقوله عليه السلام أيضاً: «**أحسنُ الكلام ما لا تمجّه الآذان ولا يُتعب فهمه الأفهام [الأذهان]**»[4].

(١) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح: ص٤٢١.
(٢) الهاشمي الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص١٣١.
(٣) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غُرر الحكم ودُرر الكلم: ص٢١٠.
(٤) المصدر السابق.

وقوله عليه السلام كذلك: «**أحسنُ الكلام ما زانه حسن النظام، وفهمه الخاصّ والعامّ**»[1].

إلى غير ذلك من الكلمات المرويّة عنه عليه السلام، والواردة تحت عناوين متعدّدة، من قبيل: اللسان ميزان، طريق الكلام، حُسن اللسان والكلام، لا تقلّ ما لا تعرف ولا تفعل، الفكر ثمّ القول، لسان العاقل والأحمق، قلّة الكلام وآثارها، وغير ذلك.

الدليل الخامس: من المسلّم به أنّ المعلومات المنطوقة أو المكتوبة التي يُراد من خلال طرحها أو تدوينها الحصول على نتائج معيّنة أن تكون منسّقة ومنظّمة، خصوصاً مع ملاحظة السعة العلمية والمعلوماتية التي نعيشها في هذه الأزمنة[2]، وبعبارة أُخرى: إنّ المنهج الذي عُرّف بصفة عامّة بأنّه: «**الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها، بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها**»[3]، أصبح ضرورة ملحّة في كلّ عملية نقل للمعلومات، وتبادل للأفكار[4]، وبما أنّ المنبر الحسيني بما يمتلكه من رصيد معلوماتي، هو واقع ضمن هذه الجَلَبة المعلوماتية، فهو يحتاج إلى السير على وفق خطوات ممنهجة، تؤمّن الوصول إلى النتائج المرجوّة منه، من هنا؛ فإنّ تقنين المنبر لمعلوماته هو أمر في غاية الأهمّية، وفي مقابل ذلك فإنّ ذهاب المنبر إلى العشوائية في الطرح سوف يؤدّي إلى ضعفه وقلّة الفائدة منه، إن لم نقل: إنّه سوف يكون حينئذٍ حالة سلبية تؤثّر في انجذاب الناس نحو الدين الإسلامي، وانتهالهم من معين النهضة الحسينية المباركة.

(١) المصدر السابق.
(٢) أُنظر: يعقوب نجاد، محمد هادي، منهج تدوين معجم مصطلحات العلوم الإسلامية: ص١٦ـ١٧.
(٣) قاسم، محمد محمد، المدخل إلى مناهج البحث العلمي: ص٥٢.
(٤) أُنظر: العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر: ص١١٣ـ ١١٤.

المحور الثاني: ضوابط وقوانين عرض المعلومات على المنبر الحسيني

نظراً إلى كون المنبر الحسيني يُعنى بعدّة جوانب حياتية، كالجانب الديني، والأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي، والمعرفي... نجد أنّ مَن يرتقيه بهدف إقناع مخاطبيه يتعرّض لأدلّة وقضايا متنوّعة، فهو تارةً يستخدم الأدلّة النقلية التي هي من قبيل الآيات القرآنية، والروايات الشريفة، والشواهد التاريخية، وأُخرى نراه يوظّف جملة من القضايا العقلية، في محاولة منه لتقوية الجانب الفكري والعقدي لدى الناس، وتارة ثالثة يعتمد على المشهورات والمسلّمات العقلائية، ورابعة يقوم باستقراء جزئيات معيّنة ليصل إلى نتائج محدّدة.

علاوةً على ذلك، فإنّه نتيجة اقتران نشأة المنبر الحسيني بما جرى في واقعة الطف الخالدة، نجد أنّ جزءاً كبيراً من المادّة الملقاة من على المنبر تتّخذ الطابع الشعري (القريض أو الشعبي)؛ وذلك بُغية تصوير أحداث هذه الواقعة تصويراً يهزّ المشاعر، ويولّد حالة من الانجذاب العاطفي نحو الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه، وحالة من الحَنَق والرفض لأعدائهم الذين خذلوهم ولم ينصروهم.

وبناءً على ما تقدّم؛ يمكننا أن نُقسّم المعلومات التي تُلقى بواسطة المنبر على أقسام عدّة، هي:

١ ـ القضايا البرهانية والاستدلالية.

٢ـ المشهورات والمسلّمات.

٣ـ الآيات والروايات والشواهد التاريخية.

٤ـ المشاهدات الحسّية.

٥ـ القصص والأشعار.

ولكي نتعرّف على الضوابط والقوانين الحاكمة على ما يُطرح على المنبر من

معلومات، يتحتّم علينا أن نتحدّث بشيء من التفصيل عن كلّ واحدٍ من الأقسام المذكورة أعلاه؛ لنتعرفّ على نوعية المنهج الصحيح الذي ينبغي تطبيقه للوصول إلى نتائج سليمة، تصبّ في مصلحة الهدف الرسالي الذي يسعى المنبر الحسيني إلى تحقيقه، وعرضها للمتلقي بطريقة تتناغم مع ذلك المنهج المتبع من قِبل الخطيب.

القسم الأوّل: القضايا البرهانية والاستدلالية

من الأدوار التي تكفّل بها المنبر الحسيني بعد التوسعة الوظيفية التي حظي بها، قيامه بتدعيم الجانب الفكري والعقدي لدى الناس، فقد أصبح الخطيب الحسيني يتناول قضايا العقيدة المتعلّقة بأُصول الدين وفروعها المترتّبة عليها، وفي أحيان كثيرة يكون الاستدلال على ما يطرحه من مدّعيات عقدية عقلياً، ومن هنا؛ فإنّ أحد المناهج المهمّة الحاكمة على الطرح المنبري هو المنهج العقلي الذي يعتمد بشكل أساس على الاستدلال البرهاني.

ونحن قبل أن نتناول طبيعة هذا الاستدلال، ونتعرّف على ضوابطه، نوّد تسليط الضوء على مكانة العقل في الآيات القرآنية والروايات، فقد مدح الله العقل والعقلاء في القرآن في آيات عدّة، منها قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «**أصل الإنسان لُبّه وعقله ودينه، ومروّته حيث يجعل نفسه، والأيّام دُول، والناس إلى آدم شرع سواء**»[2]، إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة.

والمنهج العقلي ـ مورد الحديث ـ يمكن أن نعرّفه بأنّه عبارة عن: المعلومات العقلية الأوّلية، التي تقوم على أساسها البنيات الفوقية للفكر الإنساني، التي تسمّى

(١) البقرة: آية٢٦٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٤٠.

بالمعلومات الثانوية[١]، كما أنّه يمكن أن يُطلق على قوّة التفكير نفسها التي يمتلكها الإنسان[٢]، والتي عُرّفت بأنها: «**العملية التي تستنبط بها معرفة نظرية من معارف سابقة**»[٣].

بناءً على التعريف الثاني للمنهج العقلي، فإنّه قد يُطلق على عملية بذل الجهد في استنطاق الأدلّة النقلية للدلالة على أمر معيّن، وهذا ما سوف نبحثه في قسم المعلومات النقلية التي يوظّفها الخطيب الحسيني إن شاء الله تعالى.

ومن هنا؛ فنحن في المقام نُركز على المنهج العقلي بحسب المعنى الأوّل، هذا المنهج الذي يبتني على البرهان المنطقي، الذي هو: «**قياس مؤلّف من يقينيات يُنتج يقيناً بالذات اضطراراً**»[٤]. إذاً، المعلومات التي ينطلق في ضوئها المنهج العقلي البرهاني هي اليقينيات التي هي نوع قضايا تؤدّي إلى حصول اليقين بالمعنى الأخصّ بمؤدّاها، وهذا اليقين عبارة عن: اعتقاد مطابق للواقع لا يحتمل النقيض، ولا يكون ناتجاً عن تقليد[٥]. وهذه القضايا اليقينية تارةً تكون بديهية، وأُخرى تكون كسبية، حيث يكون سبب الاعتقاد محتاجاً إلى الكسب؛ وذلك بسبب غيابه عن العقل، وهي بالنتيجة وبعد الكسب تنتهي إلى البديهيات.

ثمّ إنّ هذا النوع من القضايا قد ذُكرت له أقسام عدّة، يمكن للقارئ العزيز ـ لأجل التعرّف عليها ـ الرجوع إلى المصادر المتخصّصة بهذا الشأن[٦].

---

(١) أُنظر: الصدر، محمد باقر، فلسفتنا: ص٦٤.
(٢) أُنظر: رضائي إصفهاني، محمد علي، منطق تفسير القرآن: ج٢، ص١٤٣.
(٣) الصدر، محمد باقر، فلسفتنا: ص٦٤.
(٤) المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٣٦٠.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٢٧.
(٦) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٢٧ ـ ٣٣٨.

القسم الثاني: المشهورات والمسلّمات

يعتمد المنبر الحسيني بكثرة على القضايا المشهورة، التي هي عبارة عن: «**قضايا اشتُهرت بين الناس، وذاع التصديق بها عند جميع العقلاء، أو أكثرهم، أو طائفة منهم**»[1]، ويعتمد أيضاً وبالدرجة نفسها على القضايا المسلّمة التي هي سنخ «**قضايا حصل التسالم بينك وبين غيرك [المخاطَب] على التسليم بأنّها صادقة، سواء كانت صادقة في نفس الأمر، أو كاذبة كذلك، أو مشكوكة**»[2].

والسرّ في اعتماد المنبر الحسيني على هذين النوعين من القضايا، هو أنّ المنبر يُعدّ أحد مظاهر صناعة الخطابة، فإنّ الأساس الذي يعتمد عليه هو إقناع الناس بما يطرحه من جوانب فكرية أو سلوكية، على الرغم من توظيفه للبرهان والجدل أثناء حديثه مع الناس في بعض الأحيان، وعليه؛ فإنّ المنهج الحاكم على هذا النوع من المعلومات هو الأُسلوب الخطابي الذي يمكننا أن نتعرّف على معالمه من خلال الوقوف على التعاريف التي ذُكرت لكلّ من الخطابة وعلم الخطابة.

فممّا ورد في تعريف صناعة الخطابة، ما قاله أرسطوطاليس من أنّها: «**قوّة تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ واحدٍ من الأُمور المفردة**»[3]، وممّا ورد في تعريفها أيضاً ما قاله الشيخ المظفّر من أنّها: «**صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر، الذي يتوقع حصول التصديق به بقدر الإمكان**»[4].

أمّا المراد من علم الخطابة فهو ـ بحسب ما رجّحه أحد الباحثين[5] ـ: «**علم يُقتدر**

(١) المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٣٤٠.
(٢) المصدر السابق: ص٣٥١.
(٣) طاليس، أرسطو، الخطابة الترجمة العربية القديمة: ص٩.
(٤) المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٤.
(٥) أُنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص١١.

بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة؛ لمحاولة التأثير في نفوسهم، وحملهم على ما يُراد منهم بترغيبهم وإقناعهم»[1].

في ضوء هذه التعاريف يتّضح لنا أنّ الأُسلوب الخطابي وظيفته السعي إلى إقناع السامعين، وذلك من خلال الاعتماد على جملة من القضايا التي يؤمنون بها، سواء كان ذلك بسبب ثبوتها علمياً، أم بسبب شهرتها لديهم، أم تسليمهم بها، فإنّه «**ليس كلّ صنف من أصناف الناس ينبغي أن يُستعمل معهم البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها؛ وذلك لأنّ الإنسان قد نشأ على شهوات تخالف الحقّ، فإذا سُلك به نحو الأشياء التي نشأ عليها سهل إقناعه...** »[2].

أمّا بالنسبة إلى الضوابط والقوانين التي ينبغي اتّباعها من قِبل الذين يوظّفون هذا الأُسلوب أثناء حديثهم مع الناس، فيمكن أن نتصيّدها من بعض الكلمات، ونرتّبها إجمالاً بالشكل الآتي:

١ـ تحديد الموضوع الذي يُريد الخطيب الحديث عنه، وتحديد ما يودّ أن يقوله بشأنه[3]، وهذا الأمر يُعدّ الدعامة الأساسية لكلّ بحث، يُراد أداؤه بأُسلوب خطابي أو بأُسلوب كتابي.

٢ـ أن يكون الحديث مقنعاً بحيث يشتمل على أدلّة تُثبت صحّة الفكرة التي يدعو إليها الحديث.

٣ـ أن يكون الحديث بطريقة إلقائية، أي: تُعتمد فيها جهارة الصوت وتكييفه باختلاف أساليب الحديث، وتجسيم المعاني التي تتضمّنها الخطبة، وإبداء التأثّر بها؛ ومن مكمّلات هذه الطريقة أن تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد.

(١) غواش، أحمد أحمد، علم الخطابة: ص٩.

(٢) ابن رشد، محمد بن أحمد، تلخيص الخطابة، ص١٠.

(٣) أُنظر: ستيوارد، كريس، وواكنسون، مايك، المرشد إلى الخطابة: ص٧.

٤ـ أن يتوفّر في الخطبة عنصر الاستمالة[١]، أي: توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو إليه الخطبة[٢].

٥ـ أن يكون مضمون الخطبة مرتبطاً بالقرآن، والسنّة الشريفة، والعقل، والوجدان.

٦ـ أن يكون الحديث مراعياً لمقتضى الحال وواقع المجتمع[٣].

هذا، وإنّ المعلومات التي يعتمد عليها الخطيب الحسيني قد تتداخل فيها المناهج، فقد تكون الأدلّة عقلية تصل إلى رتبة القضايا اليقينية، كما أنّها قد تكون أدلّة نقلية، وهو المشاهد بصورة كثيرة في منابرنا المعاصرة، فالخطيب يعتمد كثيراً على الآيات والروايات والقصص والحوادث التاريخية من أجل إقناع مخاطبيه ومستمعيه بالفكرة التي هو بصددها.

إلّا أنّنا في المقام نرى أنّ الخطيب يجب أن لا يفقد روح هذا الأُسلوب، هذه الروح التي تتمثّل في إذعان المخاطَب وتسليمه بالمعلومات التي يسوقها الخطيب كأدلّة على مدّعاه، فإنّه قد توجد أدلّة عقلية أو نقلية يمكن الاستناد إليها في مقام إثبات المطلوب، إلّا أنّ المخاطَب ـ رغم عدم قدرته على ردّها ـ قد لا يكون مذعناً أو مسلّماً بها، وعليه فمن المفترض للخطيب الحسيني ألّا يخلط بين المناهج وبين الغايات المترتّبة عليها، وذلك من خلال التوظيف الخاطئ للمعلومات المطروحة، وبعبارة أُخرى: إنّ عنصر اشتهار المعلومة لدى المخاطَب أو التسليم بها من قِبله، ينبغي أن

(١) إنّ عنصر الاستمالة وجذب المخاطبين والسامعين للعمل بمؤدّى الخطبة قد اشترطه بعض الباحثين، علاوةً على شرط الإقناع المتقدّم في تعريف الخطابة. أُنظر: عمارة، محمود محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص٦. الحوفي، أحمد محمد، فنّ الخطابة: ص٩. شلبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب: ص١٣.

(٢) أُنظر: شلبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب: ص١٣.

(٣) أُنظر: أرشد، عبد الرحيم، الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي: ص٢٨.

يكون حاضراً عند استخدام الخطيب للأُسلوب الخطابي الذي هو مورد حديثنا في هذا القسم.

القسم الثالث: الآيات والروايات والشواهد التاريخية

إنّ الخطيب الحسيني ـ في مقام حديثه مع الناس ـ نجده في أحيان كثيرة عندما يريد أن يستدلّ على جملة من القضايا الدينية: كالحجاب، وعقوق الوالدين، والكذب، والشفاعة، والصدقة، ونحو ذلك، نجده يأتي بآيات قرآنية وروايات شريفة، يسعى بعد قيامه بتفسيرها إلى بيان دلالتها على المطلوب، كما أنّه يستعين ـ علاوةً على ذلك ـ بجملة من الشواهد التاريخية على إثبات بعض من القضايا التي حدثت في غابر الزمان.

وهذه المعلومات المتمثّلة بالآيات والروايات والشواهد التاريخية تسمّى بالأدلّة النقلية، ومن هنا فإذا أردنا أن نتعرّف على الضوابط والقوانين الحاكمة على هذا النوع من المعلومات فعلينا معرفة ضوابط المنهج النقلي، فإنّها هي الحاكمة في المقام، ومن خلال مراجعتنا لمظانّ البحث وجدنا أنّ القوانين أو الضوابط أو كما يُعبر عنه بعضٌ عناصر المنهج النقلي عبارة عن:

١ ـ توثيق إسناد النصّ سواء كان روائياً، أم علمياً، أم شاهداً تاريخياً إلى قائله، وذلك من خلال الوقوف على مخرجات علمَي الرجال والدراية في هذا المجال، وكذلك المراجعة الدقيقة لمصادر الأبحاث العلمية والتاريخية، وعدم الاكتفاء بالنقل الشفهي.

لا شك في أنّ الطرح المنبري لا يشبه الطرح الدرسي، وعليه؛ فالخطيب لا يتمكّن ـ خصوصاً في المجال الروائي ـ من عرض سند كلّ رواية ينقلها، ويناقش رواتها واحداً واحداً، ويثبت وثاقتهم أو ينفيها، ولا يتمكّن أيضاً من معالجة نوعية السند من جهة كونه مسنداً، أو معلّقاً، أو مضمراً، أو ما أشبه ذلك، كما أنّ الحاضرين ليسوا كلّهم طلبة علم يفهمون المصطلحات التخصّصية في مقام تصحيح الروايات.

ومن هنا، فالمغزى من وضع هذه الضابطة هو أنّ الخطيب يسعى أثناء تحضيره

للبحث ـ الذي يروم طرحه على الناس ـ إلى تحرّي الأخبار ذات السند الصحيح المتصل بالمعصوم عليه السلام؛ وذلك من خلال قيامه بتطبيق القواعد التي يتبنّاها هو في المقام، أو رجوعه إلى أهل الخبرة من العلماء والمجتهدين الذي نقّحوا مثل هذه الروايات.

هذا، وإنّ الخطيب الحسيني يمكنه ـ علاوةً على ما تقدّم ـ الاستفادة من بعض الروايات ضعيفة السند، والاستشهاد بها على ثبوت المطلب، وذلك من خلال الاستيناس بها، وهذا الأمر قد سار عليه فقهاؤنا الأبرار في أبحاثهم.

نعم، الروايات الموضوعة والإسرائيليّات يجب عليه الابتعاد عنها وعدم ذكرها إطلاقاً.

٢ ـ التحقّق من سلامة النصّ الروائي، بمعنى التأكّد من أنّ النصّ لم يدخله تحريف، أو تصحيف، أو زيادة، أو نقصان؛ ولأجل الوصول إلى نتائج سليمة في المقام ينبغي للخطيب أن يراجع النصّ ـ مورد البحث ـ في مصادر أُخرى، ولا يكتفي بمصدر واحد فقط، ويراجع أيضاً النصوص الروائية المشابهة له.

٣ ـ فهم مدلول النصّ سواء كان قرآنياً، أم روائياً، أم علمياً، أم شاهداً تاريخياً، فإنّ الخطيب الحسيني لا بدّ أن تكون له قراءة صحيحة للنصوص التي يطرحها على منبره؛ وذلك من خلال امتلاكه دراية بعلم التفسير، وفقه الحديث، والأبحاث العلمية والتاريخية، أو يكون له اطّلاع واسع على مجمل ما كُتِب في ذلك[1].

هذا، وإنّنا نجد أنّ هذه الضابطة تحتلّ مكانة في المجال الخطابي أهمّ من الضابطتين الأُوليين؛ وذلك لأنّ هذا المجال يعتمد ـ كما أسلفنا ـ على عنصر الإقناع، وعليه فالخطيب في الأعمّ الأغلب يسعى إلى الاستدلال والاستشهاد بالنصوص المقبولة أو المشهورة لدى المخاطبين، تلك التي تم التطرّق إليها من قِبل الباحثين في النهضة الحسينية، ومجمل القضايا الدينية.

نعم، في مقام تقديم القراءة الصحيحة للنصوص، بُغية توظيفها في المسائل التي

(١) أُنظر: الفضلي، عبد الهادي، أُصول البحث: ص٥٢ ـ ٥٣.

هو بصددها، قد يقع الخطيب في الاشتباه؛ والسبب في ذلك يعود إلى بعض الخلفيات العلمية التي تمثّل عاملاً مساعداً في تحقّق الفهم لدى كلّ إنسان، وهذا ما نلمسه بشكل واضح لا يقبل الشك، فالشخص العالم يكون فهمه وإدراكه للأُمور التي يراها، أو النصوص التي يقرأها، مختلفاً تماماً عن الشخص الجاهل، وهذا الأمر ـ بحدّ ذاته ـ صحّي وجيّد، إلّا أنّ ما يُخشى منه في هذا المجال، أنّ الأمر لا يتوقّف عند تدخّل الخلفيات العلمية الضرورية في مقام الفهم، بل إنّه ينسحب إلى لَيّ عنق النصوص إلى ما يخدم بعض النتاجات العلمية أو الفلسفية التي أنتجتها بعض الأيديولوجيات الفكرية البعيدة عن الرؤية الإلهية للعالم، أو ما يخدم ميول قارئ النصّ ورغباته وانتماءاته.

خذ على سبيل المثال تدخّل هذه الأُمور في فهم وتفسير النصّ القرآني، فإنّه ـ على الرغم من كونه أجلّ النصوص وأعظمها في الدين الإسلامي ـ لم يسلم من هذه المعضلة التي تعيشها عملية الفهم في جميع الأعصار، وفي هذا الصدد يقول العلّامة الطباطبائي: «**ثمّ استوجب شيوع البحث الكلامي بعد النبي صلى الله عليه وآله في زمن الخلفاء باختلاط المسلمين بالفرق المختلفة، من أُمم البلاد المفتوحة بيد المسلمين، وعلماء الأديان والمذاهب المتفرّقة من جهة، ونقل فلسفة يونان إلى العربية... وانتشار البحث العقلي الفلسفي بين الباحثين من المسلمين من جهة أُخرى ثانية، وظهور التصوّف مقارناً لانتشار البحث الفلسفي، وتمايل الناس إلى نيل المعارف الدينية من طريق المجاهدة والرياضة النفسانية دون البحث اللفظي والعقلي من جهة أُخرى ثالثة، وبقاء جمع من الناس ـ وهم أهل الحديث ـ على التعبّد المحض بالظواهر الدينية من غير بحث، إلّا عن اللفظ بجهاتها الأدبية من جهة أُخرى رابعة.** [كلّ ذلك استوجب] **أن اختلف الباحثون في التفسير في مسالكهم بعدما عمل فيهم الانشعاب في المذاهب ما عمل**»[1].

وقس على ذلك سائر النصوص التي يتمّ الاستفادة منها كأدلّة وشواهد من قِبل

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٥.

خطباء المنبر الحسيني؛ ومن هنا نرى ضرورة الاهتمام بالأُصول والقواعد التي تُعين الخطيب على الوصول إلى الفهم الصحيح، وذلك من خلال الرجوع ـ فيما يخصّ المقام ـ إلى كتب أُصول الفقه وقواعد التفسير، وكذلك الاستعانة بما دوّنه المفسّرون المنصفون في كتبهم التفسيرية، وكذلك ما أُلّف في مجال فقه الحديث.

وفوق كلّ هذا تحلّي الخطيب بجملة من الصفات الأخلاقية، من قبيل صفتي: الخشية والأمانة، فهما صمّام الأمان الذي يمنع الخطيب من السير وراء ميوله ورغباته أثناء محاولة فهمه للنصوص التي يريد طرحها على منبره، وبهذا الصدد نجد أنّ الله عزّ وجلّ قد وصف الأنبياء ـ الذين يهدف خطباء المنبر الحسيني إلى السير على خطاهم ـ بهاتين الصفتين، فقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2].

هذا، ويبقى شيء مهمّ نودّ الإشارة إليه قبل الانتقال إلى الحديث عن قسم آخر من المعلومات، وهو أنّ الشواهد التاريخية التي يستفيد منها الخطيب الحسيني كثيراً في إثبات بعض القضايا التي حدثت فيما مضى من الزمان، قد أفرد لها بعضٌ منهجاً خاصّاً أسماه المنهج التاريخي[3]، وقوام هذا المنهج يعتمد على مرحلتين، هما:

١ـ التثبّت من صحّة الوثيقة، والاستعانة بمجموعة من العلوم المساعدة.

٢ ـ التثبّت من الواقعة في إطار نقد وثائق لا إرادية تدور حولها[4].

وبما أنّ الخطيب الحسيني ـ بحسب العادة الغالبة ـ يكون ناقلاً عن الكتب

(١) الأحزاب: آية٣٩.

(٢) الأعراف: آية٦٨.

(٣) وهو المنهج الذي يكون عمل المؤرّخ فيه هو الاهتداء إلى الوقائع التي اختفت في الماضي، والتثبّت منها، وذلك من خلال انتقاء الوثائق وجمعها وتصنيفها وتأويل الوقائع. أُنظر: قاسم، محمد محمد، المدخل إلى مناهج البحث العلمي: ص٦٠ ـ ٦١.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٦١.

التاريخية؛ فإنّه سوف يكون محكوماً بضوابط المنهج النقلي المتقدّمة، كما أنّه قد يكون أحياناً محكوماً بضوابط المنهج العقلي، وذلك فيما لو ترتّب على المعلومة مسألة عقائدية، أمّا إذا لم تترتّب على الواقعة التاريخية التي بصدد إثباتها عقيدة أو حكم فقهي، وكان «**الهدف هو الاعتبار التاريخي أو الأخلاقي في مجال مفروغ عن ثبات حكمه، فلا ضير في النقل، ولو لم يخضع لمقاسات البحث العقائدي أو الفقهي في الفقه والعقائد، كما هو معوّل عليه في التاريخ وعلم الرجال**»[1].

نعم، من المفترض أن تتمّ الاستفادة من الكتب التاريخية الموثوقة والرصينة التي تُراعي ضابطتي المنهج التاريخي المتقدّمتين أو غيرهما، خصوصاً في مجال إثبات الوقائع فيما مضى، لا مجرّد توظيف الشاهد التاريخي في التذكير والوعظ والتربية على أمر ثابت الحكم[2].

القسم الرابع: المشاهدات الحسّية

بما أنّ الإصلاح المجتمعي يُعدّ من أبرز الأهداف التي قامت من أجلها النهضة الحسينية المباركة، وهو أيضاً يتصدّر قائمة الوظائف التي يقوم بها المنبر الحسيني؛ نجد أنّ الخطباء يسعون دائماً إلى رصد السلوكيات السلبية، سواء على الصعيد الديني، أم الاجتماعي، أم السياسي، ومحاولة إبراز صورتها السيّئة للناس؛ بُغية الابتعاد عنها أو مواجهة مَن يقوم بها.

ونظراً لكون هذه السلوكيات حاضرة في زمن الخطاب، تكون عادةً من قبيل المشاهدات الحسّية التي يراها الخطيب الحسيني ويعيشها بشكل يومي. نعم، قد تكون بعض هذه السلوكيات والقضايا الاجتماعية منقولة عِبر وسائل الإعلام وصفحات

(١) السند، محمد، الشعائر الدينية: ص٧٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: هامش ص٧٤.

التواصل الاجتماعي؛ وهنا ينبغي للخطيب ـ علاوةً على ما سنذكر ـ مراعاة وثاقة الجهة الناقلة لذلك، أو موثوقية المعلومة المنقولة.

وعلى أيّة حال، فإنّنا نرى أنّ الخطيب ينبغي له أن يراعي جانب الدقّة والحذر في مثل هذه الأُمور، فإنّ المجتمع تركيبة معقّدة، تتواجد ـ أحياناً ـ بين سلوكيّاته روابط مبهمة وغير واضحة، ومن هنا؛ نجد أنّ الخطيب أو الواعظ غير الواعي بطبيعة هذه العلاقات والروابط يُخفق في إيجاد حالة الإصلاح والتأثير الإيجابي الذي يصبو إليه.

وعليه؛ فـ«**الخطيب حتّى يتحقّق له ذلك لا بدّ [له] من بصر وبصيرة، من بصر: ونعني به الوعي لواقعه وأحوال مجتمعه، والدراسة المتأنية لطبائع النفس البشرية، وثقافة عالية وواعية بكلّ ما يتّصل بهذه النفس البشرية، حتّى يتعرّف على مداخلها ومخارجها، فضلاً عن المعارف المتنوّعة، والاستفادة من خبرات السابقين...**»[1]، هذا أوّلاً.

وأمّا ثانياً: فعلى الخطيب أن يعمد إلى الأخطر من تلك السلوكيّات السلبية، لا سيّما ما كان منها قريب العهد، ومشتهراً على ألسنة الناس، أو ذائعاً في الصحف؛ أيّ: إنّه من المفترض أن يتدرّج في معالجته لظواهر الانحراف التي تُهدّد حياة الناس، فيُقدّم من تلك الظواهر أكبرها ضرراً، أو أسوأها أثراً، ويجعله محور خطابته، وموضع عِظته، ثمّ يُفكّر فيما ينشأ عن هذه الظاهرة المنكرة من الأضرار الخلقية والاجتماعية والصحّية والمالية، ثمّ يستحضر ـ بعد ذلك ـ كلّ ما جاء من الأدلّة القرآنية والروائية، وكلمات العلماء الدالّة على ضرورة الإقلاع عن الظاهرة المنظورة[2].

ومن الجدير بالذكر هو أنّه من المفترض ألّا يقتصر الخطيب على رصد الظواهر المجتمعية السلبية ونقدها، وإنّما عليه أيضاً أن يتعرّض لذكر الظواهر الاجتماعية الإيجابية، والقيام بالتشجيع عليها، والترويج لها، وذكر الأدلّة المتنوّعة الحاثّة على

(١) علي شبيب، محمد سعد، وعلي، عبد البصير، دراسات في الخطابة: ص٨٨.
(٢) اُنظر: محفوظ، علي، هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة: ص١٤٦.

إشاعتها والعمل على وفقها، بل أكثر من ذلك، فمن المفترض أن يرصد الخطيب بعض السلوكيّات الإيجابية المحدودة التي لم ترقَ إلى مستوى ظاهرة اجتماعية، فيسعى إلى نشرها وتوسيع نطاقها بين الناس.

القسم الخامس: القصص والأشعار

بيّنا فيما سبق أنّ البُعد العاطفي المترتّب على الأحداث والمواقف المروّعة التي تضمّنتها واقعة الطف ومسيرة السبي، يُعدّ المنشأ الأوّل والرئيس للمنبر الحسيني، كيف لا؟ وقد تظافرت الروايات[1] على رجحان البكاء على مصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، ومحبوبيته، منها: ما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسين، فقال: يا عَبرة كلّ مؤمن، فقال [عليه السلام]: أنا يا أبتاه. قال: نعم يا بُنيّ**»[2]، ومنها: ما عن أبي عمارة المنشد، قال: «**ما ذُكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قطّ فرُئي أبو عبد الله عليه السلام متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل، وكان عليه السلام يقول: الحسين عليه السلام عَبرة كلّ مؤمن**»[3]، ومنها: ما رُوي حول شدّة بكاء الإمام السجّاد على مصارع أبيه عليه السلام، وسائر مَن استُشهد في معركة الطفّ، فقد عدّه الإمام الصادق عليه السلام من البكّائين الخمسة (آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة الزهراء، وعلي بن الحسين عليهم السلام)، قائلاً: «...**وأمّا علي بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة، أو أربعين سنة، وما وُضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولى له: جُعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني لذلك عَبرة**»[4].

(١) وقد ذكر بعض العلماء أنّ الروايات في المقام قد تجاوزت حدّ التواتر. أُنظر: الصافي الكلبايكاني، لطف الله، لمحات في الكتاب والحديث والمذهب: ص٢٧٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٤.

(٣) المصدر السابق: ص٢١٥.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٠٤.

ونظراً لهذا الدور المهمّ للبُعد العاطفي؛ فإنّنا نجد أنّ الحضور الشعري والتصوير القصصي لِما جرى في واقعة الطفّ وما بعدها قد شغل مساحة كبيرة من الخطاب المنبري، كما أنّ الخطيب قد يُوظّف في بعض الأحيان الجانب القصصي من أجل جذب الناس نحو التعاليم الدينية، فقهية كانت أم أخلاقية، ومن هنا؛ فإنّ ضبط هذا النوع من المعلومات وتقنينه، له أهمّية كبيرة، وتترتّب عليه ثمرات كثيرة تصبّ في مصلحة الحضور المنبري في حياة الناس، وهذه التقنينات عبارة عن:

١ـ ضرورة امتلاك الخطيب الذي يروم إثارة عواطف الناس شعوراً حارّاً، وانفعالاً صادقاً، وعبارات تناغم القلوب وتفتح أقفالها، وبعبارة أُخرى: ينبغي للخطيب أن توجد عنده سنخية بين ما يشعر به في داخله وبين ما يريد إثارته في نفوس مخاطبيه؛ ولهذا نُقل أنّ الإمام الحسن عليه السلام قال ـ عندما: «**سمع متكلّماً يعِظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرقّ عندها ـ يا هذا إنّ بقلبك لشرّاً أو بقلبي**»[1]، كما أنّه نُقل بهذا الصدد عن عامر بن عبد القيس قوله: «**الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان**»[2].

٢ـ إجادة إثارة الخيال في النصّ الشعري أو القصصي؛ وذلك باختيار المفردات والعبارات التي تُثير في النفوس أخيلة وذكريات، وتبعث فيها صوراً وأفكاراً ملائمة للموضوع، فيها إمكانية التداعي والتواقد، وكذلك ينبغي في المقام اختيار الأساليب البيانية: كالاستعارة، والكناية، والتمثيل، والجنوح إلى التشبيهات والمبالغات المقبولة، في حال كون الخطيب شاعراً، أو قاصّاً، أمّا إذا لم يكن كذلك ـ وهو الغالب في هذا الزمان ـ فعليه الفحص والتدقيق من أجل اختيار النصوص الشعرية والقصصية التي فيها هذه المواصفات

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ص٥٩.
(٢) المصدر السابق.

المذكورة، وإن تطلّب الأمر الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص في ذلك.

٣ـ عدم المساس بالثوابت الدينية، والمذهبية، والعقلية، وهذه الضابطة لا تختصّ بقسم الأشعار والقصص وحسب، بل إنّها من المفترض أن تكون حاضرة من بداية الخطبة وتستمر حتّى نهايتها.

نعم، كان التذكير بها في المقام بسبب كون الأشعار والقصص ـ نتيجة سعيها إلى تهييج مشاعر الحاضرين أو السامعين، وشحذ هممهم، وكذلك نتيجة غرقها في التشبيهات والمبالغات ـ قد تحتوي أحياناً على مداليل فيها مخالفة لبعض الثوابت المشار إليها أعلاه.

٤ـ الابتعاد عن الخرافات والأساطير، فإنّ هذه القضايا تُشكّل الجانب الهدّام الذي يُضيّع الهدف المنشود من توظيف الشعر والقصّة في ربط الجمهور بمعطيات النهضة الحسينية، فإنّ الحسين عليه السلام يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحركة التغييرية التي أرادها للمجتمع الإسلامي، والشخص الذي يعتلي المنبر هو في الواقع يمثّل الحسين عليه السلام، فلا بدّ ألّا يبتعد في أُطروحاته وأشعاره عن الحقّ الذي سار عليه الرسول وأهل بيته عليهم السلام، «**فإنّ تحرّي الصدق في كلّ ما يُذكر على المنبر، وفي كلّ ما ينقله الخطيب في مواعظه وخطاباته، أساس نجاح قراءة العزاء، وبلوغها أهدافها الموسومة لها، من حمل الأُمّة على فهم الخطّ الحسيني الثوري فهماً صحيحاً، يدفعها للوقوف بجانب الحقّ، ورفض الظلم... وعلى خلاف ذلك إيراد القصص الكاذبة، والحكايات الباطلة، وتصوير ما حصل في كربلاء بصور مضخّمة، تسيطر عليها المبالغات والتهويلات**»[1].

النتائج

١. إنّ المنبر الحسيني ـ نظراً إلى المهمّة الخطيرة والعظيمة الملقاة على عاتقه ـ

(١) النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر: ص٥ ـ ٦.

يحتاج من القائمين عليه والمهتمّين بتطويره والارتقاء به، إلى بذل الجهود الكبيرة في مقام إبعاد كلّ ما يؤدّي إلى وهنه وإضعافه، في مقام أدائه لدوره الرسالي.

٢. إنّ أُسلوب التبليغ البياني والقولي في مسألة التفهيم والتفاهم، تُعدّ من أهمّ الوسائل التي يتمّ توظّيفها من قِبل الأنبياء، والملوك، والقادة، والمصلحين، والخطباء، ونحوهم؛ من أجل إيصال رسائلهم إلى الناس.

٣. أوّل مَن تصدّى لمهمّة التبليغ البياني والقولي في واقعنا الإسلامي هو الرسول محمدﷺ.

٤. إنّ المنبر الحسيني ـ بعد سلسة من التطوّرات ـ صار امتداداً للمنبر الرسالي الذي أسّسه النبي الأكرمﷺ في إرساء دعائم الرسالة الإسلامية، وإن كان السبب في نشأته هو استحضار المصيبة التي حصلت في واقعة الطف.

٥. يوظّف الخطيب الحسيني ـ عندما يُخاطب الناس ـ مجموعة منوّعة من المعلومات الموزّعة على مستويات متعدّدة: كالمستوى المعرفي، أو السلوكي، أو التاريخي، أو العاطفي.

٦. توجد مجموعة من الأدلّة القرآنية والروائية والعلمية على ضرورة تقنين المعلومات المطروحة على المنبر.

٧. تنقسم المعلومات المطروحة على المنبر بحسب الاستقراء إلى القضايا البرهانية والاستدلالية، والمشهورات والمسلّمات، والآيات والروايات، والشواهد التاريخية، والمشاهدات الحسّية، والقصص والأشعار.

٨. إنّ كلّ نوع من أنواع المعلومات المشار إليها في النقطة السابقة يخضع لمجموعة من الضوابط والتقنينات التي تتناسب مع المنهج أو المجال الذي ينضوي تحته ذلك النوع.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ إصلاح الفكر الإسلامي (مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر)، طه جابر العلواني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢ـ أُصول البحث، عبد الهادي الفضلي (ت ٢٠١٣م)، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، قم ـ إيران.

٣ـ أُصول المحاضرات، كامل الهاشمي، مؤسّسة أُمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٤ـ أُصول المعرفة والمنهج العقلي، أيمن المصري، الديرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٥ـ الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات كتابجي، طهران، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ.

٦ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٧ـ البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري المعروف بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: فوزي عطوي، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، مصر، الطبعة الأُولى، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

٨ـ تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي (ت٢٠٠٣م)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، ١٣٧٨ش.

٩ـ تلخيص الخطابة، محمد بن أحمد المعروف بابن رشد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م.

١٠ـ الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، أرسطوطاليس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٩م.

١١ـ الخطابة بين العلم النظري والفنّ التطبيقي، عبد الرحيم أرشد، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٢ـ الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد محمد عمارة، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣ـ الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق، القاهرة، بيروت، لندن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٤ـ دراسات في الخطابة، محمد سعد علي شبيب، وعبد البصير علي علي، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٥ـ الشعائر الدينية، محمد السند، تقرير: السيّد جعفر الحكيم، دار الغدير، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦ـ علم الخطابة، أحمد أحمد غواش، دار الجيل للطباعة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٩٧١م.

١٧ـ غُرر الحكم ودُرر الكلم، عبد الواحد محمد التميمي الآمدي (ت٥٥٠هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٨ـ فلسفتنا، محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩ـ فنّ الخطابة الحسينية، محمد باقر المقدسي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩م/ ٢٠٠٨م.

٢٠ـ فنّ الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٢١ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفّاري، ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٢ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٣ـ لمحات في الكتاب والحديث والمذهب، لطف الله الصافي الكلبايكاني، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، طهران.

٢٤ـ اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، حسين النوري الطبرسي (ت١٣٣٠هـ)، تعريب: إبراهيم البدوي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٥ـ المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، محمد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، دفتر انتشارات إسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية.

٢٦ـ المدخل إلى مناهج البحث العلمي، محمد محمد قاسم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.

٢٧ـ المرشد إلى الخطابة، كريس ستيوارد، ومايك واكنسون، ترجمة: جورج خوري، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٠م.

٢٨ـ المنبر الحسيني نشوؤه حاضره آفاق المستقبل، فيصل الخالدي الكاظمي، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٩ـ منطق تفسير القرآن، محمد علي رضائي إصفهاني، ترجمة ونشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر، الطبعة السادسة، ١٣٩٢ش.

٣٠ـ المنطق، محمد رضا المظفّر (ت١٣٨٣هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٣١ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت١٣٢٤هـ)، ترجمة: حسن حسن زاده آملي ومحمد باقر كمره اي، تحقيق: إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

٣٢ـ منهج تدوين (معجم مصطلحات العلوم الإسلامية)، محمد هادي يعقوب نجاد، ترجمة: خالد الغفّوري، مؤسّسة بوستان كتاب، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ/ ١٣٨٦ش.

٣٣ـ موسوعة طبقات الفقهاء (المقدّمة)، جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٣٤ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.

٣٥ـ نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، دار الهجرة للنشر، قم المقدّسة، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٦ـ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام، الطبعة التاسعة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

دراسة تحليلية ميدانية
لواقع الخطابة الحسينية في العراق
ما بين عامي (٢٠٠٣- ٢٠١٨م)

م. م. محمد هاشم الحمداني *

المقدّمة

منذُ أن صدحت صرخة كربلاء الحقّة، وصفعت جبهة الظلم في العاشر من شهر محرّم لسنة (٦١هـ) حتّى يومنا هذا، ما زالت انعكاساتها ومعطياتها النافعة تُغذّي المجتمع الإسلامي، وتُواكب ما يدور في خَلَده من مُجريات، ولعلَ أهمّ هذه الانعكاسات التي خلُدت بخلود كربلاء، هي ما اتُّفِقَ على تسميته بالخطابة الحسينية، التي غطَّت أغلب المراحل الزمنية التي تلت معركة كربلاء، مذكِّرةً بالأحداث المأساوية التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام.

كما كان لهذه الانعكاسة المهمّة صوتٌ هادرٌ، قد عالج العديد من المشاكل التي عانى منها أتباع أهل البيت عليهم السلام؛ ولهذا جاءت دراستنا هذه باحثةً ـ بشكل تحليلي ميداني ـ عن واقع الخطابة الحسينية في العراق خلال الأعوام (٢٠٠٣م ـ ٢٠١٨م)؛ لِما لهذه السنوات من حسّاسية في تاريخ العراق المعاصر؛ إذ شهدت هذه المدّة تطوّرات كبيرة في الساحة العراقية سنُلمِّحُ إليها في ثنايا البحث.

ولا شكّ في أنّ أهمّ ما يواجه الباحث حول هذا الموضوع، الذي يُعبِّر عن تفاعل

---

* ماجستير في التاريخ الإسلامي/ جامعة كربلاء، باحث إسلامي من العراق.

اجتماعي عميق في مثل هذه المدّة القريبة، هو قلّة المصادر المطبوعة؛ ولهذا لجأنا بعد الاستفادة من المطبوعات رغم ندرتها، إلى ما نُشر على شبكة الإنترنت من خطابات حسينية، أو مقابلات شخصية أجرتها بعض الوسائل الإعلامية مع الخطباء، كما قمنا بطرح ورقة استبيان انسجاماً مع ما يصبو إليه البحث فقد طرحنا ورقة استبيان؛ لبيان رأي الخطيب والمتلقّي حول ما قدّمته الخطابة الحسينية خلال مدّة الدراسة، فكانت هذه الورقة أيضاً مصدراً هامّاً في استقصاء المعلومات التي ستتبيّن خلال البحث.

ومن هنا؛ فإنّ خطّة البحث التي نسير عليها في هذا المقال تتكوّن من تمهيد يُسلِّط الضوء على بيان المراد من مفردة الخطابة بشكل عامّ، وبيان مراحل نشوء الخطابة الحسينية بشكل خاصّ، ثمّ يليه مبحثان، أحدهما: تحليلي نتطرّق فيه إلى ثلاثة محاور رئيسة، كان المحوران الأوّل والثاني على الترتيب عبارة عن الأُطروحات السياسية والاجتماعية للخطابة الحسينية في العراق ما بين (٢٠٠٣م ـ ٢٠١٨م)، بينما كان المحور الثالث عبارة عن الخطابة الحسينية ودخول التكنولوجيا الحديثة في العراق. أمّا المبحث الثاني فقد كان مبحثاً ميدانياً عرضنا فيه مجموعة من النسب المرتبطة باستبيان مؤلَّف من ثمانية أسئلة تمّ تقديمه إلى مجموعة من خطباء المنبر الحسيني، ومجموعة من الأشخاص الآخرين من غير شريحة الخطباء، وقد وقفنا من خلال هذا الاستبيان على أهمّ المحاور والإشكاليات التي ترتبط بمستقبل الخطابة الحسينية في العراق.

وأخيراً، لا بدّ من القول إنّ الحساسية الشديدة لهذه المدّة، وقرب وقت الدراسة؛ دعتنا إلى تجنُّب مجموعة من المواضيع التي يمكن أن يكون فيها الباحث عرضةً للميول الشخصية، أو المذهبية، أو عرضةً للتسرُّع بإطلاق الأحكام على جهود خطابية لم تؤتِ ثمارها بعدُ. نسأل الله أن يوفّقنا لِما يحبُّ ويرضى، إنّه وليّ التوفيق والتسديد!

التمهيد:

النقطة الأُولى: بيان المراد من مفردة الخطابة

الخطابة لغةً: جاء في لسان العرب: «**الخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ على المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة**»(١)، وجاء في مختار الصحاح: «**الخَطْب: سبب الأمر، تقول: ما خَطبك؟... وخاطبه بالكلام مُخاطبةً وخطاباً، وَخَطب على المنبر خُطبة، وخطابة، وخَطَبَ المرأة في النكاح خِطبة**»(٢)، أمّا القاموس المحيط فقد جاء فيه: «**الخَطْب: هو الشأن، والأمر صغر أو عظم، والجمع خطوب... وخطب الخاطب على المنبر خَطابة، وذلك الكلام: خُطبة، أو هي: الكلام المنثور المسجَّع ونحوه**»(٣)، وأخيراً ذكر الفاضل الهندي أنّ الخُطبة (بالضم) هي: اسم للكلام الذي يتحدّث به الخطيب والمتضمِّن وعظاً وإبلاغاً(٤).

أمّا الخطابة اصطلاحاً: فقد عُرِّفت بـ: «**استمالة مَن تُؤثر استمالته**»(٥)، وعُرِّفت أيضاً بـ: «**فنّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته**»(٦).

وللخطابة حظوة على غيرها من فنون الأدب، فقد ارتبطت الخطابة ببعض الأعمال العبادية، كصلاة العيدين والجمعة اللتين دخلت الخطبة في تشريعهما(٧)، أضف إلى ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّتنا عليهم السلام قد حثّوا محبّيهم على الأخلاق الفاضلة،

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٣٦١.
(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص١٨٠.
(٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص٦٢ ـ ٦٣.
(٤) أُنظر: الفاضل الهندي، بهاء الدين الأصبهاني، اللآلئ العبقرية في شرح العينية الحميرية: ص٢١٢.
(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون: ج١، ص١٣٥.
(٦) الحوفي، أحمد محمد، فنّ الخطابة: ص٥.
(٧) أُنظر: الخزرجي، نضير، مراحل تطوّر المنبر الحسيني: وكالة أنباء براثا، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٢م.
http://burathanews.com/arabic/studies/179575.

ودحضوا آراء مخالفيهم بمجموعة من الخطب البليغة[1].

وفي الخطبة لا بدّ من توفّر عنصر القناعة، وهذا العنصر لا يحصل ما لم يتمكّن الخطيب من إقناع الجمهور، والمراد من القناعة هو التصديق بالشيء مع الاعتقاد بعدم إمكان ما ينقضه، أو مع الاعتقاد بإمكان ما ينقضه إلّا أنّ النفس تصير بسبب الطرق المقنِعة أميل إليه من خلافه[2].

أمّا فيما يتعلّق بالخطابة الحسينية التي هي مادّة المنبر الحسيني، فقد وُجِدَت منذُ القرن الأوّل الهجري، وتحديداً بعد معركة كربلاء[3]، وقد كانت في بادئ أمرها عبارة عن إنشاد الشعر في رثاء الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه من قِبل بعض الشعراء[4].

وخلال القرنين الهجريين الثالث والرابع تطوّر المنبر ـ بعد الكبت الذي عاناه في المدّة التي تلت واقعة الطفّ الأليمة ـ فبرزت المجالس بشكل كبير؛ نظراً لقيام دول موالية لأهل البيت عليهم السلام، مثل الأدارسة في شمال أفريقيا، والفاطميين في مصر، والبويهيين في إيران والعراق[5]، وهنا أخذت المجالس الحسينية أشكالًا متعدّدة، فكان الفاطميون ـ مثلاً ـ في يوم عاشوراء يقومون بإطعام الناس، ويكثرون النوح والبكاء، ويُظهرون مظاهر الحزن والأسف[6].

ثمّ إنّه بسبب كثرة مَن يُقيمون المجالس الحسينية مع قلّة الخطباء، ظهرت مرحلة جديدة من الخطابة، كانت عبارة عن وضع مجالس حسينية مكتوبة، يقرأها الخطباء

(١) كخطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، وخطبة السيّدة الزهراء عليها السلام. أُنظر: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٢، ص٣١٥. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص١٠٨.

(٢) أُنظر: المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٥.

(٣) أُنظر: الطريحي، محمد سعيد، المنتخب للطريحي: ج١، ص٢٠٨.

(٤) أُنظر: محمد باقر موسى جعفر، الشعائر الحسينية في العصرين الأُموي والعبّاسي: ص٣٦٢ـ٣٦٥.

(٥) أُنظر: الطريحي، محمد سعيد، المنتخب للطريحي: ج١، ص٢٠٨.

(٦) أُنظر: المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية: ج١، ص٤٩٠.

وغير الخطباء، فيُلقي الشخص المجلس لأهله أو منطقته، واشتُهرت هذه الظاهرة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وعُرِفَت تلك المجالس حينذاك بالروضة، نسبة إلى كتاب (روضة الشهداء) للواعظ حسين الكاشفي المتوفّى سنة (٩١٠هـ)، والذي جاءت منه كلمة (روزه خون)، التي أصلها: (روضة خوان) أي: قارئ كتاب روضة الشهداء[١]، واستمر هذا التطوّر في دور المنبر الحسيني خلال الأعوام (٩١٤هـ ـ ١١١٤هـ) التي حكم فيها الصفويون العراق[٢].

أمّا المدّة الزمنية التي تلت هذه المرحلة فقد اتصفت بحصول تغيّرات كبيرة على المستوى العالمي، كظهور الاستعمار، ووصول تيارات فكرية إلحادية، وغيرها من الأُمور التي أسهمت في إيقاظ المسلمين، وتنبيههم على الأخطار المحيطة بهم، وشمل ذلك بصورة جلية وواضحة المنبر الحسيني[٣].

وأخيراً، أسهم التطوّر في قطّاع الاتّصالات بتوصيل المعلومة إلى أوسع نطاق ممكن، واستطاع التلفاز والفضائيات وشبكات التواصل الاجتماعي عِبر الإنترنيت توسيع دائرة وصول الكلمة الحسينية[٤]، ممّا جعل نهضة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء تصبح «**حركة اجتماعية إسلامية أُسّست لمنهج جديد في التغيير الاجتماعي، وفي طبيعة التعامل مع السلطة في حال وُجِدَت الظروف الموضوعية المناسبة لأن تُعطي الثورة على الحاكم ثمارها، وأن تُنتج الشجرة المثمرة والوارفة بظلالها على المجتمع**»[٥].

---

(١) وهي كلمة فارسية، والروضة كاصطلاح برز في القرن العاشر للهجرة، وهي مجموعة قصائد على عدد الحروف الهجائية، تشتمل على ذكر الإمام الحسين عليه السلام وفاجعته. أُنظر: الطريحي، محمد سعيد، المنتخب للطريحي: ج١، هامش ص٢٠٨.

(٢) الكاظمي، فيصل الخالدي، المنبر الحسيني نشوؤه حاضره وآفاق المستقبل: ص١٨٧.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٨٨ـ ١٨٩.

(٤) أُنظر: الخزرجي، نضير، مراحل تطوّر المنبر الحسيني: وكالة أنباء براثا، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٢م. http://burathanews.com/arabic/studies/179575.

(٥) الفضلي، عبد الهادي، النهضة الحسينية بين مقتضيات الواقع الاجتماعي والقيام بالواجب الشرعي: ص١١٧.

وهذا التوجُّه نجده واضحاً في السنين التي سبقت سقوط حكم البعث الإجرامي في العراق، فقد كان المنبر الحسيني في حالة ترقُّب لتهيّؤ تلك الظروف الموضوعية، كما كان معالجاً للكثير من القضايا الاجتماعية التي تمسُّ حياة المجتمع بشكل يومي، بل واجه العديد من الخطباء السلطة بصورة علنية، مقتدين بالإمام الحسين عليه السلام، وغير معتبرين لأيّ تهديد ووعيد[1]، إلاّ أنّ هذا التصدّي أدّى إلى تعرُّض العديد منهم للقتل[2] والتهجير، وجعل الخطابة الحسينية تنتظر ساعة الخلاص من ذلك النظام البوليسي كانتظار بقية المفردات الأدبية والعلمية والدينية، التي عانت من سطوة جلّادي حزب البعث المقبور.

المبحث الأوّل: الجانب التحليلي

المحور الأوّل: الأُطروحات السياسية للخطابة الحسينية في العراق ما بين عامي (٢٠٠٣ م ـ ٢٠١٨م)

في هذا المحور سنتناول المواقف التي اتّخذها خطباء المنبر الحسيني في العراق على الصعيد السياسي، بعد عام (٢٠٠٣م)، سواء في مقام نقد الأداء الحكومي لمسؤولي الدولة بعد سقوط نظام البعث في شتّى المجالات، أو في مقام مواجهة احتلال التكفيريين الداعشيين للأراضي العراقية.

أوّلاً: الخطابة الحسينية بعد نهاية حكم البعث

يُعدّ يوم التاسع من شهر نيسان لعام (٢٠٠٣م) من التواريخ المفصلية في تاريخ العراق المعاصر؛ حيث سقوط النظام القمعي الذي جثم على صدر العراق لأكثر من

(١) أُنظر: جواد تقي، محمد علي، حوار مع خطيب المنبر الحسيني السيّد مرتضى القزويني: مجلّة الهدى، العدد ٢٥٥، بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠١٢م.

(٢) كأمثال: الخطيب السيّد محمد علي بن محمد حسن بن مهدي بن الخليل الموسوي الملقّب أيضاً بالحكيم الشهرستاني الذي اعتُقِلَ عقب الانتفاضة الشعبانية، ولم يُعلَم خبره حتّى اليوم، وغيره الكثير من الخطباء. أُنظر: الشاكري، حسين، علي في الكتاب والسنّة والأدب: ج٥، ص٢٧٥.

ثلاثة عقود، وقد ترتّبت على هذا الحدث جملة من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولم يقتصر صدى هذا التغيير على الرقعة الجغرافية للعراق، بل تعدّاها إلى بعض المناطق والدول المجاورة.

ونظراً لجسامة هذا الحدث، وللارتباط الوثيق بين النهضة الحسينية والميدان السياسي، ولزوال المبرّرات التي كانت تمنع عالِم الدين وخطيب المنبر الحسيني من التحدُّث في السياسة[1]؛ فقد وجدت الخطابة الحسينية فرصتها التي انتظرتها عقوداً تحت سطوة الجلّاد الذي واجه الرأي بالسجن والقتل والتهجير، وأسرعت إلى تعويض ما كان يُعانيه العراقيون من الكبت في التعبير عن معتقداتهم، والحرمان من ممارسة طقوسهم الدينية[2].

كما رافق ذلك عودة مَن هُجِّرَ من الخطباء الحسينيين الذين سعوا خلال سنين الهجرة إلى بثّ علوم أهل البيت عليهم السلام في بلدان المنفى، فممّا تجدر الإشارة له أنّ نظام الطاغية صدّام، وعقب الانتفاضة الشعبانية عام (١٩٩١م) قام بقمع أبناء الشعب العراقي، والتنكيل بهم، ممّا اضطر الكثير منهم ـ خصوصاً أبناء الطائفة الشيعية ـ إلى الهجرة خارج العراق؛ وقد أسهم ذلك في انتشار المآتم الحسينية في العديد من البلدان[3].

ومع هذا، فإنّ التّهجير يكشف عن جانب مهمّ في مراحل المنبر الحسيني داخل العراق، حيث الكلمة الممنوعة، والرثاء الممنوع، والنّقد الممنوع، كلّ ذلك، جعل المنبر الحسيني والخطباء داخل البلد بين القراءة والرثاء المقصور على بعض النعي

(١) أُنظر: الصفّار، حسن، مقال بعنوان: دور المنبر الحسيني في صناعة الوعي السياسي، ١٦/ ١٠/ ٢٠١٢م: https://www.saffar.org/?act=artc&id=3061.

(٢) أُنظر: البغدادي، عبد الحافظ، قناة الكوثر الفضائية، تاريخ المواكب الحسينية، ٨/ نوفمبر/ ٢٠١٧م. http://www.alkawthartv.com/news/102688.

(٣) أُنظر: النداوي، عبد الرزاق، مقال بعنوان: تطوّر مراحل العزاء والمأتم الحسيني: مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد الثاني عشر، ص١٧٢.

وغيره، وبين أن يجاهروا ويبرزوا ما في الثورة الحسينية من معانٍ، وهو ما لا ترتضيه السلطة.

هذه المرحلة من الخطابة الحسينية في العراق، انتهت بانتهاء السلطة البعثية الحاكمة، ليدخل المنبر الحسيني مرحلةً جديدة، تتّسم بحرية الخطابة، وحرية إقامة العزاء، ونقد الواقع المشوب بالفساد، إلى غير ذلك مما توافر في الخطابة الحسينية في هذه الفترة، ويمكن القول: إنّ الخطابة الحسينية بعد سقوط حكم البعث قد دخلت في محطّة مفصلية من تاريخها، تمثّلت بالتخلّص من القمع والاضطهاد، وهذا ما سيتّضح بشكل أكبر عندما نتطرّق إلى موقف الخطابة الحسينية من الأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها المدّة اللاحقة لسقوط ذلك النظام.

وبالمحصّل: فإنّ هناك مرحلتين ملحوظتين في مسيرة الخطابة الحسينية، (مرحلة ما قبل سقوط النظام البعثي، ومرحلة ما بعدها)؛ فالأُولى: جعلت المنبر الحسيني في حالة ضمور، لا يقوم بكامل أدواره، أمّا المرحلة الثانية: ـ وهي التي تتمثّل بما بعد انتهاء هذا الحكم ـ فكان المنبر الحسيني فيها أحد أهمّ الوسائل التربوية، والنقدية، والتوجيهية. وبعبارة أُخرى: تبوّأ المنبر الحسيني المكانة التي لم تكن مأمّنةً له في السابق، وبهذا اللحاظ تعتبر هذه المرحلة مرحلة مفصلية في واقع المنبر.

ثانياً: الخطابة الحسينية والشدّ الطائفي وفتوى الجهاد الكفائي بعد دخول داعش

١ـ الخطابة الحسينية وزمن الشدّ الطائفي

لم يهنأ العراقيون بطعم الحرية التي تذوّقوها، حتّى نفث المتضـرّرون من تغيير حكم البعث سمومهم الطائفية بين أبناء الوطن الواحد؛ ليدخل العراق حقبة سوداء في تاريخه، ألا وهي الحرب الطائفية التي دفع فيها أبناء العراق آلاف الشهداء والجرحى والمهجّرين، والتي خلّفت الكثير من الآلام والمآسي.

وفي الحقيقة أنّ هناك اختلافاً حول تسمية ما حصل في العراق بأنّه حرب طائفية

أو أهلية، فالبعض رأى أنّها حرب بين مكوِّنات سياسية، قد اتّخذت طابعاً مسلّحاً، أي: بمعنى أنّ السنّي لم يقتل الشيعي لأنّه شيعي، وأنّ الشيعي لم يقتل السنّي؛ لأنّه سنّي، مستدلّين على ذلك بوجود علاقات اجتماعية متداخلة عشائرية وعائلية بين كلا الطائفتين، ومهما يكن الأمر فقد دخل العراق عقب سقوط حكم البعث في أُتون حرب تصارعت فيها جهات مختلفة الطوائف، وانتقلت بفعل ذلك الارتباط الطائفي إلى جميع الفئات الاجتماعية، لتظهر المناطقية الطائفية، خصوصاً في المناطق المتعدّدة المذاهب[1].

وبعيداً عن الخوض في التفاصيل المزعجة التي رافقت تلك الحرب، سنستعرض دور الخطابة الحسينية من ذلك الحدث، وبتعبير أدقّ سنتعرّف على ما إذا كانت الخطابة الحسينية قد قامت بدور إيجابي في المقام، وذلك من خلال التعريف بخطورة هذه الحرب، أو أنّها كانت عاملاً مساعداً فيها؟

وللإجابة عن ذلك نقول: من المؤكّد أنّ السواد الأعظم من الخطباء الحسينيين كانوا من الداعين إلى ضرورة إيقاف هذه الحرب ومآسيها، ومن الساعين إلى تدعيم سيطرة الدولة العراقية على زمام الأُمور، وتغليب المصلحة العامّة، والتمسُّك بأكبر قدر من المشتركات مع الغير[2].

وليس هذا بغريب عن المنبر الحسيني والخطابة الحسينية، فنبذُ الطائفية، والتأكيد على الصلاح والهداية، وأهميّة المحافظة على المصالح العامّة، هو رأي مُتبنًّى حتّى قبل التغيير الذي يرى فيه بعضٌ نجاحاً لفئة دون أُخرى[3]، إلاّ أنّ جسامة الأحداث التي

(١) أُنظر: الحامد، رائد، الحرب الأهلية في العراق الموجة الثانية: جريدة الحياة، ٣٠/ نوفمبر/ ٢٠١٣م. http://www.alhayat.com/article/816929.

(٢) الطالقاني، علي، أزمة التطرّف، الحلقة ١٤ ضمن سلسلة حلقات بُثّت على قناة السومرية الفضائية: https://www.youtube.com/watch?v=4NohVopiWr8.

(٣) أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص٢٥.

حصلت خلال هذه الحرب جعلت الأمر في بعض الأحيان يخرج عن سيطرة الخطابة الحسينية، وكذلك عن سيطرة كلّ الجهات الضابطة للمجتمع.

نعم، قد غلب على ردود الفعل تلك الطابع العفوي الممتزج بالشعور بضرورة الدفاع عن النفس، وكلّ هذا مرتبط بضعف مؤسّسات الدولة التي كان يجب عليها القيام بالدور المنشود، المتمثّل بالحفاظ على السلم الأهلي وصيانته، ومثالنا على تلك الأحداث المأساوية التي خرجت فيها الأُمور عن سيطرة العقلاء هما التفجيران اللذان طالا مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء، في اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط سنة (٢٠٠٦م)، واليوم الثالث عشر من شهر حزيران سنة (٢٠٠٧م)، وكانا تعبيراً حقيقياً عن جسامة الأحداث التي خُطِّط لها لإشعال الفتنة الطائفية في العراق، وهذا ما حصل عقب ذلك التفجير[١].

وبعد أنّ أصبح الأمر واقعاً قام المنبر الحسيني بالدور المأمول منه، المتمثّل بالحثّ على ضبط النفس، وعدم الانجرار وراء محاولات إثارة الفتنة، والتنبُّه إلى قذارة المخطّطات التي يستخدمها المنتفعون من استمرار هذا التقاتل[٢]، ولا شكّ في أنّ هذا التوجّه مستمدٌّ ممّا نصّت عليه المرجعية الدينية العليا عقب أحد هذين التفجيرين، حيث جاء في البيان الصادر عن مكتب المرجع الأعلى سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف):

«**بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]، **لقد امتدّت الأيادي الآثمة في صباح هذا**

(١) أُنظر: نجاح محمد علي، عنف العراق حرب طائفية أم حرب الآخرين؟ مقال بتاريخ١٧/ يوليو/ ٢٠٠٦م: https://www.swissinfo.ch/ara.

(٢) أُنظر: بعض المحاضرات التي ألقاها بعض خطباء المنبر الحسيني على الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=SxdU3z4hHX0.

(٣) التوبة: آية٣٢.

اليوم لترتكب جريمة مخزية ما أبشعها وأفضعها، وهي استهداف حرم الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وتفجير قبّته المباركة، مما أدّى إلى انهدام جزء كبير منها، وحدوث أضرار جسيمة أُخرى. إنّ الكلمات قاصرة عن إدانة هذه الجريمة النكراء التي قصد التكفيريون من ورائها إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي؛ ليُتيح لهم ذلك الوصول إلى أهدافهم الخبيثة. إنّ الحكومة العراقية مدعوّة اليوم أكثر من أيّ وقت مضى إلى تحمّل مسؤوليّاتها الكاملة في وقف مسلسل الأعمال الإجرامية التي تستهدف الأماكن المقدّسة، وإذا كانت أجهزتها الأمنية عاجزة عن تأمين الحماية اللازمة، فإنّ المؤمنين قادرون على ذلك بعون الله سبحانه وتعالى. إنّنا إذ نُعزّي إمامنا صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف بهذا المصاب الجلل، نُعلن الحداد العامّ لذلك سبعة أيّام، وندعو المؤمنين ليُعبِّروا خلالها بالأساليب السلمية عن احتجاجهم وإدانتهم لانتهاك الحرمات، واستباحة المقدّسات، مؤكّدين على الجميع ـ وهم يعيشون حال الصدمة والمأساة للجريمة المروّعة ـ أن لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجرّهم إلى اتّخاذ ما يؤدّي إلى ما يُريده الأعداء من فتنة طائفية، طالما عملوا على إدخال العراق في أُتونها. ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»[1].

وتماشياً مع هذا البيان جاءت الخطابات الحسينية مستنكرةً لهذا الحدث الجسيم، وحاثّةً على ضرورة التزام الهدوء وضبط النفس؛ خشية الوقوع في المخطّطات الشريرة لمنفّذي هذا الفعل.

وفي الحقيقة لا يمكن إخفاء بعض الأصوات التي اتّهمت خطباء المنبر الحسيني بأنّهم يُرسِّخون الطائفية، وهنا لا بدّ من الإجابة عن هذا الرأي على الرغم من وضوح تأدلجه بالأدلجة المستهدفة لدور الخطابة الحسينية، بأنّ المنهج العام المُتّبع عند خطباء المنبر الحسيني هو منهج التسامح، والنُّصح، وبناء الإنسان، وصيانة حقوقه، ووجود بعض الأصوات التي سَمَحت لها الظروف بإلقاء خطابها الطائفي لا يمثّل

(١) موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه).
https://www.sistani.org/arabic/statement/1494.

منهج الخطابة الحسينية، كما أنّ تلك الخطابات المُتّهمة بالتحريض على الطائفية، هي في الحقيقة ليست سوى ردود فعل على خطابات مماثلة أُطلقت خلال تلك الأعوام الأليمة من تاريخ العراق.

٢ـ الخطابة الحسينية وفتوى الجهاد الكفائي بعد احتلال تنظيم داعش الإرهابي للمدن العراقية

بعد وصول التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها داعش إلى المناطق المقدّسة والمأهولة بالسكّان، وقتلها الآلاف من العراقيين على أساس طائفي، وعدم وجود قوّات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة على وقف تقدّم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة تدهور الوضع الأمني في هذه المناطق، واحتمال انجرار البلاد إلى أُتون الحرب الأهلية الشاملة؛ لذا قامت بتوجيه فتواها للعراقيين بضرورة القيام بفريضة الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدّسات[١]، وجاء ذلك عبر إذاعة نصّ الفتوى من قِبل وكيل المرجعية الدينية العليا خلال صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف في الرابع عشر من شهر شعبان سنة (١٤٣٥هـ)[٢]. هذا، وقد تلقّى العراقيون هذه الفتوى بتفاعل منقطع النظير؛ استعداداً للتضحية والفداء من أجل الوطن والمقدّسات، وقد هبّت سيول من المتطوّعين في أغلب المدن العراقية، خاصّة في محافظات الوسط والجنوب؛ استجابة لهذه الفتوى المباركة.

وأمام هذه الأحداث المتسارعة نجد أنّ الخطابة الحسينية لم يخفت صوتها، بل كان صوتها عالياً، حاثّاً على ضرورة التفاعل بأكبر قدر ممكن مع ما صدر من المرجعية الدينية العليا على الرغم من كفائية الجهاد المعلن ضدّ تنظيم داعش الإرهابي. كما أنّه لم يقتصر دور الخطباء الحسينيين على الحثّ فقط، بل تقدّم بعض الخطباء صفوف

(١) أُنظر: حمد جاسم محمد، تنامي دور المرجعية الدينية في الشؤون السياسية في العراق الأسباب والنتائج: https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/3318.

(٢) أُنظر: موقع قناة العالم الإخبارية، مقال بعنوان: فتوى الجهاد الكفائي، والرؤية العميقة للمرجعية الدينية، نشر بتاريخ ١٣/ يونيو/ ٢٠١٥م: https://www.alalamtv.net/news/1710829/.

المتطوّعين، كما قام بعضهم برحلات شبه منتظمة إلى مقرّات الحشد الشعبي للدعم والتوجيه، وكانت نتيجة ذلك هي تقديم المنبر الحسيني العديد من الشهداء في هذه المعركة المقدّسة[1].

واللافت خلال هذه المدّة ـ ما دمنا في معرض الحديث الجهادي ـ أنّ الخطابة الحسينية خلال مرحلة الجهاد الكفائي شهدت تطوّراً نوعياً في هذا الجانب؛ إذ أصبح الحديث عن الجانب العسكري أو التكتيكي، وعن اليقظة العسكرية، والدعوة إلى الالتزام بتوجيهات القادة العسكريين محوراً مهمّاً داخل المحاضرة الحسينية[2]، وبهذا يمكن القول: إنّ أهمّ سمتين اتّسمت بهما الخطابة الحسينية خلال هذه المدّة هما: أوّلاً: التصاق دورها بدور المرجعية الدينية العليا، وهذا واضح ممّا تقدّم. وثانياً: دخول الخطابة الحسينية في هذه المدّة مرحلة ربّما هي الأُولى في تاريخها، تتمثّل بدخول الخطباء الحسينيين الميدان العسكري؛ استجابةً لما فرضته التحدّيات التي واجهت الواقع العراقي.

ثالثاً: تعليقات الخطابة الحسينية على ضعف الأداء الحكومي في المدّة ما بين عامي (٢٠٠٣م ـ ٢٠١٧م)

غير خافٍ على كلّ منصف أنّ النظام السابق للعراق وَرّث من المشاكل ما لا يُعدّ ولا يُحصى، فإضافة إلى ديون العراق العالية التي التزم بدفعها ضريبة لأخطاء الديكتاتورية البائدة، هنالك آلاف الأُميّين، والأيتام، والمُغيَّبين، إضافة إلى الفقر، والجهل، والتمايز الطبقي، ثمّ إنّه كان المؤمّل عقب سقوط هذا النظام الجائر أن يتمتّع العراقيون بحقوقهم كافّة، وأن ينعموا بما وهب الله تعالى هذه الأرض من خيرات، بعيداً عن الفقر والحرمان، الذي ظنّوا أنّه ولّى إلى غير رجعة، إلّا أنّ جملة من العوامل ـ التي تمّ التطرّق إلى بعضها سلفاً ـ اجتمعت لتحول بينهم وبين ذلك، ممّا ولّد شعوراً

(١) أُنظر: الحيدري، كريم، مع شهداء الحوزة العلمية في النجف الأشرف: مقال على موقع مؤسّسة الحكمة للثقافة الإسلامية: آب/ ٢٠١٧م.
.http://www.alhikmeh.org/news/archives/111641

(٢) أُنظر الموقع: .https://www.facebook.com/watch/?v=750048268377737.

بالإحباط عند الطبقات المحرومة، أضف إلى ذلك إنّ النظام السياسي الفتي للعراق قد لازمته بعد التغيير مجموعة من المشاكل المتعلّقة بالصراع حول المنافع، ومحاولة كلّ طرف الاستئثار بالامتيازات على حساب الآخر[1].

وأمام هذا الكمّ الهائل من المشاكل وقف المنبر الحسيني على لسان العديد من الخطباء معلّقاً على هذا السوء المعيشي، ومحاولاً حثّ كلّ مَعنيّ على النهوض بواقع البلد الخدمي والسياسي، غير أنّ هذه المحاولات لم تجد أُذناً صاغية من قبل أكثر المَعنيين، ممّا ولّد ردوداً أقوى من سابقتها من قِبل الخطباء الحسينيين، الذين لمّحوا في بعض محاضراتهم إلى وجود خطأ سياسي أدّى إلى ضعف في الأداء الخدمي الحكومي، وقد جاء هذا الموقف الممنهج من الخطباء الحسينيين متماشياً مع ما أعلنته المرجعية الدينية العليا في العراق على لسان ممثّلها في كربلاء سماحة السيّد أحمد الصافي، الذي أعلن امتعاضه من عدم استجابة الطبقة الحاكمة لنصائح المرجعية في خطبة صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف بالقول: «**لقد بحّت أصواتنا**»[2]، ولا شكّ في أنّ المنبر الحسيني بتصريحاته وتلميحاته هذه قد عبّر عمّا كان يُعانيه العراقيون من معاناة، وحرمان نتيجةً لتلك السياسات الخاطئة، وقدّ تمثّل ذلك بجملة من الخطابات على ألسنة الخطباء المشهورين[3].

---

(١) نظرة عامّة حول العراق: موقع قناة bbc، ٢٠/ آذار/ ٢٠١٣م.
.http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2013/03/130313-iraq- overview

(٢) أُنظر: الرهيمي، عبد الحلّيم، مقال بعنوان: عندما تقول المرجعية: بُحّ صوتنا: موقع كتابات في الميزان، بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠١٦م، https://www.kitabat.info/subject.php?id=73913، وجاء هذا تعليقاً على ما ورد في خطبة صلاة الجمعة من الصحن الحسيني الشريف المؤرّخة في٢٢/ كانون الثاني/ ٢٠١٦م.

(٣) أُنظر: محاضرات بعض خطباء المنبر الحسيني على الموقعين:
.https://www.youtube.com/watch?v=ozGOOvG6R5Mhttps
.www.youtube.com/watch?v=Cp4H6ej27wA

المحور الثاني: الأُطروحات الاجتماعية للخطابة الحسينية ما بين عامي (٢٠٠٣-٢٠١٨م)

كان من نتاج الحرّية التي تمتّع بها الخطباء الحسينيون عقب سقوط حكم البعث في العراق، أن أصبح تطرّقهم للقضايا الاجتماعية ليس بالصورة السابقة التي كان فيها الخطيب مقيّداً بموضوعات محدّدة، ولا تمسُّ بأيّ شكل من الأشكال سلطة الحاكم أو أفكاره، بل أصبح المنبر الحسيني وسيلةً قويةً في التصدّي لكلّ ما من شأنه أن يُخلّ بالأعراف الاجتماعية الصالحة، كما أنّ نصائحه شملت بعض المواضيع المتعلّقة بالشؤون الأُسرية للفرد العراقي، ويمكن تقسيم مقاصد الخطاب الحسيني الاجتماعي خلال مدّة هذه الدراسة إلى محورين، هما:

١. الأعراف العشائرية

لا شكّ في أنّ من أهمّ الأهداف التي تسعى لها الخطابة الحسينية في وقتنا الحاضر، هو الهدف المتمثّل بتوثيق الروابط الاجتماعية بين عامّة أبناء الشعب العراقي، وذلك امتداداً لما نهض من أجله الإمام الحسين عليه السلام من طلب الإصلاح والصلاح في أُمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ولهذا أخذ المنبر الحسيني على عاتقه مهمّة التصدّي لكلّ ما يعيب المجتمع ويشينه، وقد ساعدت جملة من العوامل في أن يكون للمنبر في هذا المجال حظوة على غيره من وسائل الضبط الاجتماعي، ففيه تذوب الفوارق الاجتماعية، والعشائرية، ويستمع لخطابه جميع أبناء العشائر، بعيداً عن الفئوية التي تميّزهم في غيره من المواقف[١]؛ ولهذا فلا غرابة في أن تُناشد بعض الأحيان الجهات الحكومية، والمجتمعية خطباء المنبر بضرورة التصدّي لظاهرة اجتماعية سلبية، كظاهرة إطلاق العيارات النارية العشوائية التي استفحلت في المجتمع[٢]، وهنا لا بدّ من التنبيه إلى

(١) أُنظر: موقع قناة العالم الإخبارية، خطباء المنبر الحسيني وضرورة الأخذ بوصايا السيّد السيستاني، ١/ اكتوبر/ ٢٠١٦م.

(٢) أُنظر: العتابي، عبد الجبّار، العيارات النارية العشوائية تقليد عراقي يقتل العشرات من الناس: مقال مجلّة إيلاف الإلكترونية، الإثنين/ ٢٤/ يناير/ ٢٠١١م.

أنّ المجتمع ومشاكله لم يغبْ عن ذهن الخطباء الحسينيين، إلّا أنّ خروج الأمر عن سيطرة (الحكومة) في بعض الأحيان هو الدافع وراء هذه المناشدات.

هذا، وإنّ شاهِدَنا ـ المؤسف ـ على محلّ البحث في هذه النقطة هو ظاهرة الصراعات العشائرية، التي تنطلق بين الحين والآخر في بعض المحافظات العراقية[1]، والتي لم يَألُ المنبر الحسيني جهداً في التصدّي لها عِبر العديد من خطاباته، محذِّراً من الحلول السلبية التي تُطبَّق في بعض الأحيان لمعالجة هذه المشاكل، خصوصاً فيما يعرف بـ(زواج الفصلية)[2].

ثمّ إنّ دور المنبر الحسيني في هذا المجال لم يقتصر على الجانب الإعلامي وحسب، بل حاول الخطباء الحسينيون النزول إلى الواقع، ومعايشة هذه الظاهرة، والتذكير بسلبيّاتها التي تنعكس على المجتمع بصورة عامّة، وهذا واضح للمتتبّع من خلال ملاحظة الجولات الميدانية لعدّة من الخطباء الحسينيين في مناطق متعدّدة من البلاد.

وتماشياً مع هذا الدور الذي تحمّله المنبر الحسيني حضرت شخصيّات لامعة ومؤثّرة من العلماء والخطباء الحسينيين مراسم توقيع وثيقة هامّة متبنّاة من قِبل المرجعية الدينية العليا في العراق، وقد جرى ذلك في العتبة الحسينية المقدّسة، وبرعاية المتولّي الشرعي لها، وبحضور قرابة مائتي شخصية من شيوخ العشائر من مختلف أنحاء العراق[3]، وقد تضمّنت هذه الوثيقة عدّة بنود داعية إلى الابتعاد عن

(١) أُنظر: القاسم، أكرم، النزاعات العشائرية جنوب العراق حرب النفوذ والمياه والشرف: مقال في صحيفة القدس العربي، ٢/ حزيران/ ٢٠١٧م.

(٢) عرف عشائري ما زال منتشراً في بعض المناطق، الخصومات الناشئة بين القبائل عن طريق تزويج رجال القبيلة المعتدى عليها نساء القبيلة المُعتدية.

(٣) أُنظر: الطائي، سلام، مقال بعنوان: بتوجيه من المرجعية الدينية العليا العشائر العراقية توقّع وثيقة عهد في حرم الإمام الحسين عليه السلام. الإعلام الدولي للعتبة الحسينية المقدّسة.
https://im.imamhussain.org/urdu/arabicnews/6732.

الصـراعات العشائرية، وعدم الاقتصاص من ذوي الجاني، وعدم إطلاق العيارات النارية في المناسبات الاجتماعية، وعدم التعرّض للكوادر التعليمية والطبّية، والابتعاد أيضاً عن ظاهرة النهوة العشائرية، والحثّ على دعم الأجهزة الأمنية وغيرها، وقد جرى التوقيع على هذه الوثيقة بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠١٧م.

يظهر ممّا سبق أنّ الخطابة الحسينية حقّقت في هذا الجانب إصلاحاً كبيراً، وهذا ما نلمسه من خلال التأثير الكبير لعدّة خطباء حسينيين، تمكّنوا من توجيه الشارع في الكثير من الأحيان؛ ولا شكّ في أنّ ضخامة حجم تلك المشاكل الاجتماعية بحاجة إلى بذل جهد أكبر، وأعمق تأثيراً.

٢. العلاقات الأُسرية

لا اختلاف في أنّ ما يُصيب الأُسرة العراقية ينعكس بصورة مباشرة على الوضع الاجتماعي العامّ؛ ومن هنا ركّز الخطباء الحسينيون في جهدهم المنبري على تهذيبها، وتطرّقوا إلى أهمّ ما تعرّضت له من مشاكل، هي في الغالب متوارثة من حُقب سالفة، فكانت المرأة وحقوقها من أهمّ اهتمامات الخطباء، خصوصاً في المناطق التي شاعت فيها بعض الأحكام القاسية ضدّها، وتحميلها تبعات أفعال الرجال، فحثّوا على ضرورة احترامها ورعايتها، مذكّرين بقداسة الدور المُناط بها في الشريعة الإسلامية[١].

وقد حقّقت الخطابة الحسينية نجاحاً في تطوير واقع المرأة العراقية ميدانياً، حيث شَرَعَت أبوابها للخطيبات اللواتي يُعوّل عليهنّ في مجال النهوض بواقع المرأة، وشهدت هذه المدّة شيوع المجالس الخاصّة بالنساء، وازدهرت الخطابة النسائية بتخريج دورات خطابية للنساء[٢]، أضف إلى ذلك، ظهور مجموعة من كتب

(١) أُنظر: موقع قناة dw، مقال بعنوان: زواج الفصلية عرف عشائري في العراق ضحيّته المرأة. https://www.dw.com/ar/a-15975887.

(٢) أُنظر: جواد تقي، محمد علي، المنبر الحسيني أقوى أنواع الخطابات لتعبئة الأُمّة، حوار مع سماحة الشيخ ضياء الدين الزبيدي: مجلّة الهدى، العدد ٢٧٢، بتاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

الخطابة النسوية التي حوت المواعظ والعبر، بالإضافة إلى تجديد الأحزان على آل البيت عليهم السلام[1].

كما كانت قضية انتشار أفكار الانفتاح بين الشباب محور اهتمام الخطباء الحسينيين؛ حيث رافق الانفتاح الكبير في هذه المدّة، وما نتج عن الاستخدام الخاطئ للوسائل التكنلوجية أن زادت نسبة الاختلاط بين الجنسين في المجتمع؛ وهذا ما ولّد العديد من المشاكل التي وقع فيها بعض الشباب، ممّا استدعى تصدّي المنبر الحسيني عِبر مجموعة من الخطب، وحثّه الشباب على أن يسلكوا المسلك الصحيح لاجتياز هذه المرحلة الحرجة[2].

المحور الثالث: الخطابة الحسينية ودخول التكنولوجيا الحديثة إلى العراق

اتّسمت الحقبة التي تلت سقوط حكم البعث في العراق بما يسمّى دخول عصر التكنلوجيا إلى العراق، فقد سمحت الحرّية الممنوحة للعراقيين بعد التغيير باقتناء الوسائل التي كانت ممنوعة سابقاً، بحيث إنّهم أقبلوا على اقتناء أجهزة الاستقبال الحديثة، ومن ثَمّ دخلت وسائل التواصل الاجتماعي المتطوّرة إلى الساحة العراقية.

ولا شكّ في أنّ هذا الاستخدام نتج عنه مجموعة من النتائج المفيدة للشعب العراقي، إلّا أنّ التأخّر المعرفي الحاصل بفعل سوء سياسة النظام السابق جعل لهذه الوسائل مردودات سلبية على بعض الفئات الاجتماعية، وقد كان للخطباء الحسينيين صولة في هذا المجال، حيث انبرى عدد منهم للتعريف بضرورة المحافظة على النسيج الاجتماعي من بعض الممارسات الخاطئة لهذه الوسائل التي غدت تُهدِّده، مؤكّدين على أنّ القواعد الإسلامية المتعلّقة بحرمة الاختلاط وغيرها، يجب أنّ تُطبَّق على استخدام هذه الوسائل.

والأمر الأهمّ في قضية دخول التكنولوجيا إلى العراق هو أنّ الطفرة العلمية

(١) كأنين المنابر في مجالس العزاء لأمّ نور الحسين، وأحزان العقيلة لمريم محي خليفة المالكي، وغيرها.

(٢) أُنظر: الحسناوي، زمان، محاضرة بعنوان: ضرورة الدين وشبهات الملحدين،١٠/ رمضان/ ١٤٣٧هـ: https://www.youtube.com/watch?v=8L73tvGSCvs.

السـريعة، وتعدّد وسائل المعرفة وتنوّعها، ووجود جهات تحاول زعزعة مبادئ العراقيين من خلال إثارة الشبهات، كل هذه الأُمور قد سمحت بأن تُوجَّه بعض الانتقادات لبعض الخطابات الحسينية في العراق، وعلى الرغم من أنّ هذا التوجّه لم يُحقّق ما كان يصبوا له من أهداف، هي بالتأكيد أكبر من النقد البنّاء، كان الخطباء الحسينيون على يقظة واستعداد تامّين للتصدّي لهذه الانتقادات، وتطوير ما قام به مَن سبقهم، والتذكير بالأدوار التنويرية المهمّة التي تبنّاها المنبر الحسيني، والأبعاد الفكرية والأهداف السامية التي سعى إلى تحقيقها سيّد الشهداء عليه السلام.

هذا، وقد خلت تلك الانتقادات والآراء من وجود أيّ طرح علمي ومعرفي، وإنّما اعتمد مطلقوها ومثيروها على تقليد ما اصطُلِحَ على تسميته بموجة التحرّر الغربي، الذي لم يُقنع حتّى مواطني البلدان الغربية، والدلائل على ذلك كثيرة، كارتفاع نسب الانتحار التي تُصرِّح بها مؤسّسات حقوق الإنسان العالمية.

كما أنّ التناقض قد بدا واضحاً في كلمات هؤلاء المتأثّرين بالموجة المشار إليها؛ وذلك لأنّهم في الوقت نفسه الذي يتحدّثون فيه باحترام وتقدير عن عقائد وسلوكيّات الآخرين، فينظرون بعين الإعجاب إلى مسيرات التعرّي، أو مهرجانات رمي الطماطم، أو مسابقات الثيران، هم أنفسهم يستنكرون المجالس الحسينية المشتملة على الوعظ، والبكاء ـ الذي هو حالة إنسانية ـ على رمز ضحّى بكلّ ما لديه من أجل تحرير الإنسان من حالة الذلّ والعبودية التي تُصادر كرامته، وتنحدر به إلى ما ينقص من قيمته العليا[1].

أمّا المنشأ الآخر للانتقادات الموجّهة إلى الخطابة الحسينية، فهو عبارة عن وجود الضعف والركاكة في المادّة التي يتمّ طرحها على المنبر الحسيني.

وفي مقام الإجابة عن جملة الانتقادات المُنبثقة من هذا المنشأ، نقول: لنفرض

(١) اُنظر: الصويري، عادل، مقال بعنوان: المنبر الحسيني ونظرة النخب الثقافية: شبكة النبأ المعلوماتية، ١٨/ تشرين الأول/ ٢٠١٥م. https://annabaa.org/arabic/ashuraa/3879.

جدلاً وجود بعض الخطابات الحسينية الركيكة، فهل هذا يعني أنّ هذا الكمّ الهائل من الموروث الحسيني النافع لمختلف الطبقات الاجتماعية ـ قبل منفعته للقضية الحسينية نفسها ـ يُهمَل لوجود هكذا آراء، أضف إلى ذلك أنّ الخطابة الحسينية نفسها شخّصت بعض الأخطاء منذُ عهود سابقة لتشخيصات الآخرين، وأدرجت جملة من التوصيات والأخلاقيات التي يجب أن يتحلّى بها الخطيب؛ دفعاً للانتقادات التي قد تتعرّض لها[1].

ولعلّ من أسباب رواج هذه الأفكار المُنتقِدة للخطابة مؤخّراً، هو عدم إدراك الخطيب لمتغيّرات العصر، من انتشار الوسائل التي جعلت الخطبة الملقاة في مكان ما مرئية من قِبل الجميع، فربّما أراد الخطيب بخطابه المختلف إيصال فكرة ما، أو شدَّ المتلقّي إلى مجلسه، أو تبسيط فكرته لمجتمع يعتقد هو ببساطته، إلّا أنّ تأثير وسائل الاتصال والتواصل الحديثة جعله عرضةً للانتقاد بعد أن خرج عن غير قصد عن قاعدة لكلّ مقام مقال.

غير أنّ المتتبِّع للتوجيهات التي تُصدرها المرجعيات الدينية للخطباء الحسينيين، يرى وبشكل جلي أنّ هناك جملة من التوصيات المتعلّقة بالدقّة في النقل، سواء أكان ذلك متعلِّقاً بنقل الآيات القرآنية، أم الروايات، أم الحكايات التاريخية، إضافة إلى التوصيات الأُخرى المتعلّقة بضرورة الابتعاد عن الاستعانة بالأحلام، أو القصص الخيالية، التي تُسيء إلى سمعة المنبر، كما توصي بضرورة الإعداد الجيّد للخطيب، وأن يكون متمكّناً من مادّته العلمية المطروحة في خطبته، وضرورة إحاطته بالثقافة المعاصرة، وأن يكون منبره منشأً لوحدة الكلمة[2]. كما حثّتهم المرجعيات الدينية

(١) أُنظر: القمّي، عبّاس، نفثة المصدور بما يتجدّد به حزن يوم عاشور: ص٧٣ ـ ٧٩. معهد سيّد الشهداء للمنبر الحسيني، معين القراء في أطوار مجالس العزاء: ص١١.

(٢) أُنظر: الحسناوي، زمان، محاضرة بعنوان: ضرورة الدين وشبهات الملحدين،١٠/ رمضان / ١٤٣٧هـ.: https://www.youtube.com/watch?v=8L73tvGSCvs.

كذلك على أن يكون دورهم غير قاصر على طرح المشكلة والتذكير بها فقط، بل يجب أن يشتمل على وضع الحلول الناجعة لها أيضاً[١]، إلى غير ذلك من التوصيات التي أصدرتها المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف لخطباء المنبر الحسيني، في شهر محرّم الحرام لعام ١٤٣٨هـ[٢].

ومن الواضح أنّ هذه التوجيهات تحمل الكثير من معاني صدق النية في توجيه الخطاب الحسيني، ولا تخلو من القسوة والضبط اللذين يتحمّلهما الخطيب الحسيني، وهذا بطبيعة الحال يعني أنّ هنالك منهجاً علمياً مرناً يتّبعه الخطيب الحسيني؛ ففي ذات الوقت الذي يمتلك الخطيب الحسيني فيه قدراً من الحرّية في اختيار عنوان محاضرته وطريقة طرحه، فإنّه ملزم بالعمل على وفق جملة من المبادئ العامّة التي يجب ألّا يخرج عنها.

وقد بذل خطباء المنبر الحسيني جهوداً كبيرة لكبح جماح تلك الدعوات، جهود تتمثّل بجذب الشباب نحو المنبر الحسيني عِبر التجديد في أساليب الخطاب وموادّه[٣]، كما أنّهم حذّروا كذلك من أنّ هذه الآراء تمثّل واحداً من وجوه الاختراقات الثقافية الناتجة عن العولمة وتصدير الثقافات[٤].

هذا، ويمكن أن نُشير ـ مضافاً إلى ما تقدّم ـ إلى جملة من الأسباب التي ربّما تكون غائبة عمَّن يُطلقون هذه الآراء الناقدة للمنبر الحسيني، وهي:

---

(١) أُنظر: قناة العالم، خطباء المنبر الحسيني وضرورة الأخذ بوصايا السيّد السيستاني، ١/ اكتوبر/ ٢٠١٦م: https://iraq.shafaqna.com.

(٢) أُنظر: موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلُّه).

(٣) أُنظر: جواد تقي، محمد علي، المنبر الحسيني أقوى أنواع الخطابات لتعبئة الأُمّة، حوار مع سماحة الشيخ ضياء الدين الزبيدي: مجلّة الهدى، العدد ٢٧٢، بتاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

(٤) مصطلح مرن يعني من بين ما يعنيه: تغليب نمط ثقافي حضاري واحد ليشمل العالم كلَّه، وهو النمط الأمريكي. الكاتب.

١ـ إنّ توسّع حجم الخطابة الحسينية خلال سنوات ما بعد سقوط حزب البعث[١]، وانتشارها في مختلف أرجاء العراق؛ أخرج الكثير من المكبوتات التاريخية التي مُنِعَ التصريح بها خلال سنوات القمع كما أشرنا، ومن المؤكّد أن يرافق ذلك بعض التطرّف في عرض المعتقدات الدينية، غير أنّ السؤال الأهمّ الذي يجب أن يطرحه منتقدو الخطابة الحسينية في هذا الجانب هو: مَن المسؤول عن هذا التطرّف؟ وبمعنى أدقّ نقول: إنّ التطرّف الذي ينتقده بعضٌ، يتّهم الخطابة الحسينية به، منشؤه سنوات القمع الطويلة التي عانت منها الخطابة الحسينية، وغيرها من التفاعلات الاجتماعية.

٢ـ لم يكن الظرف الذي عاشه العراق بعد عام (٢٠٠٣م) ظرفاً مثالياً، بل ـ كما أسلفنا ـ مرَّ العراق باحتلال، وحرب طائفية، وهجوم إرهابي من قِبل تنظيم داعش، ومن الطبيعي أن يُرافق كلّ هذه الأحداث خروج عن المألوف في طبيعة الخطاب الحسيني، وحالة من الانفعال الخارج عن إرادة الإنسان، فعلى سبيل المثال ما زال في الذاكرة الهجوم الذي تعرّضت له حسينية المرحوم داوود العاشور، أشهر حسينيات محافظة البصرة بتاريخ ٢٦/ آب/ ٢٠١١م، أثناء الخطبة الحسينية، فمن المؤكّد أن تكون الردود الداعية إلى تطبيق القانون بحقّ المجرمين ردوداً متشنّجة وخارجة عن الحدّ الطبيعي[٢].

٣ـ الحالة النفسية للخطيب، لا شكّ في أنّ الإنسان يحتاج إلى عنصر نفسي في مقام تأديته لجميع أعماله بمستواها المألوف، وأنّ هذه الأعمال كلّما ازدادت تعقيداً احتاجت إلى قوّة نفسية مقابلة لها، فالفوز والفشل، والنصر والهزيمة، منبعها هو

(١) أُنظر: قشاقش، السيّد نصرات، عوامل النجاح في المحاضرة الحسينية، كلمة ألقاها في مدرسة ابن فهد الحلّي في كربلاء المقدّسة.
.http://www.alshirazi.net/news/news/th-gheda1430/07.htm

(٢) الردُّ منقول على مجموعة من القنوات التلفزيونية التي اهتمّت بتغطية المجالس في الحسينية المذكورة: .www.youtube.com/watch?v=kCKTPcTq8NI.

ذات الإنسان نفسه[1]، ولا شكّ في أنّ هذه الصفات النفسية تختلف بين خطيب وآخر، كما تلعب الصفات الجسمانية ـ خاصّة فيما يتعلَّق بقوّة لسان الخطيب ـ دوراً هامّاً في إيصال رسالته[2]، وهنا يتّضح أنّ هناك مسؤولية أُخرى على الخطيب، وهي تطوير صفاته النفسية والجسمانية؛ لِما لهذه الصفات من دور مهمّ في نجاح خطابته، وتجنيبه بعض الهفوات التي قد تقع، وتُسبّب له الانتقاد.

وفي نهاية عرضنا لأثر دخول التكنولوجيا في الخطابة الحسينية في العراق لا بدّ من القول: إنّ أغلب أُطروحات الخطباء الحسينيين ما بين عامي (٢٠٠٣م ـ ٢٠١٨م) امتازت بالطرح العلمي الذي يجمع بين العقل والمقاييس المادّية، إضافةً إلى اهتمامه بالجانب العاطفي والإنساني[3]، كما أنّها اهتمّت كذلك بمراعاة مستويات المتلقّين، واختلاف فئاتهم العمرية[4]، وهذا بلا شكّ يمثّل جهداً علمياً يجمع فيه الخطيب بين البساطة الملائمة للمتلقّي، وبين قداسة النصّ المتعلِّق بمعلومته وثباته.

المبحث الثاني: الجانب الميداني

إنّ ما تمّ التطرّق إليه من تفصيلات وتحليلات في المبحث الأوّل على الرغم من أهمّيتها، تبقى غير معبِّرة بصورة ميدانية دقيقة عن وجهة نظر الخطيب الحسيني والمتلقّي؛ ولهذا تمّ إعداد استمارة استبيان، وُجِّهت من خلالها ثمانية أسئلة تُعبِّر عن أهمّ ما يصبو له البحث في هذا المقال، وقد تمّ من خلال هذه الاستمارة استبيان رأي ثلاثين خطيباً حسينياً، ومثلهم من عامّة أبناء المجتمع من المهتمّين بما يوجّهه المنبر الحسيني، ثمّ أُخضعت جميع الإجابات للدراسة والتحليل؛ لبيان درجة التطابق بين

(١) أُنظر: الساري، ضياء، أُصول الخطابة الحسينية: ص٧٢.

(٢) أُنظر: معهد سيّد الشهداء للمنبر الحسيني، معين القرّاء في أطوار مجالس العزاء: ص٥٥.

(٣) أُنظر: جواد تقي، محمد علي، المنبر الحسيني أقوى أنواع الخطابات لتعبئة الأُمّة، حوار مع سماحة الشيخ ضياء الدين الزبيدي: مجلّة الهدى، العدد ٢٧٢، بتاريخ ١٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

(٤) أُنظر: جواد تقي، محمد علي، مقابلة مع خطيب المنبر الحسيني السيّد مرتضى القزويني: مجلّة الهدى، العدد ٢٥٥، بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠١٢م.

ما يحمله الخطيب الحسيني من أفكار، وما يحمله المتلقّي. وقد مثّلنا الإجابات عن الأسئلة المطروحة بيانياً، بعد استعراض السؤال وعنونته بالجهة المستهدَفة، ليُصبح مجموع الإجابات بالأشكال الآتية:

١ـ هل تطوّر واقع الخطابة الحسينية في العراق بعد (عام ٢٠٠٣م) بحسب رأيك؟

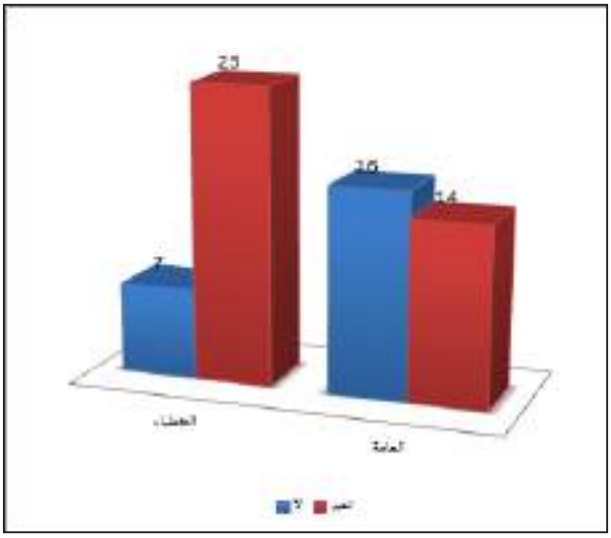

٢ـ هل ترى أنّ الخطابة الحسينية نجحت في معالجة المشاكل الاجتماعية التي برزت خلال المدّة أعلاه؟

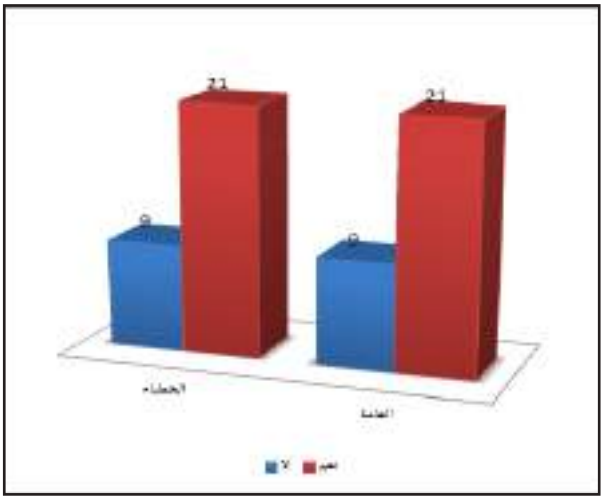

٣ـ هل تؤيّد تدخّل الخطيب الحسيني في الشؤون السياسية (الداخلية، والخارجية)؟

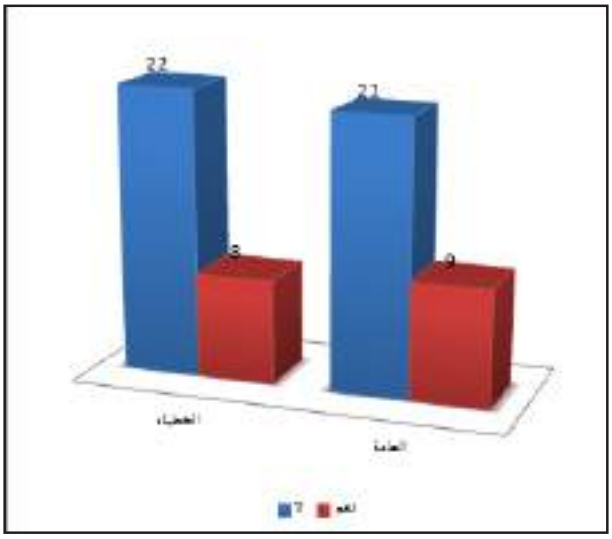

٤ـ هل اقتصر دور الخطابة الحسينية برأيك على حلّ المشكلات، أو أنّها ابتكرت بعض التصويبات الهادفة لتوجيه المجتمع نحو غاية ما؟

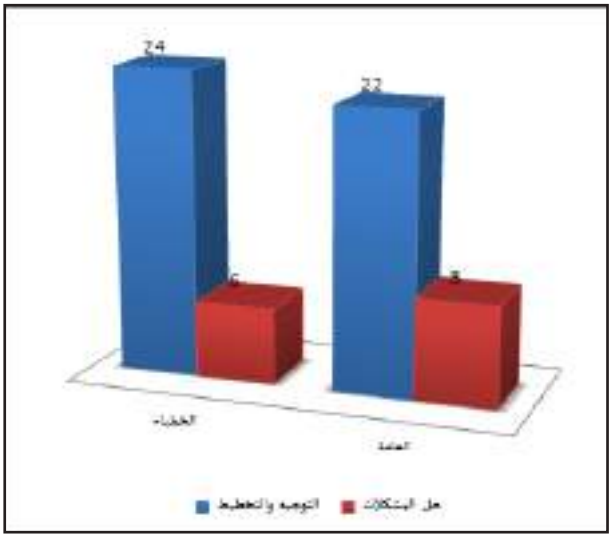

٥ـ هل أثّرت وسـائل الإعلام في الخطابة الحسـينية والخطيب بشكل سلبي، أو أنّ تأثيرها كان إيجابياً؟

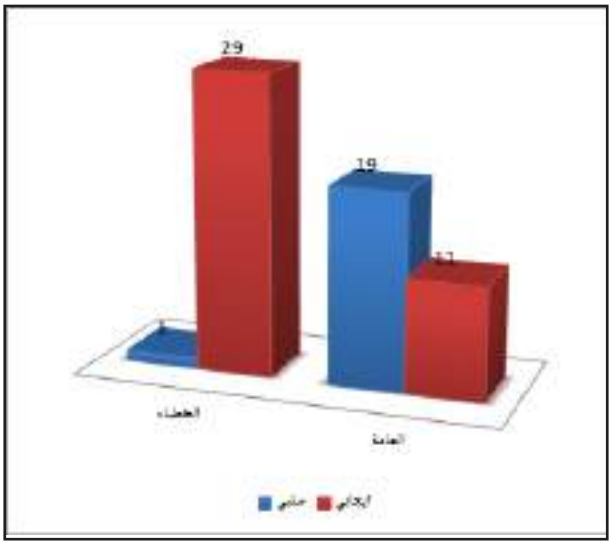

٦ـ هل تجدون عدد الخطباء بعد (عام٢٠٠٣م) كافياً لسدّ حاجة المجتمع؟

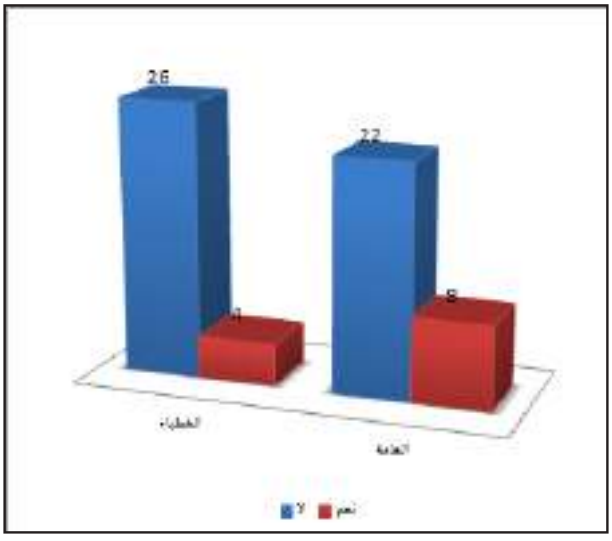

٧ـ ما هي برأيك مقوّمات الخطيب الناجح؟

الخطباء	العامة
الاستقلالية	الشخصية القوية
الموسوعية	عدم التأدلج والتحزُّب
الاهتمام بالجوانب الشخصية للخطيب كالمظهر، وحسن الصوت	الاطّلاع على الأُمور الثقافية والفكرية المعاصرة
	وحدة الموضوع في الخطبة

٨ـ هل ترى أنّ اختلاف الأساليب والمناهج بين الخطباء الحسينيين يمثّل عامل قوّة للخطابة الحسينية، أو أنّه يمثّل عامل ضعف لها؟

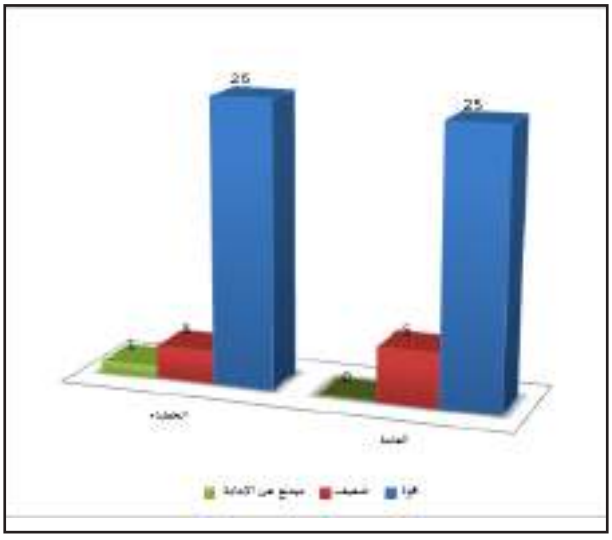

وبهذا ننتهي من استعراض الإجابات المقدّمة عن الأسئلة المطروحة في ورقة الاستبيان، وهي تكشف تارةً عن وجود تباين في العديد منها بين الخطباء وبين عامّة الناس من المهتمّين بالمنبر الحسيني، وأُخرى عن وجود تقارب فيما بين هاتين الشريحتين.

وأخيراً، لا بدّ من التنبيه على أنّ الخطابة في العراق شهدت خلال الأعوام (٢٠٠٣م ـ ٢٠١٨م) تطوُّراً كبيراً على مختلف الصُّعد، فقد أصبح هنالك مجموعة من المعاهد المختصَّة بتخريج الخطباء الحسينيين، وبمناهج متطوّرة تحاكي متطلّبات العصر[١]، كما أصبح الاستعداد لمواسم رواج الخطابة الحسينية فيما أسموه الملتقيات التبليغية سمة حاضرة في الأعوام الأخيرة[٢]، وعلاوة على ذلك فقد ظهرت محاولات عدّة للتجديد في المنبر الحسيني، أشهرها ما تمّ عقده في شهر آذار من العام (٢٠١٧م) بالتعاون بين العتبة العبّاسية المقدّسة ومؤسّسة بحر العلوم الخيرية.

كما أنّ الخطباء الحسينيين قد أشاروا ـ في المقام ـ إلى ضرورة أن يكون لهم ما يُمثِّلهم على وسائل التواصل الاجتماعي؛ وذلك لضمان استمرارية تواصلهم مع جمهورهم، ولكي تكون لهم كذلك مساحة أكبر للردّ على بعض الإثارات التي تُعرض على تلك الوسائل؛ وعليه يكون المنبر الحسيني أو الخطاب الحسيني أدّى ما عليه من مواكبة للأحداث الكبيرة التي حدثت في العراق خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة.

(١) كمعهد الشيخ الوائلي رحمه الله للخطابة في النجف الأشرف، ومعهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدّسة.

(٢) أُنظر على سبيل المثال: مركز التضامن للإعلام، مقال بعنوان: مدرسة العلوم الدينية في الناصرية تعقد ملتقاها التبليغي العشرين للخطباء والمبلِّغين.
.http://altadamun.net/a/v_news.php?id=2907

الخاتمة

نودّ في نهاية حديثنا عن الخطابة الحسينية في العراق خلال سنوات ما بعد التغيير أن نوقف القارئ الكريم على أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها في المقام، وهي:

١ـ إنّ المدّة ما بين عامي (٢٠٠٣م ـ ٢٠١٨م) هي وقت دخول الخطابة الحسينية في العراق عصـرها الذهبي، الذي أتاح لكلّ منتهِل الانتهال منها، وقد ساعدت على ذلك مجموعة من العوامل أهمّها: تعطُّش الشعب العراقي للشعائر الحسينية، والتطوّر التكنولوجي الذي سمح بمشاهدة أهمّ المجالس الحسينية عِبر البثّ الحي، أو وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، أضف إلى ذلك القدر من الحرّية الذي تمتّع به العراقيون في تلك المدّة. وعلى الرغم من كلّ المنافع المتأتّية من هذه الوسائل ظهرت بعض الهفوات التي وقع فيها بعض الخطباء، الذين لم ينتبهوا إلى بعض المحذورات في الخطاب الحسيني الشمولي أو العالمي، الذي ظهر بفضل تلك التقنية.

٢ـ لم يغفل الخطيب الحسيني في العراق عن المشاكل التي تعرّض لها البلد بعد التغيير، سواء أكانت تلك المشاكل سياسية أم اجتماعية، بل سعى الخطباء إلى توجيه المجتمع نحو الصلاح، مستمدّين ذلك من توجيهات المرجعية الدينية، ومنتقدين في كثير من الأحيان الهفوات التي لازمت الأداء الحكومي، وزيادةً على ذلك نزل بعض الخطباء الحسينيين إلى الشارع، وعايشوا مشاكله، وهذا ما لمسناه في تطرّقنا للأُطروحة الاجتماعية للخطابة، كما أنّ مجموعة منهم تقدّم صفوف المجاهدين ضدّ داعش، ونال بعضهم شرف الشهادة على تراب هذا الوطن الجريح.

٣ـ كشف الجانب الميداني من هذه الدراسة عن وجود تباين بين الخطباء الحسينيين وبين العامّة المهتمّين بالمنبر الحسيني في بعض الأحيان، ووجود تطابق بينهما في أحيان أُخرى، وهذا واضح في التمثيل البياني لإجابات الفئتين المشار إليهما.

المصادر والمراجع

الكتب:

١ـ أُصول الخطابة الحسينية، ضياء الساري، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.

٢ـ أنين المنابر في مجالس العزاء الحسيني، أم نور الحسين، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٨ م.

٣ـ تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، دار الزهراء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٤ـ الخطب الخالدة للمعصومين، عباس فاضل عباس، مطبعة النجف الأشرف، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.

٥ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرحمن بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٦ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٧ـ الشعائر الحسينية في العصرين الأُموي والعبّاسي، محمّد باقر موسى جعفر، وحدة الدراسات التخصصية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأُولى، ٢٠١٥م.

٨ـ علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسين، تحقيق: فرات الأسدي، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٩ـ فنّ الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، ١٩٩٦م.

١٠ـ في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

١١ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان.

١٢ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.
١٣ـ اللآلئ العبقرية في شرح العينية الحميرية، الفاضل بهاء الدين الهندي الأصبهاني (ت١١٣٧هـ)، قدّم له: جعفر السبحاني، مكتبة التوحيد، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
١٤ـ لسان العرب، ابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
١٥ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٤م.
١٦ـ المنبر الحسيني نشوؤه حاضره وآفاق المستقبل، فيصل الخالدي الكاظمي، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠١٠م.
١٧ـ المنتخب للطريحي (قصائد وكلمات عاشورائية)، محمد سعيد الطريحي، دار المرتضى.
١٨ـ المنطق، محمد رضا المظفر، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران.
١٩ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت ـ لبنان.
٢٠ـ نفثة المصدور بما يتجدّد به حزن يوم عاشور، عباس القمي، المكتبة الحيدرية.
٢١ـ النهضة الحسينية بين مقتضيات الواقع الاجتماعي والقيام بالواجب الشرعي، عبد الهادي الفضلي، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

المجلات والصحف

١ـ تطوّر مراحل العزاء والمأتم الحسيني، عبد الرزاق النداوي، مجلّة الإصلاح الحسيني التابعة لمؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العدد الثاني عشر.
٢ـ الحرب الأهلية في العراق الموجة الثانية، رائد الحامد، جريدة الحياة، ٣٠/ نوفمبر٢٠١٣م.
٣ـ حوار مع الخطيب الحسيني ضياء الزبيدي، مجلّة الهدى، ١٥/ ٧/ ٢٠١٤م.

٤ـ مقابلة مع خطيب المنبر الحسيني السيّد مرتضى القزويني، محمد علي جواد تقي، مجلّة الهدى، ٢٩/ ١١/ ٢٠١٢م.
٥ـ مقال بعنوان: أحمد الوائلي(١٩٢٨ـ٢٠٠٣م) الجامعة المتنقّلة فوق المنبر، توفيق التميمي، جريدة الصباح، ٢٧/ ٥/ ٢٠١٨م.
٦ـ مقال بعنوان: العيارات النارية العشوائية تقليد عراقي يقتل العشرات من الناس، عبد الجبار العتابي، مجلّة إيلاف الألكترونية، الاثنين/ ٢٤/ يناير/ ٢٠١١م.
٧ـ مقال بعنوان: النزاعات العشائرية جنوب العراق حرب النفوذ والمياه والشرف، أكرم القاسم، صحيفة القدس العربي jun، ٢٠١٧م.

المواقع الألكترونية

١ـ تاريخ المواكب الحسينية، عبد الحافظ البغدادي، قناة الكوثر الفضائية، ٨/ نوفمبر/ ٢٠١٧م: http://www.alkawthartv.com/news/102688.
٢ـ تنامي دور المرجعية الدينية في الشؤون السياسية في العراق: الأسباب والنتائج، حمد جاسم محمد، شبكة النبأ.
٣ـ خطباء المنبر الحسيني وضرورة الأخذ بوصايا السيّد السيستاني، قناة العالم الأخبارية، ١/ اكتوبر/ ٢٠١٦م. فتوى الجهاد الكفائي، والرؤية العميقة للمرجعية الدينية، ١٣/ يونيو/ ٢٠١٥م.
٤ـ خطبة صلاة الجمعة من الصحن الحسيني الشريف المؤرّخة في٢٢/ كانون الثاني/ ٢٠١٦م.
٥ـ دور المنبر الحسيني في صناعة الوعي السياسي، حسن الصفار، موقع الشيخ الصفّار، ١٦/ ١٠/ ٢٠١٢م. https://www.saffar.org/?act=artc&id=3061.
٦ـ عناصر القوّة في الشعائر الحسينية، أحمد عبد الرحيم، شبكة النبأ المعلوماتية، ٤/ ١٠/ ٢٠١٦م.
٧ـ عنف العراق حرب طائفية أم حرب الآخرين؟ نجاح محمد علي، ١٧/ يوليو/ ٢٠٠٦م. https://www.swissinfo.ch/aram.

٨ـ عوامل النجاح في المحاضرة الحسينية، كلمة ألقاها السيّد نصرات قشاقش في مدرسة ابن فهد الحلّي في كربلاء المقدّسة.
.http://www.alshirazi.net/news/news/th-gheda1430/07.ht
٩ـ محاضرة بعنوان ضرورة الدين وشبهات الملحدين، زمان الحسناوي، ١٠/ رمضان/ ١٤٣٧هـ.
.https://www.youtube.com/watch?v=8L73tvGSCvs
١٠ـ مراحل تطوّر المنبر الحسيني، نضير الخزرجي، وكالة أنباء براثا، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٢م.
١١ـ المرجعية الدينية العليا تعلن الجهاد الكفائي، قناة bbc عربي، ١٣/ حزيران/ ٢٠١٤م.
نظرة عامّة حول العراق ١٩/ آذار/ ٢٠١٣م.
١٢ـ معين القرّاء في أطوار مجالس العزاء، معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني.
١٣ـ مقال بعنوان: بتوجيه من المرجعية الدينية العليا العشائر العراقية توقّع وثيقة عهد في حرم الإمام الحسين عليه السلام، سلام الطائي، الإعلام الدولي للعتبة الحسينية المقدّسة.
١٤ـ مقال بعنوان: زواج الفصلية في عرف عشائري في العراق ضحيته المرأة، قناة dw:
.https://www.dw.com/ar
١٥ـ مقال بعنوان: عندما تقول المرجعية: بُح صوتنا، عبد الحليم الرهيمي، كتابات في الميزان، بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠١٦م:
.https://www.kitabat.info/subject.php?id=73913
١٦ـ مقال بعنوان: مع شهداء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، كريم الحيدري، مؤسّسة الحكمة للثقافة الاسلامية، آب، ٢٠١٧م:
.http://www.alhikmeh.org/news/archives/11164
١٧ـ مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيّد علي الحسيني السيستاني:
.https://www.sistani.org/arabic/archive/1494
١٨ـ المنبر الحسيني ونظرة النخب الثقافية عادل الصويري، ١٨/ تشرين الأول/ ٢٠١٥م.

المنبر الحسيني في العشرة الأُولى من محرّم
توصيفٌ وتقويم

الشيخ عبد الرزّاق النداوي*

المقدّمة

كان منبر الإمام الحسين عليه السلام ـ ولا يزال ـ على مدى تاريخه قبساً يُضيء درب الأجيال، ونداءً يؤذّن بحيّ على الجهاد، وصدًى يعكس حرمان المحرومين واضطهاد المضطهدين، وأعواداً تنطلق منها الحناجر لتُعلن رفض الظلم والظالمين في كلّ زمان ومكان. ولم يكن يخفى دوره الريادي في تعبئة الجماهير المؤمنة للتمسّك بقضيّتها، من خلال طرح واقعة الطفّ التي تجسّدت فيها رموز الخير والشرّ، كما لا يخفى أنّ الصراع بين هذين النقيضين كان وما زال منذُ بدء الخليقة وإلى يومنا هذا، ولكن تبقى كربلاء رمز ذلك الصراع مع الظلم، وكعبة المجاهدين، وشعار الأحرار؛ لعمقها وامتدادها في أعماق الرسالة المحمدية، ولآثارها في مسار تلك الرسالة.

من هنا؛ كان لها صدى وصوت لم يفتر يوماً من الأيّام، فكلّ أرض كربلاء وكلّ يوم عاشوراء، حيث لم تبقَ بقعة من أرض الله الواسعة شرقاً وغرباً إلّا وفيها منبر باسم الحسين عليه السلام، وأعوادٌ تنادي بما أراده الحسين عليه السلام، وترفض ما رفضه الحسين عليه السلام، وتحثّ الناس للسير على نهج الحسين عليه السلام: نهج المظلومين المنتصرين القاهرين، نهج انتصار الحقيقة على الزيف، والنحر على شفير السيف.

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

ولا يخفى أنّ الطغاة قد أدركوا خطورة هذا المنبر الذي زلزل عروشهم منذُ لحظة انطلاقه من مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة؛ إذ انطلقت أوّل خطبة حسينية بلسان أوّل مجاهدة علوية، وهي السيّدة زينب عليها السلام، فحاولوا إيقاف هذا المدّ، وإخماد هذا الصوت بشتّى الوسائل والطرائق، ولكن دون جدوى، فلم يولد صوت الحسين عليه السلام ليموت، نعم، قد ينخفض أحياناً نتيجة الضغوطات والممارسات الإرهابية، لكنّه سرعان ما يعود هادراً مجلجِلاً في الساحة، مشنِّفاً أسماع المؤمنين، محطِّماً أحلام الخائنين.

من هنا؛ كان لزاماً على كلّ المؤمنين، وكلٌّ من موقعه وحسب قدراته، دعم مؤسّسة المنبر الحسيني وإعلاء صوتها، وإيجاد السبل والآليات التي تُسهم في تطويرها وإدامة زخمها.

وعليه؛ كانت لدي بعض الملاحظات أحببت أن أضعها بين يدي خطباء المنبر الحسيني، عسى أن تنال رضاهم، وتحظى بقبولهم، مع دعائي لهم بالتوفيق لخدمة سيّد الشهداء عليه السلام ومنبره المبارك.

الملاحظة الأُولى: فلسفة المواقف وتحليلها

نهضة الحسين عليه السلام مشحونة بالمواقف المتنوّعة التي تجمع اللوعة والدمعة والحزن، والإيثار والشجاعة، والصبر والصلابة والتضحية، والعبادة والزهد والإخلاص، والجهاد والمواساة، والتخطيط السليم، والسياسة الناجحة، والإدارة الحكيمة، والقيادة المحنّكة، والمقدّمات الصحيحة، والنتائج المثمرة، والأُسوة الحسنة، والقدوة الجليلة، والرموز الخالدة، والمُثُل العليا، والأبوّة الحانية، والأُمومة العاطفة، والأُخوة الصادقة، والصحبة الطيّبة، والبنوّة المؤثّرة... فلا تكاد تدخل في بُعد من أبعاد الحياة إلّا وتجد فيه منفذاً تدخل منه إلى هذه النهضة الخالدة؛ لتُسلّط الضوء عليها وتختم موضوعك في جانب منها، فكربلاء هي الحياة، كلّ الحياة.

لكنّنا نلاحظ لدى كثير من الخطباء أنّهم يمرّون بأحداث كربلاء في ذيل مواضيعهم، والانتهاء بها إلى نعي الحسين عليه السلام وأهل بيته، وقلّما نجد خطيباً يمرّ بأحد مواقف كربلاء ويحاول أن يحلّل ذلك الموقف وتداعياته، والغاية التي دعت إليه، والثمرات الناتجة عنه، والآثار المترتبة عليه.

ولتوضيح الفكرة نأخذ أُنموذجاً من تلك المواقف، ونحاول تحليله بما يتناسب وحجم هذا المختصر، فنقول:

يروي المؤرّخون أنّ العبّاس عليه السلام لـمّا نزل إلى المشرعة ليملأ القربة، اغترف بيده غرفة، «**ولـمّا اغترف من الماء ليشرب، تذكّر عطش الحسين عليه السلام ومَن معه؛ فرمى الماء وقال:**

يا نفسُ من بعد الحسينِ هوني ... وبعـده لا كنـتِ أن تكـوني

هـذا الحسـينُ واردُ المنـونِ ... وتـشربـينَ بـاردَ المعينِ

تالله ما هذا فِعالُ ديني»[1].

وهنا يمكن أن نحلّل هذا الموقف ونناقشه بمستويات عدّة:

المستوى الأوّل: يمكننا مناقشة هذا الموقف فقهياً، أي: من وجهة نظر شرعية، من خلال طرح السؤال الآتي: هل شرب الماء ـ في مثل هذه الحال ـ حرام على العبّاس عليه السلام؛ الأمر الذي استوجب إعراضه عن الشرب حتّى لو بلغ به الأمر إلى الهلاك؟

المستوى الثاني: قد يقال: كان من الأفضل للعباس عليه السلام أن يشرب الماء؛ لحاجته الماسّة إليه كونه مرهقاً ومتعباً وظامئاً، فلو أنّه شرب الماء لتروّى وانتعش، وعاد إلى القتال بنشاطٍ وحيوية.

المستوى الثالث: يمكن أن يقال: بأنّه عليه السلام شرب أم لم يشرب فالنتيجة واحدة بالنسبة للحسين عليه السلام وعياله في تلك الحالة؛ لأنّهم بقوا عطاشى، فلو أنّه شرب الماء لم يضر ذلك بهم، كما أنّ امتناعه عن الماء لم يجر إليهم نفعاً حتّى يُعدّ ذلك من

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٦٨.

الإيثار الممدوح شرعاً وعقلاً، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

ويمكن أن يجاب عن هذه المستويات الثلاثة بنقاط عدّة:

النقطة الأُولى: لا إشكال في أنّ شرب الماء مباح، بل قد يكون شربه واجباً أحياناً، كما إذا أشرف الإنسان على الهلاك، وأدّى إعراضه عن شرب الماء إلى الموت، فيكون من باب إلقاء النفس في التهلكة، وهو بلا شكّ حرام، إلّا أنّ العباس عليه السلام لم يكن قد وصل إلى مرحلة تؤذن بهلاكه إن لم يشرب الماء؛ والعبّاس عليه السلام على دراية بأنّ الإعراض عن شرب الماء إلقاء للنفس في التهلكة، وهو ممّا لا يفعله العبّاس عليه السلام أو يغفل عنه، فمن المتيقّن أنّه كان قادراً على التماسك لحين إيصال الماء إلى خيام الحسين عليه السلام؛ فتكون النتيجة أحد أمرين:

الأوّل: إمّا أن يستطيع أن يوصل الماء بسلام، فيشربون ويشرب معهم؛ وهذا ما يدلّ عليه أنّه عليه السلام لم يكن همّه القتال مع العدو بعد خروجه من المشرعة، بل كان همّه إيصال الماء إلى الخيام[2].

الثاني: وإمّا أنّ يقطع الجيش عليه الطريق ويُحاصَر؛ فلا يستطيع الوصول إلى الخيام؛ فتكون الشهادة متوقّعة له، وهو قادر على الصمود والتماسك إلى حين بلوغها والتشرّف بها.

النقطة الثانية: إذا كانت النتيجة الثانية ـ أعني: الشهادة ـ هي الأكثر توقّعاً، فمثل أبي الفضل عليه السلام يعدّها من النِّعم والسعادة الأبدية، وإذا كان لا يفصله عن ذلك إلّا دقائق ويُستشهد، فلا حاجة إلى شرب الماء وهو قادر على التماسك، تأسّياً بالحسين عليه السلام وعياله؛ ليضرب بذلك أروع أمثلة الوفاء لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وعياله، حتّى جاء في

(١) الحشر: آية٩.

(٢) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٦٨.

الزيارة عن صادق آل محمد عليهم السلام: «**أشهد لك بالتسليم، والتصديق، والوفاء، والنصيحة لخلف النبي صلى الله عليه وآله المرسَل، والسبط المنتجَب، والدليل العالم، والوصي المبلِّغ، والمظلوم المضطهَد...**»[1].

ولا ينبغي أن نغفل عظمة وضخامة هذا الموقف ـ أعني: إعراضه عن الماء ـ وذلك لأسباب عدّة، منها:

الأوّل: إنّ المعارك في ذلك الزمان تختلف عن المعارك في هذا الزمان، ففي زماننا هذا تُستخدم الأسلحة النارية التي يُضغط فيها على الزناد وينتهي كلّ شيء، أمّا في ذلك الزمان فهي بحاجة إلى قوّة بدنية وجهدٍ عضلي كبير.

الثاني: إنّ العباس عليه السلام كان مثقلاً بالآلام والمصائب التي أَلّمت به جرّاء فقده بني عمومته وبني إخوته، وهو ينظر إلى الجيش وقد أحدق بالنساء والأطفال وهم يتصارخون من شدّة الظمأ، وينظر إلى الحسين عليه السلام يطلب ناصراً فلا يُجاب.. فكلّ واحدة من هذه الرزايا لتنوء بالجبل الراسي، فلا شكّ في أنّها مرهقة له غاية الإرهاق.

كل ذلك وغيره يدلّ على أنّ الإعراض عن الماء ليس بالأمر السهل إطلاقاً، بل هو شيء في غاية المبالغة، فنال بذلك الذروة من المراتب، وألحقه الله تعالى بدرجة الأولياء؛ ولذا جاء في الزيارة هذا الوصف ـ أي: المبالغة ـ في موضعين:

١ـ «**أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود؛ فبعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء**»[2].

٢ـ «**أشهد وأُشهِد الله أنّك مضيت على ما مضى به البدريّون والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه، الذابّون عن أحبّائه**»[3].

النقطة الثالثة: في الوقت الذي جسّد فيه أبو الفضل العبّاس عليه السلام ـ من خلال

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٣٨.
(٢) المصدر السابق: ص٦٤٠.
(٣) المصدر السابق: ص٦٣٩.

هذا الموقف ـ وفاءه للحسين عليه السلام وعياله بأعلى المستويات، فقد جسّد فيه الانتصار على النفس في ساحة الجهاد الأكبر، وهو بذلك يعطينا درساً عملياً في تزكية النفس وتربيتها وترويضها، فقال بلسان الحال: إنّ الموقف المبدئي والعقدي قد يقتضي أحياناً ترك المباح فضلاً عن الحرام؛ ومن هنا يظهر سرّ بعض العبادات، كما في الصيام الذي نمتنع فيه عن المباحات نهاراً؛ لترتاض نفوسنا بالامتناع عن المحرّمات.

ولا يخفى أنّ تزكية النفس ليس بالأمر السهل؛ لأنّ الإنسان دائماً في صراع مع هذه النفس الأمّارة بالسوء، وليت الأمر يقف عند هذا الحدّ، فهناك إلى جانب النفس الأمّارة الشيطانُ أيضاً؛ ولذا جاء في الدعاء: «... **الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شرّ نفسي؛ إنّ النّفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رحِم ربّي، وأعوذ به من شرّ الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي**»[1]، ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ أيضاً، فهناك الدنيا بكلّ مفاتنها وزخارفها ومغرياتها؛ لذا قال بعضهم:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلّهم أعدائي[2]

وأضف إلى ذلك ما شئت من الأموال والأولاد والنساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة... كلّ ذلك من المغريات يُشكّل خندقاً أمام الإنسان؛ لذا عُبّر عن هذا اللون من الجهاد في الحديث الشريف بـ(الجهاد الأكبر)[3].

إذاً؛ هناك ساحتان: ساحة السيوف والرماح، وساحة الشهوات والملذّات، والعباس عليه السلام في هذا الموقف جسّد الانتصار في كلتا الساحتين.

النقطة الرابعة: إنّ من المقطوع به تاريخياً أنّ موت العبّاس لم يكن مسبَّباً عن العطش، ولو كان سببه العطش لشكّل ذلك خدشاً بموقفه الرافض لشرب الماء، بل إنّ الثابت أنّه عليه السلام استُشهد لأمرين:

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٧٤.
(٢) العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء: ج١، ص٤٠.
(٣) اُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٧، ص٦٥.

الأوّل: النزيف الذي أعياه جرّاء قطع كفّيه وإصابة مواضع من جسده بالسهام.

الثاني: الضربة التي جاءته على أُمّ رأسه بعمود من حديد وأردته إلى الأرض، وقد كان إلى تلك اللحظة متماسك القوى، معانقاً اللواء بعضديه، وما سقط لواؤه على الأرض حتّى كان هو السابق إليها صريعاً مجدّلاً[1].

النقطة الخامسة: إنّ امتناع أبي الفضل عليه السلام عن شرب الماء في تلك الحال لا يدخل في باب الإيثار؛ لأنّ الإيثار هو الامتناع عن شيء لينتفع به آخرون، وإنّما يدخل في باب المواساة؛ لأنّ المواساة هي حرمان النفس من شيء محروم منه شخص آخر، لا لينتفع به الآخر، بل لتسوية الحال بحرمانه، وهي درجة أعلى من الإيثار.

ولهذا السبب؛ نرى تكرار لفظ (المواساة) في زيارة أبي الفضل عليه السلام المروية عن المعصوم، بينما لم ترد كلمة الإيثار، كما في قوله عليه السلام: «**أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي**»[2].

هذه النقاط الخمس تُشكّل مرجِّحاً لفعل أبي الفضل العباس عليه السلام حين أعرض عن الماء، وأنّه فيه لله رضى ولرسوله صلى الله عليه وآله.

هذا جانب من جوانب كربلاء المملوءة بهذه المواقف، التي لا ينبغي أن نمرّ عليها بداعي استدرار الدمع وعرض المأساة فقط.

الملاحظة الثانية: هيكلية الخطبة

نعرض هذه الملاحظة ضمن النقاط الآتية:

النقطة الأُولى: من المستحسن جدّاً أن يكون افتتاح الخطبة بالبسملة؛ فإنّ «**كلّ أمرٍ ذي بال لا يُذكَر بسم الله فيه فهو أبتر**»[3]، كما جاء في الروايات، وهي دالّة على ضرورة أن يبتدئ المسلم بالبسملة في كلّ الأحوال؛ ولهذا يذهب بعض المفسّرين

(١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٦٩.

(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٤١.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٧، ص١٧٠.

إلى أنّ متعلّق الباء هو الابتداء، فيكون المعنى: ابتدائي باسم الله، أو أبتدئ باسم الله الرحمن الرحيم. ويذهب بعضٌ إلى أنّ متعلّق الباء الاستعانة، فيكون المعنى: أستعين باسم الله؛ يقول العلّامة الطباطبائي رحمه الله: «**فمتعلّق الباء في بسملة الحمد الابتداء، ويراد به تتميم الإخلاص في مقام العبودية بالتخاطب. وربّما يقال: إنّه الاستعانة، ولا بأس به، ولكن الابتداء أنسب**»(١).

وعلى كلا التقديرين فإنّ الافتتاح بالبسملة أمرٌ راجح، وقد أكّد على ذلك السيّد الشهيد الصدر الثاني قدس سره في معرض بيانه لجملة من التوصيات العامّة للخطباء، فقد قال: «**أوّلاً: البدء بالخطبة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، لا بشيء آخر، حتّى لو كان ذاكراً للحسين عليه السلام، فإنّ كلّ كلام لا يبدأ ببسم الله فهو أبتر، وبالبسملة يمكن للخطيب أن يُعاذ في خطبته من الشيطان، وأن يؤيّد برحمة الرحمن**»(٢).

هذا شيء، والشيء الآخر: من الأفضل أن تُعقّب البسملة بالحمد لله تعالى والثناء عليه، وذكر النبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليه، فإنّه من كمال الخطبة وتمامها، سيّما وأنّ المعروف في تراثنا أنّ الخطبة التي لا تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله تُسمى بـ(البتراء)(٣).

النقطة الثانية: المعروف لدى الجميع أنّ الخطباء الحسينيين يفتتحون مجالسهم إمّا بنص قرآني، أو حديثي، أو أدبي، ثمّ يجعلونه محور حديثهم، وينطلقون من مضامينه لعرض ما عندهم، لكنّنا نشاهد أحياناً أنّ بعضاً منهم يقدِّم النص ويذهب بعيداً عنه، فيكون هو في وادٍ والنصّ في وادٍ آخر، فلا تجد ثمّة ربط من قريب أو بعيد بين ما يعرضه وبين النص الذي ابتدأ به خطبته، وهذه من نقاط الضعف التي ينبغي للخطيب أن يتجاوزها في خطبته.

النقطة الثالثة: يحاول بعضٌ تكريس الخطبة برمّتها لعرض المأساة، وتصوير

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص١٧.
(٢) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص١٨٤.
(٣) اُنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٢، ص٢٦٣.

المواقف المؤلمة والمفجعة؛ لإثارة العواطف، واستدرار الدمع، بدعوى أنّ العشرة الأُولى من محرّم هي عشرةُ لوعة ومصاب فقط.

هذا الكلام ـ بشكل عام ـ غير صحيح؛ إذ من المفترض تكريس هذه العشرة لتربية المجتمع، وتعبئته نحو القيم التي حملها الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك لسببين:

السبب الأوّل: إنّ الحضور في هذه العشرة منقطع النظير؛ إذ يكون في الغالب حضوراً جماهيرياً واسعاً ومكثّفاً، ويضمّ أحياناً جمعاً من أبناء المذاهب الأُخرى، بل ومن الأديان الأُخرى، فلا يكاد يُقاس الحضور في مجالس العشرة الأُولى بأيّ وقتٍ آخر.

السبب الثاني: نرى أنّ الغالب من الناس في هذه العشرة مهيّؤون نفسياً للتفاعل مع ثورة الحسين عليه السلام وأهدافها النبيلة، ومتعاطفون مع موقفه.

وعليه؛ تُعتبر العشرة الأُولى من محرّم فرصة ذهبية لـمَن يُحسن اغتنامها من الخطباء في توجيه المجتمع نحو الثبات على الدين، والاستعداد للتضحية في سبيل الشرع المبين، والسير على خطى سيّد المرسلين، ورفض كلّ صنوف الاستكبار والاستعلاء والتفرعن، ومحاربة الظلم والطغيان حيثما حلّا، ونصرة المستضعفين والمظلومين حيثما كانوا، وما أجلّها من غايات! وجدير بفرسان صهوات المنابر الحسينية الحرّة الواعية أن يفعلوا ذلك؛ ليعكسوا صدى صوت الحسين عليه السلام، ويؤدّوا رسالتهم على أتمّ وجه، ولكي لا تضيع الجهود المبذولة من قِبل القائمين على المجالس، ولا تذهب الأموال المصروفة هباءً منثوراً، ولا تضيع أوقات الناس سدى، ومن دون فائدة تُذكر.

النقطة الرابعة: ينبغي أن يكون المنبر الحسيني خيمة يتفيّأ ظلالها المسلمون كافّة، فليس الحسين عليه السلام حسين الشيعة وحدهم، بل هو حسين الإسلام، وحسين الإنسانية كلّها؛ لأنّه حمل أهدافاً نبيلةً تسعى لتخليص الإنسان من سطوة الطغاة وإرهابهم؛ ومن هنا نجد كتّاباً وأُدباء من خارج الإسلام كتبوا عن الحسين عليه السلام وأثنوا على موقفه وإبائه[1].

وعلى هذا الأساس؛ يجب أن يكون الخطاب الحسيني خطاباً إسلامياً إنسانياً، لا

(١) أُنظر على سبيل المثال كتاب: الحسين في الفكر المسيحي للكاتب المسيحي أنطوان بارا.

مذهبياً متطرّفاً، ينأى به الخطيب عن كلّ ما يستفزّ مشاعر الناس والمسلمين وينفّرهم من المنبر، خصوصاً بعد أن لوحظ في السنوات الأخيرة أنّ الكثير من الناس ومن كافّة الملل والنحل من مسلمين وغيرهم يرتادون المجالس الحسينية، ويواظبون على الحضور فيها، بل أكثر من ذلك فقد أصبح المنبر الحسيني اليوم يقتحم البيوت بواسطة الفضائيات.

ولا يعني ذلك أن نبتعد عن إظهار الحقّ، وبيان الواقع، وإظهار ظلامة أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ ذلك من صميم عمل المنبر، إلّا أنّ المفروض أن يتمّ ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن كما أمر به الكتاب العزيز، وبأُسلوب هادئ ومتين، وبحجّة قاطعة، وليس بلغة التهجّم والتطرّف؛ حتّى يتسنّى للمسلمين كافّة الوقوف على تاريخهم وإسلامهم الأصيل، ويعرف الناس أجمع إسلامنا المبني على العقل السليم، والفكر الهادف، والخُلق النبيل، ونكون بذلك قد أدّينا رسالة الحسين عليه السلام.

النقطة الخامسة: لا شكّ في أنّ الكثير من الكتّاب كتبوا عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وحاولوا أن يبحثوا عن دوافعها ومنطلقاتها، ولهم في ذلك آراء ومذاهب عجيبة غريبة، لا يتّسع المجال لذكرها في هذا المختصر، وما نريد قوله هنا: إنّنا لسنا بحاجة إلى تلك التأويلات التي وصلت إلى مستوى أن جعلت القضية عبارة عن نزاع قَبلي أو شخصي، فما علينا إلّا الرجوع إلى ما قاله الحسين عليه السلام وصرّح به؛ لنكتشف بذلك الدوافع الحقيقية من دون جهد أو عناء، فإنّه عليه السلام قد ركّز على قضيّة أساسية في خطاباته، وهي: إنّ الدافع الرئيس لخروجه هو الإصلاح؛ وهذا ما أعلنه بنفسه عند بداية انطلاقه من المدينة؛ إذ كتب كتاباً أعطاه لأخيه محمد بن الحنفية، جاء فيه: «**وأنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...**»[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

وقد سعى عليه السلام لهذه الغاية منذُ بداية دعوته وحتّى يوم شهادته، فقد كان يعِض جيش العدو، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ولكن طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون.

فإذا كانت هذه الغاية القصوى لنهضته عليه السلام، فالأَوْلى أن تكون هي الغاية القصوى للمنبر المعبِّر عن تلك النهضة الناطق بلسانها، وبما أنّ العشرة الأُولى من محرّم هي أيّام الانطلاق والانفتاح على تلك النهضة، فلا بدّ أن تتركّز هذه الغاية في هذه الأيّام؛ إذ ينبغي أن يُعالج المنبر مشاكل الساحة الإسلامية عالمياً، وإقليمياً، ومحلّياً، فالمنبر الذي يعيش آمال الأُمّة وآلامها، ويسلّط الضوء على مشاكلها وحاجاتها الأساسية، ويحاول أن يضع لها حلولاً، هو المنبر الناجح والمطلوب.

النقطة السادسة: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قليل الحقّ يدفع كثير الباطل، كما أنّ القليل من النار يحرق كثير الحطب**»[1]. ومن وحي هذا الحديث، علينا أن نبتعد عن المبالغات والتهويلات، فإنّ في واقعة كربلاء من المأساة ما يُغني عن ذلك، وما تذوب منه الجبال الرواسي أسى ولوعة، فينبغي التثبّت في الروايات عند نقلها، وأخذها من مصادرها، وإسنادها إليها، وترك الأخذ من الأفواه، إلّا ممّن يوثق بروايته وصدق مقالته.

تجدر بنا الإشارة هنا أنّ بعض الخطباء ـ خصوصاً في العشرة الأُولى من محرّم ـ يحاول حشد أكبر عدد من الروايات المثيرة للعاطفة، وقد يكون بعضها غير معتبر، بل غير مروي أصلاً، وقد سمعنا من بعض أساتذتنا أنّه لا يجوز أن تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، أو قال الإمام عليه السلام، إلّا أن تكون الرواية صحيحة، وإلّا فيجب العدول من التعبير بـ (قال) إلى (رُوي)، أو نسبة الرواية إلى مصدرها.

الملاحظة الثالثة: الكم والكيف

أكّد القرآن الكريم في أكثر من موقع أن ننفتح على تجارب الآخرين، خصوصاً

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٦٤٥.

الذين سبقونا؛ كي نعتبر من تجاربهم سلباً أو إيجاباً، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فإنّ لكلّ أُمّة نجاحات وإخفاقات، فاللازم أن تتعرّف الأُمّة اللاحقة على نجاحات الأُمّة السابقة وآليات ذلك النجاح؛ لتنتهي إلى النتيجة نفسها، وكذلك لا بدّ من أن تتعرّف على إخفاقات تلك الأُمم لتتجاوز عن كلّ ما أدّى بهؤلاء إلى تلك الإخفاقات.

وجدير بنا كخطباء أن نستفيد من تجارب الذين سبقونا في هذا الميدان، من خلال الاطّلاع على سيرتهم وخطواتهم نحو النجاح، فإنّ ذلك يعني تراكم الخبرة واختزان التجربة.

والذي أُريد أن أقوله: إنّ العشرة الأُولى من محرّم، تكثر فيها المجالس عادةً؛ لأنّ الجميع يريد أن يتشرّف بخدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد أدّى ذلك إلى أنّ بعض الخطباء يُكثرون من المجالس اختياراً أو اضطراراً؛ لشحّة الخطباء مثلاً، أو كون أحدهم قراءته متميّزة، فيزداد عليه الطلب، فيقرأ في ثلاثة أماكن أو أكثر، مع أنّ ذلك يؤثر سلباً في الأداء، وينجرّ على حساب الأصالة والجودة، كما يؤدّي إلى إرهاق الخطيب وعدم استفادة المجتمع منه بالشكل المطلوب، فالأفضل أن لا يزيد عدد المجالس التي يقرأ فيها عن اثنين، والأفضل من ذلك أن يقرأ مجلساً واحداً، يصبّ فيه جهده، وعصارة فكره، وهذا ما أكّده الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله في كتابه تجاربي مع المنبر[2]، وهو صاحب تجربة كبيرة، وقد ذكر هناك مبرّرات مقبولة وراجحة لهذا الأمر، من الجدير أن يطالعها الخطباء الشباب.

وهناك أيضاً كتاب (الملحمة الحسينية) للشهيد المطهري رحمه الله، فإنّه كتاب قيّم، ويمكن الانتفاع به في هذا الاتجاه، بالإضافة إلى بعض الكتب التي تتحدّث عن

(١) العنكبوت: آية ٢٠.

(٢) أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤٧.

الخطابة بمعنييها الخاصّ والعامّ، كالفصل الخاصّ بصناعة الخطابة من كتاب المنطق للشيخ المظفّر رحمه الله[1]، وغير ذلك.

الملاحظة الرابعة: عنونة الليالي

دأب الخطباء الحسينيون ـ جزاهم الله خيراً ـ في العشرة الأُولى من محرّم، على عنونة وتخصيص بعض الليالي ببعض الشخصيات التي كان لها دور مهمّ في نهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فالليلة العاشرة هي ليلة الحسين عليه السلام، ويُذكر ـ عادةً ـ ما وقع فيها من سهر وبكاء، وصلاة ودعاء ووداع، والليلة التاسعة تُخصّص لعلي بن الحسين الأكبر عليه السلام، والليلة الثامنة تُخصّص للقاسم بن الحسن عليه السلام، والليلة السابعة ليلة حامل اللواء أبي الفضل العباس عليه السلام، والليلة السادسة ليلة مسلم بن عقيل عليه السلام، والليلة الخامسة ليلة الأنصار، وتبقى الليالي الأربع الأُولى لمواضيع شتّى تخضع لاختيار الخطيب حسبما يرى من مصلحة، على أنّها تدور في فلك الثورة الحسينية، وقد جرت العادة أن يتحدّث الخطيب في كلّ ليلة من هذه الليالي المعنونة عن مكانة الشخصية الخاصّة بتلك الليلة ومزاياها، وليس بالضرورة أن يقتصر الحديث عن تلك الشخصية، بل ربما يكون الموضوع عاماً تربوياً، أو اجتماعياً، أو أخلاقياً، أو في أيّ بُعدٍ من أبعاد المعرفة، ويُختم في النهاية بالشخصية المقصودة.

أقول: وقد لوحظ منذُ سنوات عدّة أنّ جملة من الخطباء يخصّصون الليلة الرابعة بأُمّ البنين عليها السلام، كما لوحظ في السنتين الماضيتين تخصيص الليلة الثانية بالإمام الحسن السبط عليه السلام، ولكن المعهود عند الكثير من الخطباء أنّ الليلة الثانية مختصّة بفاطمة الصغرى الملقّبة بالعليلة، ولا تعارض في البين، فيمكن أن يكون الحديث عن الحسن السبط عليه السلام، وختام المجلس بذكرها عليها السلام.

وعليه؛ نركّز حديثنا في هذه الملاحظة على الليالي الآتية:

---

(١) أُنظر: المظفّر، محمد رضا، المنطق: ص٣٣٧.

ليلة أُمّ البنين

فيما يخصّ (ليلة أُمّ البنين) ـ وهي لا ريب في أنّها تستحقّ الإشادة؛ لمواقفها الكريمة من أهل البيت عليهم السلام ـ لا بأس بأن يُعمّم الموضوع تحت عنوان: (ليلة المرأة المجاهدة)، فتكون الأحاديث فيها متنوّعة، بأن يعمّ النسوة اللواتي ساهمن في رسم لوحة كربلاء، كأُمّ عمر بن جنادة[1]، وأُمّ وهب الكلبي[2]، وسائر زوجات أصحاب الحسين عليه السلام، وكذلك النساء في ساحات جهادية أُخرى كطوعة التي استضافت مسلم بن عقيل عليه السلام[3]، وغيرها.

ولا شكّ في أنّ العقيلة زينب عليها السلام على رأس قائمة النساء، فما من خطيب ينعى الحسين عليه السلام إلّا ويذكر إلى جانبه شريكته في المصائب والمحن، ولكن من المؤسف جدّاً أن نقتصر على ذلك طيلة أيّام محرّم الحرام وصفر من دون ذكر شيء من مواقفها الجهادية أو سيرتها الشخصية، فلا بدّ أن تأخذ مواقف السيّدة زينب عليها السلام وسماتها حيّزاً من الحديث في مجالس العزاء والوعظ، تلك المرأة التي كان لها الدور الكبير في نشر أهداف النهضة الحسينية وشعارها، إلى الحدّ الذي يصفها بعض الشعراء بأنّها شاطرت الحسين عليه السلام نهضته، فقد قال:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة ... حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه ... في حيث معترك المكاره في السبا[4]

فهي التي فقدت سبعة من إخوتها أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، وضحّت باثنين من أبنائها ـ أو أحد أبنائها بناءً على أنّ الثاني ابن زوجها ـ كما فقدت ستة من بني أخويها الحسن والحسين عليهما السلام ـ ثلاثة من أبناء الحسن عليه السلام، وثلاثة من أبناء الحسين عليه السلام ـ

(١) أُنظر: السماوي، محمد، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص١٥٩.
(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٧.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٥٠.
(٤) الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص١٥٦.

وعصبة من بني عمومتها يقربون من التسعة أيضاً، وإلى ذلك يُشير الشاعر:

عـين جـودي بعـبرة وعويـل ... وانـدبي إن ندبـت آل الرسـول
سـبعة كلّهـم لصلـب عـليّ ... قـد أُصيبـوا وتسـعة لعقيـل[1]

إنّ بعضاً من هذه الفجائع لتنوء بالجبال الرواسي، ولكنّهاعليها السلام رغم ذلك كلّه قامت بمهمّتها خير قيام، فقد كان حفظ الإمام زين العابدينعليه السلام ملقى على عاتقها بعد مقتل الحسينعليه السلام، وهي المكلّفة برعاية أُسرة ضاعت بين خيل ورجال ونار، مشرّدة مسبية في الأقطار، ولم تنهر قواها لحظة واحدة، بل كانت تلملم قواها لمواصلة الدرب ومواجهة الطواغيت، فهي لسان الثورة وإذاعتها الناطقة، وهي التي كشفت الزيف الأُموي، وأماطت اللثام عن وجه الحقيقة، وحطّمت العروش المتفرعنة.

إنّ كلّ ذلك يمكن أن يكون قاعدة للانطلاق إلى الحديث عن المرأة والأدوار التي يمكن أن تؤدّيها في حياتها، والحديث عن حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام، وردّ شبهات الأعداء بهذا الصدد، إلى غير ذلك من المواضيع ذات الصلة بالمرأة، ولا بأس بأن يُختم الكلام عن أُمّ البنينعليها السلام كما جرت العادة.

ليلة الحسن السبطعليه السلام

هناك التفاتة لطيفة من بعض الخطباء، وهي تخصيصهم الليلة الثانية للإمام الحسن السبطعليه السلام، وهي مناسبة جيّدة للحديث عن علاقة صلح الإمام الحسنعليه السلام بنهضة الإمام الحسينعليه السلام، والفرق بين الأُسلوبين في مواجهة السلطة، كما يمكن الحديث عن دور الحسنعليه السلام في كشف الزيف الأُموي والمساهمة في توعية الأُمّة تجاه هذا الحزب؛ الأمر الذي مهّد الطريق لإنجاح الحركة الحسينية.

ويمكن الحديث في هذه الليلة عن مساهمة أبناء الحسنعليه السلام في كربلاء، وهم أربعة:

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص٢٠٤.

١ـ الحسن المثنّى، فقد قاتل وأُصيب بثماني عشرة جراحة، وقطعت يده اليمنى ولم يُستَشهد[١]، وبعد انتهاء المعركة حمله أخواله وقاموا بمعالجته وإرساله إلى المدينة[٢].

٢ـ عبد الله الأكبر، وأُمّه أُمّ ولَد، وتُدعى (رملة)، فهو أخو القاسم لأُمّه وأبيه، برز قبل القاسم واستُشهد سلام الله عليه[٣]، وهو قليلاً ما يُذكر.

٣ـ القاسم، وهو المخصوص بالليلة الثامنة.

٤ـ عبد الله الأصغر، وعمره إحدى عشرة سنة، وبما أنّ الحسن استُشهد سنة (٥٠ هـ)، وكربلاء وقعت في أوائل (٦١هـ)، فمن المحتمل أن يكون عمره يوم وفاة أبيه أشهراً، أو لعلّ الإمام الحسن عليه السلام قد تركه حملاً في بطن أُمّه ووُلِد بعد وفاة أبيه.

ليلة الطفولة

عوداً على بدء، لا ينبغي أن نغفل ما للطفولة من دور في إثراء واقعة الطف بالمواقف التضحوية المشحونة بالعاطفة، الممزوجة باللوعة؛ ومن هنا كان من المناسب ـ أيضاً ـ أن نخصّص للطفولة ليلة من العشرة ـ ولتكن الليلة الثالثة مثلاً ـ نجعل منها قاعدة للحديث عن اهتمام الإسلام بالطفولة من حيث التربية وأدوارها، والتعليم وأطواره، إلى غيرها من الحيثيات، ثمّ نُنهي الحديث بأحد رموز الطفولة في كربلاء، ومنها على سبيل المثال:

١ـ عبد الله الرضيع بن الحسين عليه السلام، الذي أصابه سهم ولم يبلغ من العمر ستّة أشهر[٤].

٢ـ عبد الله الأصغر بن الحسن عليه السلام، الذي ذُبح بحجر الحسين عليه السلام ساعة مصرعه،

(١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٦٣.
(٢) أُنظر: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٣، ص٢٧١.
(٣) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٦٤.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٧٢.

قال المقرّم: «ثمّ إنّهم لبثوا هُنيئة وعادوا إلى الحسين وأحاطوا به، وهو جالس على الأرض لا يستطيع النهوض، فنظر عبد الله بن الحسن السبط عليه السلام ـ وله إحدى عشرة سنة ـ إلى عمّه وقد أحدق به القوم، فأقبل يشتدّ نحو عمه، وأرادت زينب حبسه، فأفلت منها، وجاء إلى عمّه، وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين، فصاح الغلام: يابن الخبيثة، أتضرب عمّي؟! فضربه واتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلّقة، فصاح الغلام: يا عمّاه. ووقع في حجر الحسين، فضمّه إليه، وقال: يابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير؛ فإنّ الله تعالى يُلحقك بآبائك الصالحين، ورفع يديه قائلاً: اللّهمّ إن متّعتهم إلى حين ففرّقهم تفريقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلونا. ورمى الغلام حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه...»[1].

٣ـ ولدا مسلم بن عقيل، وهما: عبد الله ومحمد[2].

٤ـ أحمد بن مسلم بن عقيل، الذي فرّ من الخيام ساعة هجوم الخيل واختفى، ولم يظهر إلّا بعد خروج المختار[3].

والأفضل أن ينتهي بالحديث عن عبد الله الرضيع ويكون عنوان الليلة: ليلة الرضيع؛ لأنّ هذا الطفل خلّف لوعة وأسى في قلوب الأئمّة عليهم السلام لم يخلّفها أيّ مصاب آخر، ويدلّ على ذلك جملة من الأُمور، منها:

١ـ قول الإمام الحسين عليه السلام فيما يُروى عنه حين ذُبح الرضيع: «**اللهمّ لا يكون عليك أهون من فصيل** [ناقة صالح]»[4].

٢ـ أخْذ الإمام الحسين عليه السلام من دمه الطاهر ورميه نحو السماء[5].

---

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٨٠.

(٢) اُنظر: السماوي، محمد، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٢٣.

(٣) اشتُهر ذلك على ألسن الخطباء ولم أجد له مصدراً بحدود اطلاعي.

(٤) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٧٣. أقول: في المصدر: اللّهمّ لا يكون عليك أهون من فصيل، ولكن بعض المصادر أضافت: ناقة صالح.

(٥) اُنظر: المصدر السابق: ص٢٧٢.

٣ـ رجوع الإمام الحسين عليه السلام بعد مصرع الرضيع ودخوله في خيمة الإمام زين العابدين عليه السلام وجلوسه هناك منكسراً[١].

٤ـ دفْن الإمام السجاد عليه السلام لهذا الطفل على صدر أبيه عليه السلام، فقد أوصاه: «**بُنيّ علي، وسِّد رضيعي إلى جنبي**»[٢].

٥ـ دعوة الإمام زين العابدين عليه السلام على قاتل الرضيع بقوله: «**اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النّار**»[٣].

---

(١) اشتُهر ذلك على ألسن الخطباء ولم أجد له مصدراً بحدود اطلاعي.

(٢) ذكرت جملة من الروايات أنّ الحسين عليه السلام حفر للطفل بسيفه ودفنه بظهر الخيمة، والمشهور على ألسن الخطباء أنّ زين العابدين عليه السلام لـمّا دفن الحسين عليه السلام خرج الصوت من النحر الشريف: بُني علي، وسِّد رضيعي إلى جنبي. ولم أعثر له على مصدر. وقيل: إنّ الإمام الحسين عليه السلام أوصاه: إذا جئت لمواراة الأجساد فوسِّد رضيعي إلى جنبي. اُنظر: الهنداوي، محمد، مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج٢، ص٥٦.

(٣) «عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين، منصرفي من مكة، فقال لي: يا منهال، ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة. قال: فرفع يديه جميعاً، ثمّ قال عليه السلام: اللهمّ أذقه حرّ الحديد، اللهمّ أذقه حرّ الحديد، اللهمّ أذقه حرّ النّار. قال المنهال: فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان لي صديقاً، فكنت في منزلي أيّاماً حتّى انقطع الناس عنّي، وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهنئنا بها، ولم تشركنا فيها؟ فأعلمته أنّي كنت بمكّة وأنّي قد جئتك الآن، وسايرته ونحن نتحدّث حتّى أتى الكنّاس فوقف وقوفاً كأنّه ينظر شيئاً، وقد كان أُخبر بمكان حرملة بن كاهل فوجّه في طلبه، فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون، حتّى قالوا: أيّها الأمير البشارة، قد أُخذ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيء به، فلمّا نظر إليه المختار، قال لحرملة: الحمد لله الذي مكّنني منك، ثمّ قال: الجزّار الجزّار. فأُتي بجزّار، فقال له: اقطع يديه، فقُطعتا، ثمّ قال له: اقطع رجليه، فقُطعتا، ثمّ قال: النّار النّار. فأُتي بنارٍ وقصبٍ فأُلقي عليه فاشتعل فيه النّار، فقلت: سبحان الله! فقال لي: يا منهال، إنّ التسبيح لحسنٌ ففيمَ سبّحت؟ فقلت: أيّها الأمير، دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكّة على عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً فقال: اللهمّ، أذقه حرّ الحديد، اللهمّ، أذقه حرّ الحديد، اللهمّ، أذقه حرّ النّار. فقال لي المختار: أسمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول هذا؟ فقلت: والله، لقد سمعته يقول هذا، قال: فنزل عن دابّته وصلّى ركعتين، فأطال السجود، ثمّ قام فركب وقد احترق حرملة وركبت معه... ». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٣٢.

ليلة الهجرة

يمكن أن تُخصص الليلة الأُولى للحديث عن الهجرة وما يدور في فلكها، ويمكن الاستفادة من هذا العنوان في معالجة قضايا الجاليات الإسلامية في بلاد الغربة، وطرح مشاكلهم، ومحاولة إيجاد الحلول لها.

ومن خلال ما تقدّم يمكننا ترتيب العشرة الأُولى من محرّم بالشكل الآتي:

الليلة الأُولى: ليلة الهجرة.

الليلة الثانية: ليلة الحسن السبط عليه السلام، وتُختم بالعليلة.

الليلة الثالثة: ليلة الطفولة.

الليلة الرابعة: ليلة المرأة المجاهدة (أُمّ البنين).

الليلة الخامسة: ليلة مسلم بن عقيل عليه السلام.

الليلة السادسة: ليلة الأنصار.

الليلة السابعة: ليلة أبي الفضل عليه السلام.

الليلة الثامنة: ليلة الشباب (القاسم بن الحسن عليهما السلام).

الليلة التاسعة: ليلة علي الأكبر عليه السلام.

الليلة العاشرة: ليلة الوداع (ليلة الحسين عليه السلام).

نعم، إنّ تخصيص هذه الليالي بهذه العناوين لا يعني تضييق الخناق على الخطيب وحصره بالحديث عن هذه العناوين فقط، فالمجال مفتوح أمامه للحديث عن شتّى المواضيع، ولكن عليه مراعاة العناوين بالإشارة إليها وتذييل الموضوع بها، وهنا تظهر براعة الخطيب.

الخاتمة

إنّنا بحاجة إلى دعاة واعين يدركون ما حولهم، ويعالجون المشاكل بموضوعية، ويعرضون الإسلام بوجهه الأبلج، وصورته الناصعة؛ لأنّ عدم الموضوعية، وطرح

الأفكار الهابطة لا ينعكس على الداعي ومنبره فقط، بل على الدين الذي ينتمي إليه، ومعنى ذلك الإساءة إلى الإسلام وإلى صاحب النهضة عليه السلام.

نسأله تعالى أن يوفّق الجميع للعلم والعمل الصالح، ويجعلنا من خيرة الدعاة لنهج محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ/ ١٣٧٧ش.

٢ـ أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، السيّد محمد الصدر، دار ومكتبة البصائر، بيروت ـ لبنان، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر، النجف الأشرف ـ العراق، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجي، ومحمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤ـ تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.

٥ـ عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرح: يوسف علي طويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل ابن محمد العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧ـ ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، عبد الله الحسن، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

(١) فصّلت: آية٣٣.

٨ـ مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام، محمد الهنداوي، دار المجتبى، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٩ـ المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.
١٠ـ مفاتيح الجنان، عبّاس القمّي، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، مكتبة العزيزي، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش/ ٢٠٠٦م.
١١ـ مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزّاق الموسوي المقرّم، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ/ ١٣٨٣ش.
١٢ـ المنطق، محمد رضا المظفّر، مؤسّسة إسماعيليان، قم، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ.
١٣ـ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، الطبعة الأُولى.
١٤ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.
١٥ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن المعروف بـ(الحرّ العاملي)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني

الأهداف والنتائج

القسم الثاني/ دراسة ميدانية

السيّد محمد باقر الهاشمي*

مقدّمة

ما يزال الحديث حول معاهد الخطابة الحسينية وأثرها في صناعة الخطيب الحسيني، وقد انتهى القسم الأوّل من هذا البحث، وكان متعلّقاً بالبعد النظري لهذه المعاهد، المتمثّل بتحديد بعض المناهج المطروحة بشأنها، وتحديد مواضع العمل الذي ينبغي أن يُركّز عليها في المقام؛ وقد كان الهدف من كلّ ذلك هو السعي إلى تحقيق أعلى نسب النجاح في العملية الخطابية بشكل أكبر.

كما انتهى البحث إلى أنّه على الرغم من أنّ المعاهد المنبرية هي الطرف الراجح في مسألة تعليم الخطابة الحسينية على الاكتساب والتعلّم الذاتي، إلّا أنّ الجمع بين هذين المنهجين هو الطريقة المثلى للوصول إلى خطيب حسيني ناجح بكلّ المعايير.

وفي هذا القسم من البحث سيتم التركيز على الأسئلة ذاتها، ولكن من خلال الجانب التطبيقي الخارجي الذي يخرج من دائرة النظرية إلى السؤال عن الفاعلية، ورؤية مدى تطابق البعد التنظيري مع الواقع العملي للمعاهد المنبرية.

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

ويتألف هذا القسم من البحث من ثلاثة محاور وخلاصة للنتائج المترتبة على هذه الدراسة:

المحور الأوّل: الاستبيان العامّ (يشمل طبقات المجتمع كافّة من المثقّفين وذوي الاختصاص).

المحور الثاني: الاستبيان الخاصّ (يقتصر على الخطباء فقط).

المحور الثالث، نجري فيه مقارنة بين المخرجات التي سنحصل عليها من كلا الاستبيانين المشار إليهما.

وأخيراً سنزوّد القارئ العزيز بخلاصة لجميع النتائج المترتبة على هذه الدراسة بقسميها النظري والعملي.

المحور الأوّل: الاستبيان العامّ

قد تمّ طرح عدّة أسئلة مع وضع إجابات، يتمّ اختيار أحدها؛ أمّا العدد المشارك في هذا الاستبيان فقد كان (١٠٠) شخص متنوّعي الاهتمامات والاختصاصات، هذا وسيتمّ عرض الإجابات من خلال الرسم التوضيحي مع القيام بتحليلها وإبداء الرأي بشأنها.

أسئلة الاستبيان العامّ

السؤال الأوّل: هل تجد أنّ الخطابة الحسينية بحاجة إلى المعاهد التعليمية المنبرية، أو أنّ ذلك غير ضروري؟

ـ نعم

ـ لا

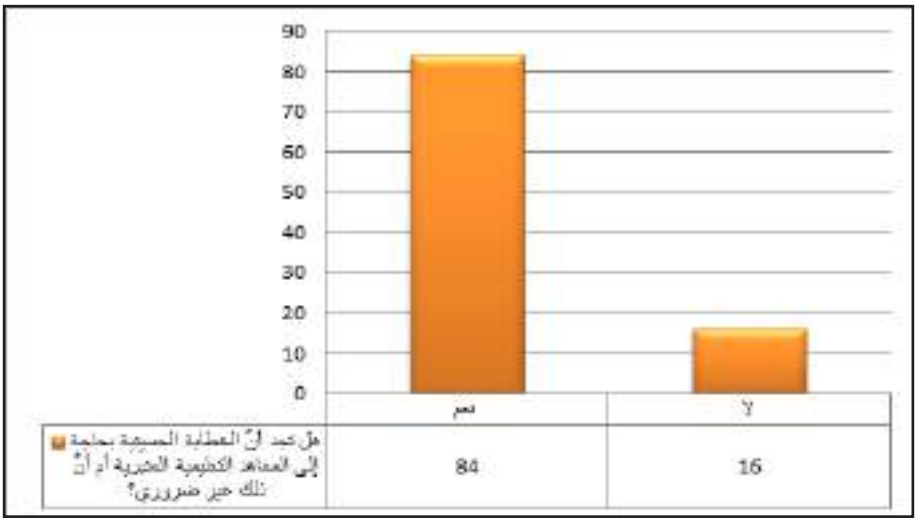

(الشكل: ١) نسبة جواب السؤال الأول ـ استبيان عام

فمن خلال ملاحظة نتيجة هذا الاستبيان فإنّنا نرى أنّ نسبة الإجابات تُشير إلى رغبة جادّة من قِبل الجمهور بمختلف اهتماماتهم وتنوّعاتهم بأن يكون العمل الخطابي أكثر مسؤوليّة، والمقصود بأكثر مسؤوليّة هو أن يخضع هذا العمل إلى مؤسّسة خطابية تحت أيّ مسمّى سواء كانت كلّية خطابة أم معهداً خطابياً، وتتبنّى هذه المؤسّسة تعليم وتدريب الخطيب منذُ اللحظة الأُولى حتّى تاريخ جاهزيّته.

السؤال الثاني: هل تحبّذ أن تكون المعاهد المنبرية أشبه بالكلّية المنهجية، يدرس فيها الخطيب مدّة لا تقلّ عن أربع سنوات، وفيها مواد دراسية تشمل ما يلزم الخطيب من النواحي الفنّية والعلمية كافّة، أو أن يقتصر عملها على الجانب العملي المختصّ بفنّ المحاضرة والإلقاء وبعض الأُمور الفنّية؟

ـ نعم، مع المعاهد المنهجية.

ـ لا، يتمّ الاقتصار على الجانب الفنّي فقط.

ـ بلا إجابة.

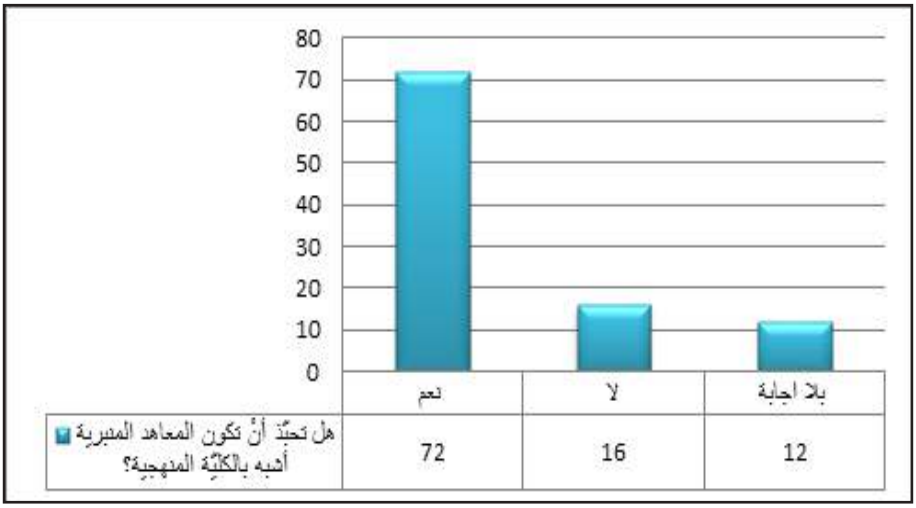

(الشكل: ٢) نسبة جواب السؤال الثاني ـ استبيان عام

من الواضح أنّ نسبة الإجابة عن هذا السؤال تُشير إلى ضرورة وجود هكذا مؤسّسة لا يكون عملها مقتصراً على الجانب الفنّي والمتعلّق ببعض الأُمور التقنية والسلوكية المهمّة للخطيب الحسيني وحسب، بل لا بدّ أن توجد في المقام مؤسّسة جادّة يتمّ من خلالها رصد مناهج خاصّة تغطّي العمل الخطابي على المستويات العلمية والثقافية والسياسية كافّة؛ لينعكس ذلك على الخطيب لاحقاً في معالجته للقضايا المطروحة عليه، وهو ما يعني أنّ المعهد المنبري لا بدّ أن يكون معهداً ذا أدوات منهجية كاملة، ومهامّ علمية موكلة إليه، يتمّ من خلالها الخروج بكوادر منبرية قادرة على تحمّل المسؤولية، مضافاً إلى امتلاكها للأدوات العلمية والفنية المناسبة للعمل المنبري هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد تكشف هذه النتائج عن رغبة المخاطب بأن يكون الخطيب قد تأهّل عبر مؤسّسة علمية تنظيمية؛ لأنّه حينئذٍ يستطيع أن يوجّه النقد إليها، وفي الوقت نفسه تكون المؤسّسة على حذر وحرص كبير في نوعية الخطباء الذين تؤهّلهم للتصدّي لهذه الوظيفة المهمّة والخطيرة في الوقت نفسه.

السؤال الثالث: هل تجد ضرورة أنْ يُمنح المعهد المنبري سلطة نقابية أو تخويلية يتمّ على أساسها إجازة الخطيب الحسيني والسماح له بارتقاء المنبر؟

ـ نعم، لابدّ من ذلك.

ـ لا، ليس بالضروري.

ـ بلا إجابة.

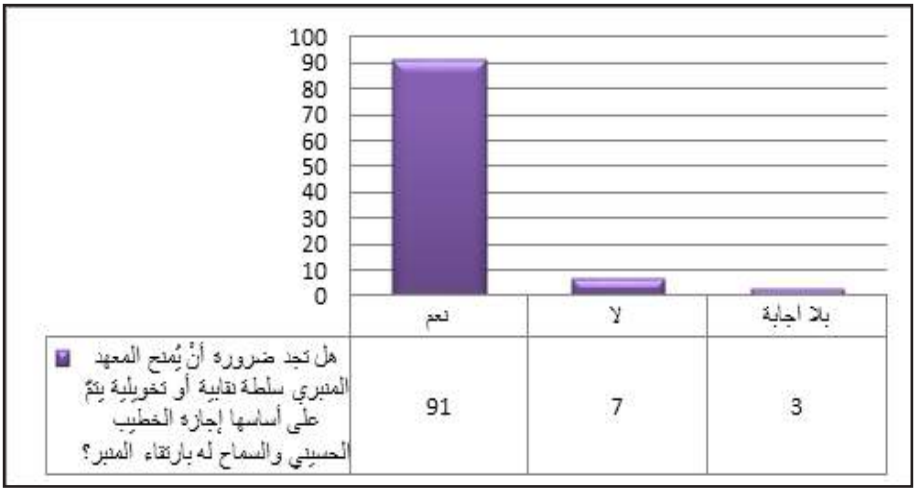

(الشكل: ٣) نسبة جواب السؤال الثالث ـ استبيان عام

اللافت للنظر أنّ المشاركين في هذا الاستبيان لديهم رغبة كبيرة بأن يكون المعهد المنبري صاحب حقّ في تخويل وإجازة الخطيب، تمنحه إمكانية ارتقاء المنبر الحسيني والحديث مع الناس من خلاله.

هذا، ويمكننا أن نعزو سبب هذه الرغبة الجماهيرية إلى أنّ التطوّر المعرفي والتقني الذي يشهده العالم الصناعي جعل المنبر الحسيني أمام تحدّيات كبيرة، وأصبح ما يقدّمه الخطيب من معرفة ومعلومات عرضة للنقد السريع؛ ومن أجل هذا الأمر فإنّ الدور الرقابي يؤمّن عدم الوقوع في كثير من المطبّات والعوائق التي قد تواجه الخطيب الحسيني والمنبر بشكل عام، ومن هنا فالمجتمع المسؤول والملتزم بالمنبر الحسيني يجد ضرورة ملحّة لهذا التقييد؛ لأنّ المؤسّسة التي تؤهّل الخطيب لارتقاء

المنبر، وتزوّده بالمعرفة اللازمة، مضافاً إلى كونها ستجعله مجازاً أو قل: موثّقاً من قبلها، فإنّها سوف تلقي على عاتقه قدراً كبيراً من المسؤولية، وتمنحه معرفة منهجية تساعده وتخوّله في معالجة القضايا. وأمّا المخاطَب فإنّه سيكون مطمئناً لما يطرحه الخطيب من معلومات؛ لعلمه المسبق أنّ المؤسّسة المنبرية لا يمكن أنْ تسكت عن خطأ علمي أو معرفة غير دقيقة، أو منهج لا ينسجم مع ضرورات الوضع المعرفي الحالي.

وليس الحديث عن هذه الهواجس التي تكتنف الجمهور مسألة نظرية، بل هي واقع معاش، يشعر به الكثير، ويشخّصون من خلاله الأخطاء أو لا أقلّ السلبيات التي تلمّ بالخطيب والخطابة الحسينية. وهنا يمكن أنْ أستفيد من بعض نتائج الاستطلاع الذي عمل عليه مجموعة من الأساتذة الأكاديميين على طلبة جامعة واسط فيما يتعلّق بالمنبر الحسيني، فقد مال أكثر الطلبة المشاركين في الاستبيان بنسبة (٧١٪) إلى أنّ بعض الخطباء يتناولون قضايا خلافية داخل المذهب في مضمون الخطاب الحسيني عبر الفضائيات، وأنّ (٦٥٪) من الطلبة يرون أنّ الخطباء في الفضائيات يُكثرون من الروايات الضعيفة، كما أنّ بعضهم يتجاوزون على الرموز الدينية للمذاهب الإسلامية، وغير ذلك من الأُمور[1].

ولهذا السبب؛ يمكن أن يُعزى ميل الجمهور إلى أن يكون لهذه المعاهد الدور الرقابي والجهة الرسمية المخوّلة في الإذن للخطباء.

بطبيعة الحال، لا تعني نتائج الاستبيان المشار إليه على طلبة جامعة واسط، أنّها

(١) أُنظر: القيسي، محمد فهد، ووليد عبد الرحمن إسماعيل، مدى إدراك طلبة الجامعات لمضمون الخطاب الحسيني عبر الفضائيات ـ كلية التّربية/ جامعة واسط مثالاً، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢٥، ص١٩١ ـ ٢١٥.

تعكس الواقع بصورة دقيقة، فعلى سبيل المثال: ميل الأغلب إلى أنّ خطاب المنبر الحسيني المعروض في الفضائيات يكثر فيه استعمال الروايات الضعيفة، وهنا لا يعلم حال الطلبة هل هم أهل اختصاص أو معرفة بالحديث وأنواعه، أو أنّ ذلك تمّ بناءً على مسألة ذوقية، وعدم قبول لمعاني الروايات بذرائع متعدّدة، منها أنّها تحكي عن وقائع غيبية غير ممكنة، وإلى غير ذلك، وحينئذٍ إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن الركون إلى مثل هذه النتيجة، ولكن ذلك لا يدفع عن خطاب المنبر الحسيني مثل هذا الإشكال؛ لأنّ الأمر لم يقتصر على استبيان هنا أو هناك، بل الدعوات والإرشادات الواردة للخطباء تحثُّ الخطباء على الابتعاد عن الروايات الضعيفة والأساطير والقصص الخرافية، وهو ما يكشف عن حالة موجودة غير خافية عن المهتمّين بهذا الشأن.

ومن هنا؛ فإنّ الإشكالات يمكن عدّها مبرّرات موضوعية لميل أغلب أفراد الاستبيان إلى أنْ تأخذ المعاهد دوراً رقابياً[1] ونقابياً، يتمّ على أساسه اختيار الخطباء وإرسالهم إلى المدن والمحافظات.

السؤال الرابع: ما السبب الذي يؤدّي إلى تقليل التوجّه للمعاهد المنبرية؟

ـ قلّة الحاجة لها.

ـ ندرة المناهج المعدّة بأُسلوب علمي للخطابة.

ـ قلّة الكفاءات التعليمية.

ـ التوجّهات المفروضة.

(١) ومن الحلول المطروحة ـ التي أشار إليها أحد الباحثين ـ لمسألة التهافتات والتناقضات الموجودة في المنبر الحسيني اليوم هو توحيد الخطاب المنبري؛ إذ إنّه بعد أن بيّن خلال بحثه جملة من الإشكالات التي تواجه خطاب المنبر الحسيني في واقعه الراهن، اعتبر أنّ توحيد الخطاب المنبري الذي ينطلق من توحيد الرؤى والبنى الفكرية عند الخطباء يشكّل اليوم ضرورة منبرية، وقد بيّن خلال البحث آليّات توحيد الخطاب واحتمالاته. أُنظر: الجعفري، إسكندر، سبل توحيد الخطاب المنبري الحسيني، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ٢٦، ص١٢٣ـ ١٣٧.

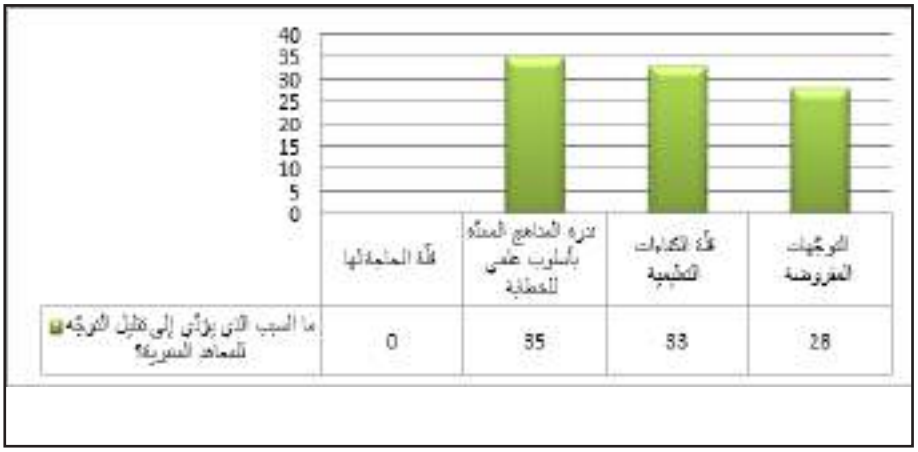

(الشكل: ٤) نسبة جواب السؤال الرابع ـ استبيان عام

من خلال ملاحظة نتيجة هذا الاستبيان نجد أنّ الإجابات قد تنوّعت في بيان سبب عدم الإقبال على المعاهد المنبرية بين عدم وجود مناهج تعليمية متخصّصة، وكذلك وجود ما يعرف بالتوجّهات والآيديولوجيات التي تتحكّم بالمعطى المعرفي والفنّي للخطيب في مرحلة التعلّم، وكذلك قلّة وجود الكوادر التعليمية في هذا المجال.

هذا، وعلى الرغم من عدم كون أفراد هذا الاستبيان خطباء، ولم يشهدوا عمل المعاهد بشكل مباشر حسب الظاهر ليُشخّصوا مثل هذه الإشكالات في المعاهد المنبرية، إلّا أنّ إجاباتهم قد تكون نتيجة للاطّلاع أو السماع عن المعاهد، وتبقى مسألة مقاربتها للواقع أو الكشف عنه مرهوناً لما بعد الاستبيان الخاصّ؛ باعتبار أنّ جميع أفراده من الخطباء.

خلاصة نتائج الاستبيان العامّ

١ـ ضرورة وجود معاهد منبرية، ورجحانها على التعليم الشخصي الذي يمارسه الخطيب بنفسه دون اللجوء إلى المعهد.

٢ـ أن تكون هذه المعاهد ذات طابع تخصّصي ورقابي في الوقت نفسه، ولها إشراف مباشر على العمل الخطابي بشكل عامّ تعليماً وإجازةً.

٣ ـ وجود بعض المعوّقات التي يجب أنْ يلحظها القائمون على المعاهد المنبرية لتجاوز قلّة الإقبال عليها أو قلّة الجدوى منها.

المحور الثاني: الاستبيان الخاصّ

وهو خاصّ بالخطباء، وقد كان عدد المشاركين فيه (٢٠) خطيباً، منهم مَن انضمّ إلى المعاهد الخطابية، وأتمّ مراحلها، والقسم الآخر ما يزال في المعاهد الخطابية الموجودة.

أسئلة الاستبيان الخاصّ

السؤال الأوّل: هل تجد ضرورة لوجود المعاهد المنبرية لتعليم الخطابة الحسينية، أو أنّ التعلّم الذاتي يمكن أنْ يؤدّي الغرض؟

ـ ضروري.

ـ كفاية التعلّم الذاتي.

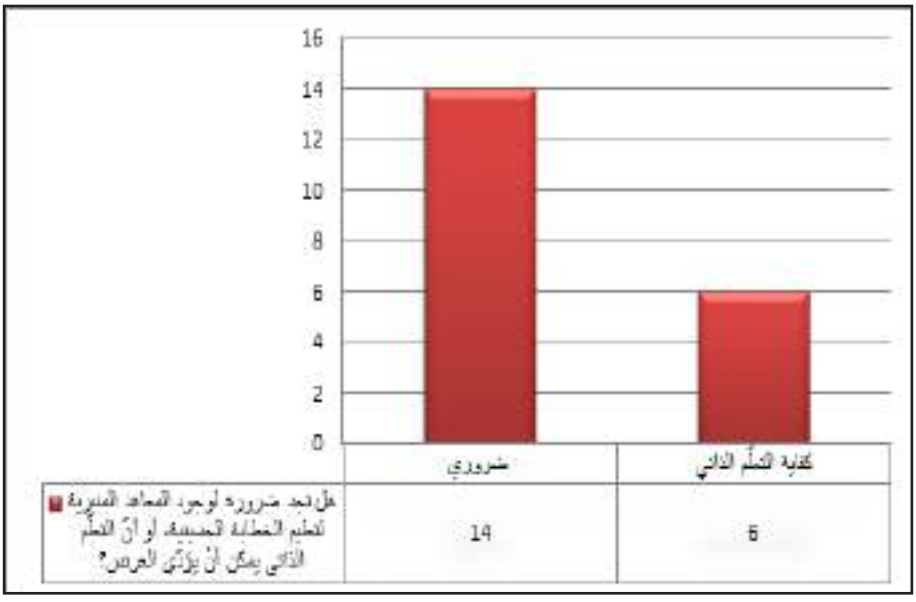

(الشكل: ٥) نسبة جواب السؤال الأول ـ استبيان خاصّ

أوّل ما يلحظ في الاستبيان الخاصّ المتعلّق بهذا السؤال أنّ مسألة ضرورة وجود معاهد منبرية كانت الأعلى نسبة في التصويت، ولكن إذا ما لوحظت النسبة الأُخرى، التي تجد أنّ التعلّم الذاتي يمكن أن يؤدّي الغرض نفسه المترتّب على الحضور في المعاهد الخطابية، فنجدها قاربت ثلث أعداد المشاركين في الاستبيان (٦ من أصل ٢٠ صوت)، وعلى الرغم من أنّ جميع مَن تمّ شمولهم بالاستبيان إمّا أنّهم طلّاب حاليين في المعاهد، وإمّا أنّهم كانوا قد التحقوا وتتلمذوا فيها، وهو الأمر الذي يجعل المستبين يظنّ مسبقاً بأنّ جميع الإجابات ستصبّ في صالح ضرورة وجود المعهد المنبري!

ولذا لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار هذه النسبة وإن لم تكن هي الراجحة، والتساؤل عن العلل والأسباب الكامنة وراءها، والتي نحسب بأنّ السؤال الأخير من هذا الاستبيان كفيل ببيانها.

السؤال الثاني: هل يجب أن يقتصر عمل المعاهد على تعليم الأساسيات في الخطابة الحسينية، أو أنّه لا بدّ أن تكون أشبه ما يكون بجامعة متكاملة من حيث المادة والمنهج والمراحل؟

ـ جامعة متكاملة ذات مناهج خاصّة.

ـ تعليم الأساسيات فقط.

ـ لا إجابة.

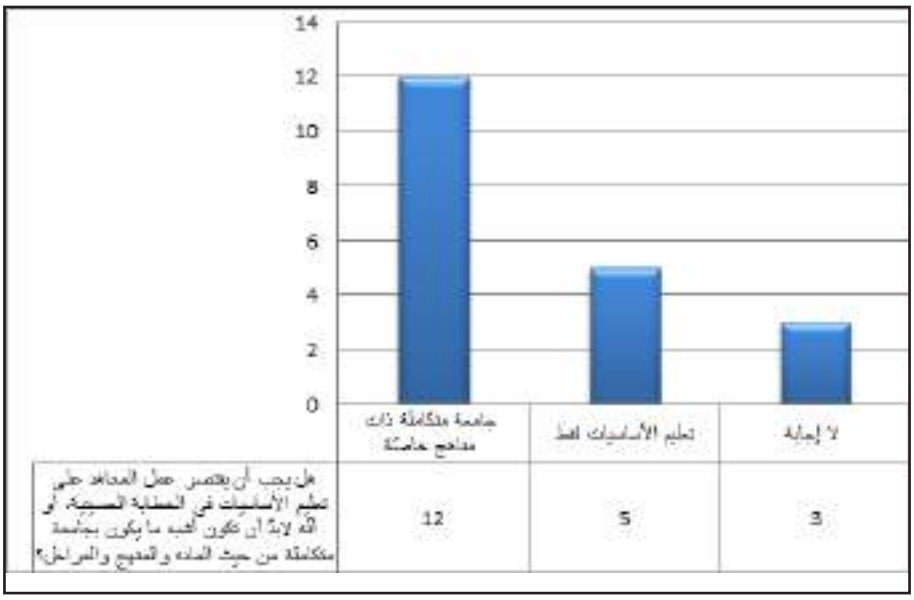

(الشكل: ٦) نسبة جواب السؤال الثاني ـ استبيان خاصّ

بالانتقال إلى السؤال الثاني من هذا الاستبيان نجد أنّ نسبة الإجابات فيه قد مالت إلى وجود مؤسّسة منبرية أشبه ما تكون بالجامعات، ذات مناهج خاصّة، ومدد زمنية ووحدات دراسية عملية ونظرية، ترعى العملية الخطابية برمّتها.

ولكن مرّة أخرى فالنسبة غير عالية بالقياس إلى الأصوات الرافضة لهذا التوجّه والداعية إلى الاكتفاء بتهيئة الخطيب بالأساسيات الفنّية والشكلية (أطوار ـ فنّ تجهيز المحاضرة...) فقط، وكذلك بالقياس إلى الأصوات التي لم تجب عن السؤال أساساً.

وهذا التفاوت يمكن تعليله بأنّ الخطيب الحسيني لا بدّ أن يكون في مرحلة مسبقة من طلبة العلوم الدينية (الحوزة العلمية)؛ لأنّ مادة الخطابة الحسينية تعتمد اعتماداً كلّياً على العلوم المعطاة في هذه التخصصات ـ كما بينا ذلك في القسم الأوّل من هذه الدراسة ـ وحينئذٍ لا يرى بعضٌ وجود ضرورة لإيجاد كلّية أو معهد تكون مواده هي عين المواد الموجودة في الحوزة العلميّة، بل ما يحتاجه حينئذٍ يقتصر على مسائل تنظيمية ترتبط بفن المحاضرة والسلوكيات العامّة.

ولكن ـ كما بيّنا في محلّه من هذه الدراسة ـ لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار أنّ المادة الخطابية وإن كانت مستمدّةً من العلوم الشرعية التي تُدرّس في الحوزة، إلّا أنّ المسألة لا تقتصر على وحدة المادة وحسب، بل لا بدّ من ملاحظة الغرض الذي يراد توظيف تلك المادة فيه؛ فإنّ الفقه الذي يحتاجه الخطيب بما يتناسب والخطابة، لا يشبه (في الطرح) الفقه الذي يدرس في الحوزة العلمية، وهنا تبرز مسألة المنهج التي هي ركيزة لا يمكن إغفالها بأيّ حال من الأحوال؛ فالمنهج المتّبع في الخطابة ليس هو ذات المنهج في الدرس الحوزوي، وهو ما يقتضي التفريق حتّى في أساليب الطرح والتّعليم بينهما[1].

وهنا لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار أنّ الانتساب لهذه المعاهد بشكلها التخصّصي المتضمّن للمناهج المتوافقة مع الطرح والأُسلوب الخطابي، لا يتعارض ولا يمنع الخطيب من الاستمرار في الدرس الحوزوي وبالطريقة المعمول بها هناك، بل الأجدر بالخطيب أن يسلك هذين المسلكين، ليكون خطيباً بارعاً ومتسلّطاً على المادة العلمية.

(١) لا بأس بالإشارة إلى ما ذكره بعض الباحثين بشأن مسألة وضع مناهج للخطابة الحسينية تختلف في أساليبها عن المناهج المعمول بها في الدراسات الدينية بشكل عامّ، ومن جملة ما قاله أحد هؤلاء الباحثين حول هذا الموضوع ما نصّه: «لا بدّ أن يُصاغ ويُصنع منهج ينسجم مع طبيعة المنبر الحسيني وكيفية الإلقاء معه، بحيث يتمّ إيصاله إلى المجتمع مع تهذيبه من كثير من المباحث الاصطلاحية والمدرسية... لأنّه سوف يصنع ثقافة فكرية مستقيمة وسليمة... كما يُمكنه أن يُقلّل الفجوة الكبيرة بين الذهنية العامّة في المجتمع وبين ما هو موجود في العلوم التخصّصية المدرسية...». التميمي، رافد، دور المنبر الحسيني في الإصلاح الفكري، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢٥، ص١١٩. كما أنّه وفي الصدد نفسه نجد أنّ باحثاً آخر قال ما نصّه: «فلا بدّ من منهجٍ مدرسيٍ مُعدٍّ من قِبل علماء أكفاء في جميع ما يحتاج إليه الخطيب: من قرآن، وعقيدة، وفقه، وأُصول، وتاريخ، وعلم الرجال، والدراية، والفلسفة، وغيرها من العلوم المهمّة التي لا غنى لأيّ معهدٍ من معاهد إعداد الخطيب الحسيني عنها». الكروي القيسي، محمد، الأُسس العلمية لإنشاء معاهد إعداد الخطباء الحسينيين، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢٦، ص١١٧.

السؤال الثالث: هل تُحبّذ أن يكون للمعهد المنبري صلاحية ـ كالنقابات ـ في تخويل وإعطاء تراخيص للخطباء بارتقاء المنبر، ومنع آخرين من ذلك؟

ـ أمرٌ مرفوض.

ـ أمرٌ ضروري.

ـ لا إجابة.

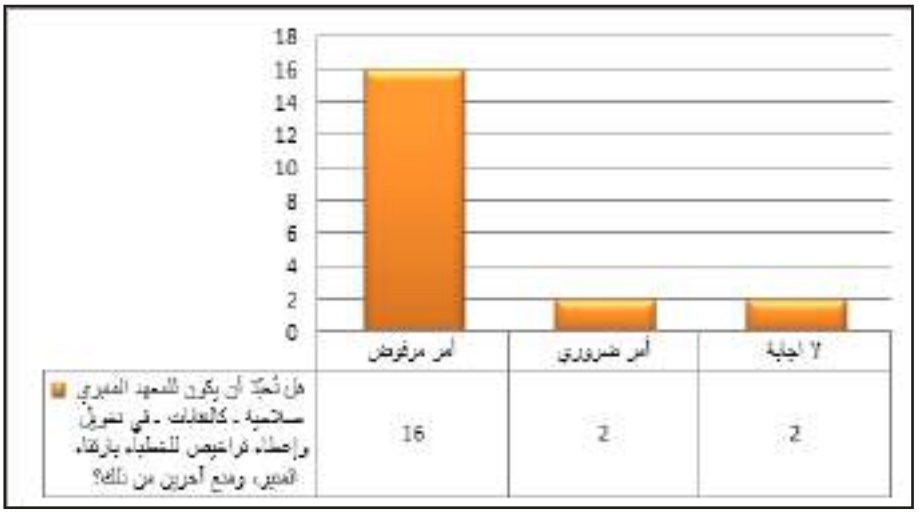

(الشكل: ٧) نسبة جواب السؤال الثالث ـ استبيان خاصّ

أمّا فيما يتّصل بالسؤال الثالث من الاستبيان، فنجد أنّ هناك رفضاً كبيراً لأن تتحوّل هذه المعاهد المنبرية إلى معاهد رقابية أو أن تعمل عمل النقابات؛ ولعلّ منشأ الرفض يعود إلى ما يتبادر إلى الأذهان من أنّ مثل هذه المؤسّسات لا تكون قادرة على هذه الوظيفة إلّا من خلال الدولة، وهو أمرٌ مرفوض من قِبل المنتسبين للمؤسّسة الدينية بما فيهم الخطباء، كما سوف يتّضح لاحقاً.

وهنا لا بدّ من التنويه إلى أنّ رفض المؤسّسة الدينية الارتباط بالدولة، ليس من

باب الازدراء بالدول، بقدر ما هو سعي منها إلى تعزيز الاستقلال الفكري والروحي، وحتّى المادّي الذي عُرفت به هذه المؤسّسة، وهو ما جعلها قوية دائماً.

وأحسب أنّ هذا الرفض لن يكون بهذه النسبة العالية فيما لو كانت المؤسّسة الدينية هي المسؤولة والمخوّلة للخطباء...الخ؛ والسبب في ذلك هو أنّ جميع الخطباء هم أوّلاً وأخيراً أبناء هذه المؤسّسة، وعلى اطّلاع تامّ بأنظمتها وأُسلوبها، ويُدركون ـ أيضاً ـ أنّ أيّ خطيب ينال ثقة أو رخصة لارتقاء المنبر الحسيني منها، سيكون ذلك داعماً كبيراً له في عمله، ومقبولية كبيرة له في المجتمع، ومع هذا فلا سبيل إلى الجزم بانقلاب نتيجة الاستبيان إلى الضدّ حتّى في هذه الحالة، وإنّما يبقى هذا الأمر مجرّد احتمال.

وبعد أن تبيّن أنّ وجود المعاهد المنبرية وأثرها في صناعة الخطيب الحسيني صار أمراً مفروغاً منه سواء بالاعتماد على الاستبيان العامّ أم الخاصّ، وهذا الاتّفاق يعكس حالةً من التسالم عند الجميع، بأنّ المعاهد المنبرية هي الجهة الأُولى المساهمة مساهمةً كبيرة في صناعة الخطيب الحسيني. وهنا يأتي السؤال الأخير في الاستبيان الخاصّ الذي هو الأهمّ ـ من وجهة نظري ـ والذي يركّز على أهمّ العوائق التي تحول دون تطوّر المعاهد المنبرية ووصولها إلى مراحل متقدّمة أكثر ممّا هي عليه اليوم.

السؤال الرابع: ما هي أهمّ المشكلات التي تعاني منها المعاهد المنبرية الحالية؟

ـ قلّة الدعم المادي.

ـ ضعف الإمكانات العلميّة وقلّة الكوادر المتخصصة.

ـ التوجّهات الخاصّة.

ـ جميع ما ذكر.

(الشكل: ٨) نسبة جواب السؤال الرابع ـ استبيان خاص

تكشف الإجابات المقترحة لهذا السؤال من الاستبيان عن وجود العديد من العوامل المانعة من تقدّم المعاهد المنبرية، خصوصاً بالنظر إلى النسبة الأعلى في الإجابات، والتي ترى أنّ الأمر يعود لجميع الاحتمالات المذكورة في الاستبيان؛ أي: قلّة الكوادر العلمية، وضعف الدعم المادي، وكذلك وجود توجّهات مفروضة في هذه المعاهد قد تسبّب ضعف الإقبال عليها.

من هنا؛ يمكن فهم أسباب (النسب غير العالية في الاستبيان الخاصّ بالنسبة للسؤالين الأوليين)؛ فيما يخصّ ضرورة وجود المعهد المنبري، وكون هذا المنبر أشبه ما يكون بكلّية متكاملة؛ فإنّ النسب وإن كانت تميل إلى هذين الأمريين ـ كما تبيّن ـ ولكن ليس بالمقدار المتوقّع، وخصوصاً كون أفراد الاستبيان من الخطباء، ووجود مثل هذا المعاهد بالصيغة المتقدّمة يعتبر عنصراً حيوياً وداعماً لمسيرتهم.

فإنّ واقع الحال في المعاهد المنبرية، وبعض ما يكتنف عملها من صعوبات، لعلّه هو الذي يدفع الخطباء إلى عدم توقّع شيءٍ أكثر ممّا هو كائن، وإلى المحافظة ولو بهذا المقدار على وجودها الحالي؛ لأنّ هذه النقلة المراد الوصول إليها، قد تؤدّي إلى انتهاء أغلب هذه المعاهد، نتيجة للمتطلبات الكثيرة المتعلّقة بالمادة والخبرة العلمية

والتأسيسية، التي قد لا تجد فرصةً للانبثاق، كما أنّها قد تفقد القدرة على الرجوع إلى ما كانت عليه.

بطبيعة الحال، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه النتائج الظاهرة في الاستبيان لا تحكي عن الواقع الخارجي كلّه، بحيث يمكن القول: إنّ جميع المعاهد تعاني من هذه الإشكاليات؛ باعتبار أنّ الاستبيان ليس استقراءً تامّاً لجميع الخطباء، ولكن غاية ما يكشف عنه مجموعة من الآراء التي يمكن الاستفادة منها في تصحيح مسار معيّن أو الوقوف على ظاهرة معيّنة؛ ولذا فإنّ وجود معاهد في الخارج تخلو من هذه العوائق ـ ولو بنسبةٍ لا بأس بها ـ ليس بالأمر النادر، ولكنّه ـ كما نعتقد ـ لا يخلو من صعوبة، كما يمكن ألّا تجتمع كلّ هذه العوائق في مكان واحد، بل كلّ معهد قد يعاني من مشكلة معيّنة، ولذا اقتضى التنويه على هذا الأمر.

خلاصة نتائج الاستبيان الخاصّ

١ـ يميل أغلب الخطباء في هذا الاستبيان إلى وجود معاهد منبرية، وأن تكون هذه المعاهد ذات طابع تخصّصي، لا يقتصر على دراسة الأساليب الخطابية وفنّ كتابة المحاضرة، بل يعتمد على منهج دراسي شامل لكافّة ما يحتاجه الخطيب، بما في ذلك المواد التي يدرسها في الحوزة العلمية، شريطة أن تُقدّم له هذه المواد بما يتناسب وحاجة المنبر الحسيني.

٢ـ لا يحبّذ أكثر الخطباء في هذا الاستبيان إعطاء هذه المعاهد صفة الرقابة والنقابة، التي بموجبها يتمّ إجازة الخطيب أو عدم إجازته.

٣ـ تُشير إجابات الخطباء إلى وجود جملة من العوائق العلمية والفنّية وغير ذلك، التي لا بدّ من رفعها ليكون للمعهد المنبري الدور المنشود بشكلٍ أكبر.

المحور الثالث: مقارنة نتائج الاستبيانين

بعد أن وقف القارئ العزيز على ما توصّلنا إليه من إجابات في كلا الاستبيانين العامّ والخاصّ، يمكننا أن نجري له مقارنة بين تلك الإجابات من خلال الجدول الآتي:

رقم السؤال	السؤال أو مؤدّاه	خيارات الاستبيان				النسبة النهائية لمجموع الأصوات المتطابقة في الاستبيانين	
		العام٪		الخاص٪			
		ن	لا	ن	لا	ن	لا
١	هل تجد ضرورة لوجود المعاهد المنبرية؟	٨٤٪	١٦٪	٧٠٪	٣٠٪	٧٧٪	٢٣٪
٢	تحويل المعاهد المنبرية إلى جامعات أو أكاديميات تخصصية ذات مناهج خاصة في كافّة ما يحتاجه الخطيب	٧٢٪	١٦٪	٦٠٪	٢٥٪	٦٦٪	٢٠,٥٪
٣	إعطاء المعهد أو أي مؤسّسة مشرفة على المعهد الدور الرقابي والتخويلي بإجازة الخطباء	٩١٪	٧٪	١٠٪	٨٠٪	٥٠,٥٪	٤٣,٥٪

هذا، وتُظهر نتائج المقارنة بين الاستبيانين أنّ الرؤية الكلّية سواء للخطباء أم لغيرهم تميل لأن يكون العمل المنبري منضبطاً بمعاهد وأُسس ومناهج خاصّة، وتأخذ هذه المعاهد دورها في بلورة الخطيب من جميع الجوانب التي تلزم صناعته، بما يناسب دوره الجماهيري الذي يفرض عليه أن يكون متمرّساً في أدوات مخاطبة الجماهير، عارفاً بما يجب أن يعطى ومقداره وكيفية إعطائه.

نعم، قد تكون مسألة الدور الرقابي التخويلي ـ إذا جاز التعبير ـ وإن رجحت

كفتها في النسبة النهائية، إلّا أنّها نقطة فارقة للخلاف بين الرؤية العامّة والخاصّة، فالرؤية العامّة تُريد خطاباً ومؤسّسة تستطيع من خلالها أنْ تثق بما سيمليه الخطيب على الأُمّة، وتثق أيضاً بأنّ هذا الخطيب أو ذاك يُدرك جيّداً أنّ الخطاب المنبري إذا خرج في معالجاته للقضايا عن الرؤية السليمة، فإنّ هذا الأمر سيعرّضه للمساءلة من قِبل المؤسّسة المسؤولة عنه.

وأمّا (الخطباء) فلا يجدون في وجود هذا الأمر ضرورة، ويكفي أن يكون الخطيب متّبعاً للتعاليم العامّة التي تصدر من المرجعيات الدينية فيما يتّصل بالخطباء، والعمل على أخذ الإرشادات التي يُطالَبون بها.

بطبيعة الحال، لا يمكن لهذه الصفحات القليلة أن تقف على طبيعة هذا التوجّه من هذا الجانب أو من ذاك بدقّة وعمق كبير؛ لأنّ التوجّه إلى مسألة المؤسّسة الراعية، ومبدأ التخويل للخطباء وغير ذلك مما يُطرح، لا بدّ أوّلاً أن تُدرس آلياته بشكل صحيح ودقيق، وكذا الآثار المترتّبة على الأخذ بهذا الأمر أو تركه هذا من جانب.

ومن جانب آخر، تظهر مسألة التوجّهات الشخصية والشرعية لكلّ خطيب، وكذلك التوجّهات الشخصية والشرعية لبعض أفراد الأُمّة، التي تجد في خطابٍ معيّن ـ قد لا ترتضيه المؤسّسة الرسمية ـ أنّه الخطاب الأنفع لها؛ وحينئذٍ تصبحُ الإشكالية أكثر تعقيداً، وإلى غير ذلك من القضايا التي بموجبها يكون أخذ القرار النهائي في مقام البت بموضوعة المؤسّسات المنبرية ذات التخويل والإجازة[1]،

(١) من الجدير بالذكر أنّ السيّد العلّامة أحمد الأشكوري وسّع دائرة الرقابة على الخطباء ـ بمعناها الإيجابي ـ ليُضيف إلى المؤسّسة الرقابية الأُمّة بوصفها المسؤولة عن هذا الأمر أيضاً؛ إذ يقول ـ في المقام ـ ما نصّه: «... نجد أنّ بعض أصحاب المواكب هم الذين ينتدبون الخطيب الجيّد، وهم الذين يراقبونه ويتابعونه، ثمّ ينقلون ـ بعد ذلك ـ صورةً وتقريراً مفصّلاً عن حاله إلى الجهة المسؤولة عنه، وعليه فقد وُجدت عملية رقابية إيمانية على الخطيب، تجعل موضوع المنبر الحسيني عملية منضبطة تخضع إلى جهاز رقابي. إلّا أنّ هذه الرقابة ـ سواء كانت من المؤسّسة الدينية أم

والبحث في هذا الأمر موكول إلى محلّ آخر.

بقي أن نذكر أنّ العوائق وبعض المشاكل التي تواجه المعاهد المنبرية، التي ذكرت في الاستبيانين لم يتمّ الإشارة إليها في جدول المقارنة، باعتبار أنّ الرؤية كانت متقاربة جدّاً في المجموع العامّ؛ وقد أكّد الاستبيان الخاصّ صحّة الاختيارات التي جاءت طبقاً للاستبيان العامّ في هذا الصدد.

خلاصة النتائج المترتبة على هذه الدراسة بقسميها النظري والعملي

١ـ تكاد مسألة ضرورة وجود معاهد منبرية متخصّصة مسألة لا خلاف فيها حسب ما أفضت إليه النتائج المتقدّمة، بل لعلّ بعضاً يرى أنّ العمل المنبري والخطابة الحسينية لم يعد بالإمكان أنْ يكون نتاجاً للجهد الفردي؛ وذلك نتيجةً للتقدّم المعرفي والتكنولوجي الحاصل والمسابق للزمن، فإنّ «**غياب العمل المؤسّسي يشكّل أخطر التحدّيات. لم يعُد المشروع المنبري مشروع أفراد، الآن نحن في عصر مؤسّسات، في عصر كيانات نظامية، فلا يمكن أن يبقى مشروعنا الخطابي ـ وهو المشروع الأخطر في جسم الأُمّة ـ يبقى ممارسات فردية**»[1].

٢ـ إنّ بعض المعاهد وإن اتّسم برنامجها النظري بقواعد ذات قيمة كبيرة في صناعة الخطيب، إلّا أنّها في أرض الواقع لا تعدو كونها معاهد لتعليم أطوار القراءة وقواعد

من الأُمّة ـ لا تعني الوصاية على الخطيب والتضييق عليه، وإنّما هو تحمّل لجزء من المسؤوليات الرامية إلى ترشيد الحالة الصحية، وإبعاد المنبر عن كلّ ما شأنه الإضرار برسالته ودوره في إصلاح المجتمع. وفي حال عدم أداء الأمّة لهذه المسؤولية فإنّها سوف تلام، كما وقع اللوم على الأُمّة التي نصّبت غير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، إماماً وخليفةً للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله...». الأشكوري، أحمد، تجاذبات فكرية حول مصير المنبر الحسيني.. عرض ومناقشة، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ٢٦، ص٦١.

(١) السلمان، محمد حميد، مؤتمر عاشوراء.. عاشوراء الحسين في سبع سنوات، كلمة السيّد عبد الله الغريفي: ج١، ص١٥٤.

الرثاء، وما يتعلّق بمسألة الصوت، وهنا يستدعي الأمر التفريق بين نوعين من هذه المعاهد:

الأوّل: المعاهد التي تعمل ضمن إطار شامل لا يتحدّد بمسألة الصوت والرثاء، شمولٌ على نحو ما تقدّم عرضه سابقاً.

الثاني: المعاهد التي تتركّز اهتماماتها بمسألة الرثاء والصوت والمقامات.

وهذا التفريق ـ كما يُظنّ ـ قد يجيب عن العديد من الإشكالات الموجّهة للمعهد المنبري، وأنّها ليست بذات أثر كما هو المطلوب منها، حينئذٍ يمكن الإجابة عن أيّ نوع من المعاهد يتمّ الحديث.

ومع هذا، فلا يراد من هذا التفريق التقليل من قيمة معاهد الخطابة ذات الاهتمام بمسألة الصوت والرثاء، بل هي في عملها تقوم بأمر ضروري لا بدّ منه، وكلّ ما في الأمر أنّها تقصر برنامجها التعليمي على هذه الجنبة، ولا تتحمّل مسؤولية الباقي، والذي يمكن لطالب الخطابة الحصول عليه من معهد منبري ذي صبغة شمولية تشمل العزاء والدرس وغير ذلك.

٣ ـ تكثر الدعوات إلى أخذ المعاهد المنبرية دورها الرقابي في متابعة الخطباء، والتعرّف على مستويات تقدّمهم العلمي وعملهم الخطابي، وهنا تكثر الدعوات إلى أن تكون المؤسّسة الدينية هي مَن تتبنّى هذه المعاهد؛ لأنّ المتصوّر في تبنّي المعهد الخطابي جهتان، هما:

الأولى: المؤسّسة الدّينية

الثانية: المؤسّسة الحكومية[1].

وفي الواقع أنّ تحديد أيّ واحدة من الجهتين أعلاه هي مَن تأخذ على عاتقها الدور الرقابي في متابعة الخطباء، يحتاج إلى دراسة تحليلية خاصّة لكلّ واحدة منهما، ومعرفة الآليات المطروحة لهما في هذا المجال، ولا يسع هذه الدراسة بيان ذلك ولا عرضه،

(١) أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ٧٩.

ولكن بالمجمل يمكن القول: إنّ خيار الدولة مرفوض رفضاً تامّاً؛ لما فيه من تقييد محتمل لعمل الخطيب والخطاب الحسيني بشكلٍ عامّ، مع ملاحظة التغيّرات الطارئة على الدولة تبعاً لتغيُّر سياساتها، الأمر الذي ينعكس بشكلٍ أو بآخر على الخطابة الحسينية، وغير ذلك من الإشكالات.

ويبقى الاحتمال الثاني (المؤسّسة الدينية) هو المعتمد؛ لعدّة اعتبارات، منها: ما تقدّم من كون الخطابة والخطباء تنضوي تحت عمل المؤسّسة الدينية، ومنها: الاستقلالية اللّازمة لنجاح المنبر الحسيني في نقد وتقويم كثير من المظاهر السلبية، وهو الأمر الذي يتسنّى له في ظلّ عمل المعاهد المنبرية تحت مظلّة المؤسّسة الدينية لا الحكومية.

هذا، وقد لاقى هذا الرأي قبول العديد من الباحثين، وحسب التتبّع كان أوّل مَن طرحه المرحوم الشيخ أحمد الوائلي[1].

ومع هذا، فلا أحسب أنّ هذا المشروع سيؤدّي بأخذ المؤسّسة الدينية دور المجيز للخطباء؛ ولعلّ أحد أهمّ أسباب ذلك هو أنّ المؤسّسة الدينية لا تقبل بمثل هذه الدور ولا تحبّذه، حتّى لو كانت قادرةً عليه[2].

وهنا لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار أنّ المؤسّسة الدينية ليست ببعيدة عن هذا الفرض، بل إنّ كثيراً من هذه المعاهد هي بتوجيه وأمر منها، ولكنّ هذا التوجيه يقتصر على التعليم، والأخذ بيد الخطباء، دون التعدّي إلى الجانب التنظيمي الخارجي، وقد

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٦١ ـ ٦٣.

(٢) هناك العديد من الإشكالات التي قد تبرز في إسناد هذا العمل إلى المؤسّسة الدينية، ومنها: تعدد المرجعيات، وتعدد الاتجاهات الفكرية لهذه المرجعيات، وهو ما سينعكس على المؤهّلات المطلوبة في الخطيب بين هذه المرجعية وتلك. ومنها: أنّ المؤسّسة الدّينية لا تمتلك هذه الصلاحيات التي بموجبها يمكن أنْ تمنع أو تجيز خطيباً، وعليه كيف يمكن أنْ تمارس هذا الدور، هل يكون بمعونة الدولة؟، وهو احتمال مرفوض، لا ترتضيه المؤسّسة الدينية؛ وعلى هذا فإنّ ربط المعاهد المنبرية بالمؤسّسة الدينية وإن كان أمراً ضرورياً، إلّا أنّه لا يُفهم من هذا الارتباط أنّه كارتباط الأطباء بنقاباتهم أو المعلّمين أو ما أشبه ذلك.

يكون السبب في ذلك أنّ المؤسّسة الدينية تأخذ على عاتقها دور النُّصح والتوجيه، ولا تتّبع سلطة الفرض والإلزام، ولها أسبابها الحكيمة في ذلك.

وأخيراً، تبقى موضوعة الدور الرقابي للمعهد المنبري والجهة المسؤولة عنه، من أهمّ الموضوعات التي تحتاج إلى تحليل وتأمّل وتشخيص آليات للتطبيق؛ وذلك نتيجة ما يكتنف الموضوع من تساؤلاتٍ كثيرة يفرضها الواقع الخارجي.

٤ـ ما يؤخذ على هذه المعاهد المنبرية أنّها لا تتمتّع بمنهج خاصّ يتناسب والعمل الخطابي، بل تعتمد على المنهج التحليلي العميق الذي اكتسبه طلبة العلوم الدينية الراغبين بالخطابة أثناء دراستهم في الحوزة العلمية، وتكتفي بمجرّد تعليم الخطباء جملة من القواعد لتحويل هذا الدرس إلى مستوى الخطاب الجماهيري، بعد أنْ كان درسياً، وواضح الفرق بين المنهجين.

وهذا الإشكال يراد منه صياغة مناهج من صلب المواد التي يتمّ اكتسابها في الدراسات الدينية؛ لتكون مناسبة للعمل الخطابي، فيصاغ الفقه للخطباء، والعقيدة للخطباء، وغير ذلك.

وهذا العمل من الضرورة بمكان، فعلى سبيل المثال: إنّ ما يحتاجه الخطيب من الدرس العقدي يختلف تماماً عمّا يُريده المختصّ في هذه الدراسة، فإنّ الأخير يراجع الأدلّة من أُصولها الأوّلية، ويقوم بتنقيحها والنظر في الآراء المطروحة للخروج بنتيجة نهائية، ولكن الخطيب لا يحتاج لهذا العمق، بقدر حاجته إلى الإلمام بالموضوعات العقدية وأدلّتها، مضافاً للحوارات والمناقشات التي تساعده على تأكيد فكرته، ومن الواضح أنّ المختصّ يستغرق جلّ عمره في هدفه، بينما الخطيب سيستغرق هذا الجهد بحكم كونه لا يملك مادة محدّدة تُعنى بعمله؛ ولذا سيخوض فيما يخوض فيه المختصّون، وينكبّ على دراسة المطوّلات العقدية المعروفة في الدراسات الدينية.

ومن هنا؛ تأتي الدعوة لإنشاء كلّية للخطابة يتمّ من خلالها استقبال الخطباء من

المراحل الأُولى، إذ يتمّ إعطاء الخطيب الدروس الدينية بما يتناسب وعمله الخطابي، ويتدرّج في المواد التعليمية حتّى يصل إلى المراحل العليا في الموضوعات كافّة، ولكن كلّ ذلك بمنهج تدريسي موضوع من قِبل مجموعة من الخبراء، والمتخصّصين في مجال العمل الخطابي؛ ليتخرّج الخطيب لاحقاً وله مُكنة خطابية، ومنهج خطابي متكامل، ولا تكون محاضراته مشابهة للدرس الحوزوي؛ لأنّه لو كان الخطاب كذلك، ففيه ظلم للدرس والخطابة معاً، والسبب في ذلك اختلاف الأهداف بين الدرس الحوزوي باعتبار المخاطَب فيه مُحصِّلاً، وبين الخطابة لكون المخاطَب فيه الجمهور.

المصادر والمراجع

١ـ تجاربي مع المنبر، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف ـ العراق.

٢ـ مجلة الإصلاح الحسيني، مؤسسة وارث الأنبياء، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

٣ـ مؤتمر عاشوراء (عاشوراء الحسين في سبع سنوات)، إعداد وتحرير: محمد حميد السلمان، المجلس الإسلامي العلمائي ـ مركز الإمام الحسين عليه السلام للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

مقوّمات الخطيب الحسيني القدوة
الدكتـور الشـيخ أحمد الوائلي أُنموذجاً

أ. م. د. سها صاحب القريشي*

مقدّمة

مرّ التاريخ الإنساني بمصارع كثيرة، ووقائع مؤلمة يقف الفكر حائراً ومفجوعاً أمامها، لكنّ فاجعة كربلاء ـ بإجماع المؤرخين ـ من أشدّ الوقائع أثراً في النفوس، وأقسى المصارع وقعاً في القلوب؛ وذلك لما شهدته ساحة الطف بكربلاء من مأساة دموية سنة (٦١) للهجرة، فقد تملّكت العالم الإسلامي رعدة الخوف والنفور والبغض، وصار مَن يمتلك ولو قدراً ضئيلاً من الإحساس، لا بدّ أن يتأثّر بتلك الواقعة المحزنة؛ لهول ما فعلته السلطة الأُموية حينما أقدمت على قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في مشهدٍ مروع دامٍ. فكان الناس آنذاك بين نادمٍ لعدم نصرته الإمام، وبين خائفٍ من عقابٍ إلهيٍّ وشيك، وبين حانقٍ على الأُمويين خائف من بطشهم.

وفي هكذا أجواء، إذ يشيع فيها اختلاط المشاعر، كانت المصيبة شديدة الوقع على المسلمين، فوصايا النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته وأحاديثه في مكانتهم كانت تُبعد المسلمين عن مجرّد تصوّر هذه الفاجعة، أو احتمال حدوثها وما تنطوي عليه من مأساة.

من هنا كانت هذه الواقعة المفجعة حاضرةً بشكلٍ متميّز في الأدب العربي الإسلامي، منذ وقوعها وإلى يومنا هذا، فقد بدأت شعراً بشكلٍ عفوي وبسيط، حتّى رُوي أنّ أوّل مَن رثاه بالشعر هم أهل بيته عليهم السلام، فقد نُسبت مقطوعات شعرية للنسوة اللاتي حضرنَ الواقعة، وشاركنَ الحسين عليه السلام ظروف تلك الملحمة ووقائعها

---

* تدريسية في قسم اللغة العربية ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء.

الكبرى، كأُخته السيدة زينب عليها السلام، وابنته السيدة سكينة، وزوجته السيدة الرباب، إلّا أنّ الخطابة الحسينية ـ على ما يبدو ـ سبقت الشعر الحسيني أو تزامنت معه[1].

إنّ الخطابة الحسينية تعدّ الفن الأكثر تأثيراً والأبرز من بين أنواع الخطابة عند المسلمين، لا سيما الشيعة منهم؛ حيث ارتبطت بشخص الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى عياله وأصحابه يوم الطف.

وقد مرّت الخطابة بمراحل عديدة ومختلفة ـ منذ تأسيسها ونشوئها على يد الإمام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد أبيه عليه السلام، وحتّى يومنا هذا ـ حيث تطوّرت واتّخذت شكلها القار بوصفها فناً ناجزاً له قواعده، وشروطه، وارتباطاته، ومكانته، ودوره في مختلف المجالات التربوية، والسياسية، والاجتماعية، فضلاً عن الجانب الإعلامي.

وانطلاقاً من هذا الدور، وتأسيساً على هذه الأهمّية، ارتأينا أن نبحث في مقوّمات الخطيب الحسيني في ضوء سيرة خطيبٍ يستحقّ أن يُوصف بكونه نموذجاً للخطيب الحسيني القدوة، وهو الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، الذي كان رائداً ومؤسّساً لمدرسة نموذجية للرقي بمضمون المحاضرة الحسينية الواعية.

تمهيد حول شخصية الدكتور الشيخ الوائلي رحمه الله

حاول كثيرٌ من الخطباء الحسينيين مراعاة جوانب متعدّدة من مقوّمات الخطيب الحسيني، كالعلم والثقافة، والورع والتقوى، فسجل التاريخ أسماؤهم بأحرف من نور، من خلال تراثهم المبدع الذي أطلّ على المسرح الإنساني والإسلامي بالمواقف الكريمة، والسير الوضّاءة بالوعي والفكر والإصلاح.

ومن هؤلاء الأفذاذ هو الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، الذي أنجبته مدينة النجف الأشرف شعلة الفكر والعلم والدين، فنهل من عذب نهرها الدافق، فكان لها أبلغ الأثر في بلورة شخصيته دينياً وفكرياً واجتماعياً.

(١) أُنظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج٣، ص٨٥.

وبرز هذا الأثر في رهافة حسّه وعمق وعيه وقدرته على مسايرة التطورات الفكرية، ومتابعة أساليبها ومناهجها، وبعبارة أُخرى: كان ملماً بثقافة موسوعية واسعة، استمدها من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، الذي لم يُعرف له نظير في الإسلام بسعة ثقافته وعمق اطّلاعه، فكان بحقّ الشخصية العالمية الأُولى بفكره النيِّر الذي حيّر العقول، فعالمية الإمام عليه السلام وتخطّيه حدود الزمان والمكان جعل منه موضوعاً خصباً للباحثين العالميين غربيين وشرقيين.

من هنا كانت شخصية الخطيب الدكتور أحمد الوائلي حريصةً على اقتفاء أثر أمير المؤمنين عليه السلام ما أمكنه، ضرورة أن يكون المسلم متسلّحاً بالعلم والثقافة، وإلّا فلن يكون بمقدوره ترك بصمته في جمهور المتلقّين، فحرص على أن يرفد تحصيله العلمي ليس بدراسته الأكاديمية فقط، والتي حصل فيها على أعلى الشهادات، بل بدراسته الحوزوية التي أضفت على ثقافته الشيء الكثير، فضلاً عمّا اجتهد في معرفته من «**مطالعاته واهتماماته بالفكر الغربي ونظراته الفلسفية، والوقوف على آخر الآراء لكبار الفلاسفة، أمثال ديكارت، وهيجل، وماركس، وداروِن. قد منحته إشراقة النموّ والتواصل والقدرة على تطوير قابلياته العلمية، بعد أن اتّكأ على صخرة الفلسفة الإسلامية، فأثرى المنبر الحسيني بالجديد من الأفكار الحداثوية... وهذا ما يُعدّ فتحاً جديداً في مادّة المنبر الحسيني، الذي لم يسبق إليه أحد سوى الوائلي رحمه الله، فكان الرائد الأوّل في هذا المجال**»[1].

وقد أبعد المنبر الحسيني عن كلّ ما يسيء إلى سمعته، ويُظهره كوسيلة إعلام هزيلة لا تقوى على مجاراة الواقع، وهو ما تؤكّد عليه المرجعية الرشيدة في وصاياها للخطباء والمبلِّغين[2].

(١) الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٠٥.

(٢) وصايا المرجعية الدينية العليا لخطباء المنبر لعام ١٤٤٠ للهجرة، (الأمر الثالث): www.sistani.org.

ولهذا السبب فقط زهد الشيخ الوائلي بالألقاب[1]، مكتفياً منها بلقب (دكتور) ليثبته على مؤلفاته، ولعل «**الشيخ الوائلي﵀ عندما وضع لقب الدكتور ـ وهو أكثر جدارة من مستوى هذه الشهادة ـ لا لغرض في نفسه بقدر ما أراد أن يلفت انتباه مَن يُصغّر ويُقلّل من شأن الخطيب؛ كونه (روزخون) لا يجيد إلّا قراءة المصيبة على الإمام الحسين﵇، فأراد﵀ أن يخبر الآخرين من علماء ومثقّفين إلى المستوى الذي ارتقى إليه الخطيب الحسيني**»[2]، وأنّ باستطاعته مواكبة ثقافة العصر، وإقناع أبنائه بما يريد قوله.

يقول محمد سعيد الطريحي في كتابه (أمير المنبر الحسيني.. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي): «**لأن تعارف الناس في العراق على تقييم الخطيب بأنّه مَن يتوفّر على أوليات العلوم الإسلامية، ويُلمّ بأدب الطف، إضافةً إلى الصوت الشجي، فإنّ الوائلي بفعل ما امتلك من مواهبَ وطاقات أصبح عالماً خطيباً، وصاحب مدرسةٍ في خطابة المنبر الحسيني.**

إنّ أُسلوبه الفذّ بحقّ أصبح مثلاً أعلى للخطباء؛ لأنّه رسم الصورة السليمة لتغذية المستحقّين بالفكر النيّر، ولهذا فإنّ قياس مستوى تألّق الخطيب وهبوطه بقدر ما يتقن الخصائص التي وضعها الوائلي في خطابة المنبر الحسيني»[3].

وما اجتماع كلّ تلك الخصائص ـ التي تحدّث عنها العلماء والخطباء والدارسون على حدّ سواء ـ في شخصية الشيخ الوائلي﵀ إلّا لمحاولاته الجادة والشجاعة لقراءة

(١) ففي إطلاق بعض الألقاب من غير استحقاق يقول محمد جواد مغنية: «إن دلّت هذه الفوضى على شيء فإنما تدلّ على كثرة الدخلاء والأدعياء الذين دنّسوا العلم ولوّثوا الأخلاق، وأساءوا إلى الدين وأهله، وعبثوا بقيمه ومقدساته... فإنّ إطلاق لقب (علّامة) و(إمام) و(آية الله) و(حجّة الإسلام) على كلّ ذي جبّة وعمّة ـ بلا مراعاة النظير ـ توهينٌ من قدر العالم التقي... وهذا أعظم ما رُزئ به الإسلام والمسلمون». من تجارب محمد جواد مغنية، مجلّة الموسم العدد ٢ـ٣، ١٩٨٩: ص٥٩٨.

(٢) الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٢٢.

(٣) الطريحي، محمد سعيد، أمير المنبر الحسيني.. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي: ص٢٢.

شخصيات التاريخ الإسلامي، وقراءة الإسلام وأحكامه الشرعية، وتفسير القرآن من منابعه الأصيلة وهم محمد وآل بيته الطاهرين عليهم السلام، وعدم السقوط في مطبّ التفسير بالرأي، الذي يستغلّ عقول البسطاء في الأُمّة ليوصل لهم قراءة مغلوطة عن هذا التاريخ، ولهذا استحقّ بجدارة أن يُوصف بأنّه عميد المنبر الحسيني.

يقول الشيخ الخطيب محمد باقر المقدسي في ذكرى رحيله (طيّب الله ثراه): «**إنّنا إذا نظرنا إلى تأثير المنبر الحسيني في المجتمع نتلمّس ذلك في جهاتٍ متعدّدة، ومنها أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام يتمتّعون بثقافةٍ عاليةٍ، فالمنبر هو القلب الذي يضخّ العلم والثقافة وحبّ أهل البيت عليهم السلام في جسد المؤمنين، ويُسهم في رفع مستوى المجتمع الديني والثقافي، لقد كان الشيخ الوائلي رحمه الله عميداً للمنبر الحسيني، حيث قام بنقل الخطابة على المنبر من الطريقة القديمة إلى الطريقة الحديثة، ونستطيع أن نقول: إنّه أوّل مَن اتّخذ طريقة التفسير الموضوعي للآيات القرآنية الكريمة، فقد كان رجلاً ذكياً حاذقاً، جمع بين العلوم الأكاديمية والحوزوية، التي أسهمت بشكلٍ كبيرٍ في إثراء هذا المنبر**»[1].

وعلى الرغم من الاعتقاد السائد بأنّ ما قد يروق للبعض لا يروق لغيرهم، فإنّ الشيخ الوائلي تمتّع بما هو مشترك ومحلّ رغبةٍ الجميع، ملخّصه إغناء الفكر والعاطفة من زادٍ نظيف وطريقٍ موثوق، ممّا أوجد له مكانةً وأعطاه حيّزاً ضخماً في دنيا المنبر وبين الشرائح الاجتماعية المختلفة، يقول الدكتور عبد الإله الصائغ: «**وهل كثيرٌ على الوائلي الرائد أن يكون مدرسةً كبيرةً يتخرّج فيها أئمّة المنبر وعشاق أهل بيت النبوة؟! الناس تختلف في أُمور كثيرة، ولكن من آلاء الله علينا أنّ الناس كلّ الناس اتّفقت على ريادة الشيخ الوائلي وعمادته في مراثي العترة الطاهرة من صفوة أهل البيت**»[2].

(١) مصور من كربلاء ـ إحياء ذكرى رحيل عميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (طيب الله ثراه): www.alhikmeh.org.

(٢) الصائغ، عبد الإله، الشيخ الدكتور أحمد الوائلي عميد المنبر الحسيني، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.alnoor.se/articte.asp?id=1537.

لقد قضى الشيخ الوائلي عمره في تثقيف الأجيال على المبادئ الإسلامية السامية، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بعد أن ولج إلى ميدان الخطابة الحسينية وهو في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره الشريف، أمّا ارتقاؤه المنبر رسمياً فقد كان منذ أربعينات القرن الماضي، وقد أعجب الناس حينها أيّما إعجاب بأُسلوبه الجديد المميّز في عالم الخطابة الحسينية، وكان الشيخ من أشدّ مناصري فكرة معهد الخطابة التي ارتأى فكرتها الشيخ محمد رضا المظفر عام ١٩٤٦م[١].

ولا يفوتنا التذكير بأنّ «**أحاديث أهل البيت وأقوال الصحابة مرجعية معرفية وثقافية تُثري موهبة الأديب في نتاجه الفنّي، وانطلق الشيخ أحمد الوائلي في توظيفها بوصفها مصدراً ثالثاً من مصادر التوظيف الديني بعد القرآن والحديث النبوي الشريف، على وفق رؤيةٍ إبداعيةٍ قادرة على استجلاء دلالة الأحاديث والأقوال، ليس لمجرّد التعرّف على أصحاب تلك الأقوال وتقليدهم تقليداً أعمى، وإنّما التبحّر فيما يقولونه والتعامل معه بما يلائم الحدث الحالي**»[٢].

وقد «**تُوّج بالعمامة من قبل العلامة محمد الشريعة[٣]، وهنا لا بدّ من الإشارة لمنزلة العمامة، فقد كان العلماء سابقاً يرشحون ويدعون لَمن كان يليق أن يضعها على رأسه بعد أن يعرف عنه من قابليات علمية في قطع أشواط الدراسة الحوزوية، وضبط مفاهيم مقدماتها، وما يمتلكه من حسن الخلق ومكرمات الطباع والأدب**»[٤].

---

(١) أُنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص٨٨.

(٢) عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي، هادي سعدون هنون، مستوى التوظيف الديني والأدبي في مجالس الشيخ أحمد الوائلي (سيرة المعصومين من آل محمد عليهم السلام أُنموذجاً)، مجلّة اللغة العربية وآدابها: العدد١٣، ص٣٨١:www.uokufa.edu.iq.

(٣) محمد الشريعة، هو نجل الشيخ الشريعة الكبير، أحد قادة ثورة العشرين. أُنظر: الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم: ج٢، ص٢٤.

(٤) الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٠١.

خصائص شخصيّة الدكتور الشيخ الوائلي رحمه الله

وليكن حسن الخلق ومكرمات الطباع إطلالتنا على سيرة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، التي لن يكون بمقدورنا ـ بالتأكيد ـ في هذه العجالة إضاءة كلّ جوانب شخصيته رحمه الله التي قدّمت الفكر الإسلامي بصورته المعتدلة المشرقة، فقد تميّز بخصائص وصفات ظهرت على شخصيته كخطيبٍ اعتلى المنبر الحسيني بكلّ جدارة، حتّى استحقّ كلّ ما قيل فيه من نعوت وأوصاف ربّما لم يشاركه فيها أحدٌ غيره، وهي من المقوّمات التي يجب «**أن يتحلّى بها كلّ خطيب ومنبري يريد أداء رسالته الإنسانية الهادفة لبناء ورقيّ الإنسان المسلم**»[1]، أيّاً كان مذهبه، مهتدياً بسيرة سيّد الأوصياء عليه السلام، وسنكتفي بعرض أبرزها، وهي:

التقوى

أثبت الشيخ الوائلي أنّه بحقٍّ مثالٌ للتقوى من خلال سيرته رحمه الله، وحالة التقوى هذه تبرز في ثباته على التمسّك بما يعتقده ويؤمن به، من أنّ طريق أهل البيت عليهم السلام هو المعين الصافي الذي يجب على الأُمّة أن تنهل منه.

ثمّ إنّ تقوى الشيخ ظهرت عبر مصداقيته ومصداقية منبره، وكانت حصنه الحصين بوجه كلّ ما يهدّد النفس الإنسانية من شهوات وأهواء قد تعصف بالإنسان، كالترف والشهرة والعُجُب، أو أُمور فكرية، أو اجتماعية، أو سياسية، قد تحرف مسار المنبر الحسيني[2].

الإخلاص

لا شكّ بأنّ عمل الخطيب الحسيني من أفضل العبادات؛ لما يُغدق فيه على المتلقّي

(١) المصدر السابق: ص١٠٦.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.

من التربية والتعليم، والإرشاد والهداية، والدعوة إلى الله سبحانه. وقد كان الشيخ الوائلي مخلصاً لله في نيته، مؤمناً بحجم هذه الرسالة، صادقاً في أداء عمله[1]، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**في إخلاص النيات نجاح الأُمور**»[2]، ويقول عليه السلام: «**مَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومَن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومَن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس**»[3].

العفّة

أمّا العفّة فكانت صفة ملازمة لسيرة الشيخ الوائلي، تتجلّى من خلال ممارساته اليومية وما تناقلته ألسن الثقات عنه، فالعفّة بكلّ تقسيماتها: «**مقياس صلاح الإنسان ونجاحه في مهمّته، وبالأخص الخطيب الذي هو أوْلى الناس بالعفّة والحياء؛ لأنّه بحكم عمله المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالناس وبمجتمعه فهو موضع ثقتهم، فإذا أحسّوا منه خيانة أو بما لا يسمح به الدين وحكم مكروهاته، أو خلاف تطلّعات العرف والتقليد، فسوف يفقد الخطيب موضع ثقة الناس**»[4]، وبالتالي ثقتهم بالمنبر الحسيني، وفي هذا الشأن يذكر الشيخ الوائلي في كتابه تجاربي مع المنبر: «**كنت أيّام الدراسة بالقاهرة أقضي وقتي في مطعم يجتمع به الدارسون، وهو مطعم المنظر الجميل، فأقضي فيه ساعةً أو ساعتين وبأيّامٍ محدودةٍ ثمّ أعود للمنزل، فألحّ عليّ يوم[5] المرحوم الدكتور عبد الرزاق محيي الدين على أن أقضي سويعات في منتزهٍ على النيل يقدم الشاي لروّاده، وفيه جوٌّ منعش ومنظرٌ لا بأس به، فقلت للدكتور الراحل: أنا أعرف ذلك وأتذوّقه، ولكن لو جاءت أُسرة وجلست بالقرب منّا، وجاء بعض الخليجيين أو العراقيين وقال: يا الله، لقد رأيت**

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٠٧.
(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٧٦٠.
(٣) نهج البلاغة: ج٤، ص٩٩، باب الحكم، رقم ٤٢٣.
(٤) الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٠٩.
(٥) هكذا في المصدر، والصحيح: (يوماً).

هذا الذي يعِظ الناس جالساً بين النساء الحاسرات، فماذا ستكون النتيجة؟ ستكون حتماً مؤدية إلى اهتزاز الثقة بالمنبر»[1]. ويقول سيّد الأوصياء عليه السلام: «**مَن وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ مَن أساء به الظن**»[2].

«**هكذا كان حياؤه وعفّة بصره من أجل سمعة المنبر وثمن رسالته التي أُنيط بها بكلّ ثقة واقتدار وحرص وأمانة**»[3]. مستنيراً بسيرة إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال: «**ومعلِّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم**»[4].

ولحرصه على سمعة المنبر الحسيني نأى بنفسه عن كلّ ما يُقلل من وقار المنبر وإن كان جائزاً، يقول: «**إنّ كثيراً من معارفي وأرحامي هيّأوا لي فرصة الاتّجار ببعض ما وفّرتُه من مال، فامتنعت وأصررت أن لا آكل من أي مصدر غير ما يأتيني عن طريق خدمتي للحسين عليه السلام؛ حتّى أتجنب كلّ محتملٍ من القول، وأبتعد عمّا يهزّ صورة المنبر في أعين الناس**»[5].

حسن المعاشرة والمداراة

ومن صفات الشيخ الملازمة لشخصيته حسن المعاشرة والمداراة؛ ممّا كان له عظيم الأثر في كسب ودّ الناس، وجذبهم وتجمّعهم حول منبره، والاستماع إلى محاضراته؛ ليتزوّدوا منها في تربيتهم وتعليمهم وهدايتهم. وهو في ذلك تلميذٌ مطيعٌ لمعلِّمه ومقتداه أمير المتقين عليه السلام، حيث يقول: «**خالطوا الناس مخالطةً إن متّم معها بكوا**

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٢١.
(٢) نهج البلاغة: ج٤، ص٤١، باب الحكم، رقم ١٥٦.
(٣) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٢١.
(٤) نهج البلاغة: ج٤، ص١٦.
(٥) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٠١.

عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم»[1]، ويقول عليه السلام أيضاً: «**مَن حَسن خلقه كثر محبّوه، وأَنست به النفوس**»[2][3].

وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الشخصيات المنبرية التي تجتذب الجمهور حول المنبر الحسيني لتغذيهم بالمعارف الإسلامية، فينتفعوا بها ويكسبوا خير الدنيا والآخرة.

ويصفه السيّد داخل بأنّه رحمه الله كان «**قدوةً في الأخلاق والمجاملة، ومثلاً في الخير والمعروف، وشخصيةً هامّةً تُرمق بعين الاحترام والتقدير**»[4]، وكأنّه رحمه الله وضع نصب عينيه أقوال الإمام عليه السلام في ضرورة مجاملة الناس ومداراتهم، ومنها قوله عليه السلام: «**رأس الحكمة مداراة الناس**»[5]، وقوله عليه السلام: «**عنوان العقل مداراة الناس**»[6]، وقوله عليه السلام: «**التودّد إلى الناس نصف العقل**»[7]. ولو بقينا نسرد كلّ خصائص شخصية الشيخ الوائلي وسيرته لطال بنا المقال.

الموضوعات التي تناولها رحمه الله في محاضراته

سنتوقّف عند أبرز الموضوعات التي دعا إليها منبره، والتي كانت انعكاساً طبيعياً لسيرته الكريمة، المتأثّرة بسيرة خطيب الإسلام الإمام علي عليه السلام، كتزويد المجتمع بالوعي التربوي، من خلال تشخيصه نقاط الخلل، وتوجيه المجتمع لتجنّبها ووضع الحلول لها من القرآن والسنة وسيرة أهل البيت عليهم السلام، وبيان النقاط الصائبة لتكريسها فيهم من خلال مادّة المنبر الحسيني، التي استطاعت أن تنهض بالأُمّة إلى مستوى

(١) نهج البلاغة: ج٤، ص٤، باب الحكم، رقم ١٠.
(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٨٠٥.
(٣) أُنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١١٠.
(٤) السيّد حسن، داخل، معجم الخطباء: ج١، ص٣٧٣.
(٥) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٢، ص٨٦٥.
(٦) المصدر السابق.
(٧) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٢، ص٥٢.

الوعي وعلاج القضايا الفكرية المعاصرة وبناء الأجيال، ومن تلك الموضوعات:

١ـ معالجة التفكّك الأُسري، والإلحاح على ضرورة التربية الدينية؛ لتكون مانعة من الوقوع في الذنوب.

٢ـ إبراز الدور العلمي للقرآن الكريم ونبذ الخرافات.

٣ـ الردّ على المستشرقين الذين أساؤوا إلى القرآن والنبي صلى الله عليه وآله.

٤ـ إظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن أحقّيتهم بموضوعية، وبطرق علمية تعتمد الأدلّة الثابتة من كتب كلا الفريقين.

٥ـ الدفاع عن قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٦ـ التحذير من الركون إلى النزعة القبلية أو العشائرية أو المذهبية؛ لأنّ فيها شقّاً لوحدة المجتمع وتفكّكه.

٧ـ التأكيد على التعايش السلمي والوحدة الإسلامية.

ولنقف عند هذه النقطة التي أولاها الشيخ اهتماما خاصّاً وكبيراً.

دعوته رحمه الله إلى الوحدة الإسلامية

حرص الشيخ الوائلي أشدّ الحرص على أن يكون المنبر الحسيني رسالة بناءٍ لوحدة المسلمين، لا رسالة هدمٍ وتفرقةٍ بين المذاهب الإسلامية، فيقول رحمه الله: «**يجب أن يتبنّى المنبر الدعوة إلى أن يتعايش المسلمون فيما بينهم على أساس من الإسلام، مع بقاء كلّ منهم على ما عنده من آراء، ما دام يقرّ بالشهادتين ولا ينكر ضرورة من الضرورات الإسلامية، وإلّا فليس من الواقعية في شيء أن ندعو المسلم إلى الانسلاخ ممّا يحمله من آراء والانتقال إلى الآراء المقابلة، ولكن تُشرح له الحقائق ويُدعى لدراستها ويُترك له الاختيار والسير حسب قناعاته، وحسابه بعد ذلك على الله وإليه وحده، إنّنا ندعو إلى منبرٍ من بعض مهمّاته، بل وفي رأس مهمّاته القيام بدور الدعوة إلى التعايش تحت لواء الإسلام**»[1].

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص٣٣.

فقد كان موضوع الوحدة الإسلامية في رأي الدكتور الشيخ الوائلي هو أنبل هدف للمنبر الرسالي الواعي، حيث حارب﵀ كلّ الدعوات التي تبثّ الفرقة بين المسلمين، سواء بين الشيعة أنفسهم، أو بين أصحاب المذاهب المختلفة، الذين اتّخذوا هذه الدعوات سبباً في نزاعاتهم السياسية ومآربهم ومنافعهم الذاتية. وحول الاختلاف بالرأي يقول: «**لا يجوز أن نصبّ العذاب على مَن يخالفنا الرأي، فالناس أحرار في آرائهم، ففي إحدى المرّات خرج أمير المؤمنين الإمام علي﵇ من باب مسجد الكوفة، فجاءه شخص وقال له: أنا لا أُبايعك، ولا أُصلّي وراءك، ولا أخرج معك لقتال، ولا أجمع معك جمعة أو جماعة، فقال الإمام: أنا لا اؤذيك، ولا أقطع عنك عطاءك ما دام المسلمين منك في أمان**»[1].

لقد اعتمد الشيخ في مخاطبته الجمهور على سيرة أمير المؤمنين﵇ بأُسلوب ديني علمي واضح، فاستخدم شواهد قويّة من سيرته﵇، لإحداث تغيير في الرأي العام متّكئاً في ذلك على ثقافة الجمهور وفطرته الدينية، فقد كان يؤكّد على ضرورة التقارب بين المذاهب الإسلامية، وعدم تكفير مذهب لآخر؛ كونه السبيل إلى جمع الشمل والعيش بسلام، إذ يقول: «**لا ينبغي أن نُكفِّر، ولا نختلف مع بعضنا البعض، كما يجب أن يكتب أهل السنة عن أهل الشيعة، ويكتب أهل الشيعة عن أهل السنة، فنحن نريد من المسلمين أن لا ينظر أحدهم إلى الآخر نظرة غريب، وإنّما جزء من الكيان الإسلامي، ومن أهمّ شروط التقارب: التزاوج، فلماذا لا يتمّ الزواج بين الشيعة والسنة، فنحن ليس لدينا مانع من أن يتزوج الشيعي من امرأة سنية، لكن الفتاوى التي تصدر من بعض الجماعات تحرّم هذه الزيجات**»[2].

ويشخّص الشيخ الوائلي أسباب تأجيج الخلافات بين السنة والشيعة ومَن هو

(١) قرص ليزري (CD) من خطب الوائلي، القرص الثاني، فايل رقم١، ملف رقم٢٠.
(٢) قرص ليزري (CD) من خطب الوائلي، القرص الأول، ملف رقم ٨.

المستفيد منها؛ وذلك في نظرةٍ ثاقبةٍ تستشرف المستقبل، وما يمكن أن تؤول إليه الأحداث إن بقي وعي بعض المسلمين على هذه الحال من الانغلاق والطائفية، قائلاً: «**المستفيد قطعاً هو الاستعمار، فالاستعمار يغذّي الخلافات بين السنة والشيعة؛ لأنّه ليس من المعقول أن يستمرّ الخلاف بين السنة والشيعة؛ لأنّ الإمام علياً تقاتل مع معاوية، وإنّما هناك مصالح عند البعض ولا يريد أن يتخلّى عنها، فهو يؤجّج الفرقة والخلاف حتّى يضمن مصالحه**»[1].

لقد كان الشيخ يحذّر ممّا يسيء إلى وحدة المسلمين، وكان يقسم على أنّ من وراء بعض الكتب والخطابات أيادي مشبوهة لا تهمّهم وحدة المسلمين تحت لواء لا إله إلّا الله، ومجرمين غايتهم الثروات كالنفط وغيره، محذّراً ومستغرباً في الوقت نفسه من غفلة وسكوت الحكومات على هذه اللعبة الخطرة، وكأنّه كُشف له الغطاء ليقرأ المستقبل وما سوف يأتي به من أحداث.

خطابه الإعلامي

إنّ من أهمّ الاستراتيجيات الإعلامية لخطاب الشيخ الوائلي هو نبذه للخلافات والفرقة، فقد اقترح على وسائل الإعلام بأن تتّبع العديد من السياسات في هذا الشأن، حيث يقول: «**ينبغي على وسائل الإعلام أن لا تقبل أيّ كلمة أو مقال من إنسان لا يتمتّع بثقافة واسعة سوى بضعة أحاديث يحفظها، وبدون أن يكون مستوفياً للشروط، ولا بدّ أن تكون عاملاً مساعداً على لمّ الشمل وليس التفرقة، وأن تفتح أبواباً دائمةً وليس في المناسبات فقط**»[2].

«**ويحذر الشيخ من أن يقود الاختلاف العلمي إلى النزاع، إذ يقول: النزاع يأتي من**

(١) قرص ليزري(CD) من خطب الوائلي، القرص الثاني، فايل رقم٤، ملف رقم٩.

(٢) السعدي، قاسم حسين، الخطاب الإعلامي للشيخ الدكتور أحمد الوائلي (دراسة مستقبلية تحليلية)، مجلّة العلوم الإنسانية، كلية التربية ـ صفي الدين الحلّي: ص١٣٢.

الغلّ والحسد والحقد والمصالح والنفوس اللئيمة، أمّا النظرة العلمية فلا تتسبّب في ذلك، وعلينا أن نفهم المسائل العلمية بروح العلم والفقه، فالعلم لا يؤدّي إلى النزاع، فلنأخذ مثلاً، فلو أنّ أحداً يُشمّ من فمه رائحة الخمر، ولم يعترف بشربها، هل يقام عليه الحد أو لا؟ اختلف الفقهاء هنا، فأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل يقولون: لا يُقام عليه الحد. في حين مالك يرى أنّه يُقام عليه الحد، فهل ترى في مثل هذا الاختلاف بين هؤلاء الفقهاء موجباً للنزاع وتهريج بعضهم على بعض»[1].

ومن مؤشّرات هذا المنهج الإعلامي الناجح في الاعتدال والدعوة إلى الحوار، أنّ بعض السلفيين والشخصيات المتنفّذة في بعض المؤسسات الدينية في السعودية كانوا يحرصون على الاستماع لمحاضرة الشيخ الوائلي، التي تُبث عبر إذاعة إيران، وكانوا يشيدون بمنهجيّته واعتداله وسعة أُفقه الثقافي[2].

ولا بدّ من ذكر ما نقله أحد الثقات في هذا الإطار، قائلاً: «**في إحدى سفرات الشيخ الوائلي جلس جنب مقعده في الطائرة شخصٌ وهابيٌّ متعصّب، وبعد إقلاع الطائرة في الجو جاءت المضيفة تقدّم لضيوف الطائرة شيئاً من المرطّبات، فقال لها الوهابي باللغة الإنجليزية: اعطِ هذا الكلب. فلم يتكلّم الشيخ الوائلي وبقي صامتاً، ومرة أُخرى عادت المضيفة لتوزّع شيئاً من الحلوى، فقال لها الشيخ وباللغة الإنجليزية: أرجو أن تُعطي هذا الرجل النبيل أوّلاً، لأنّ على وجهه سمات الخلق والكرم والإيمان والأريحية. فاندهش الرجل لقول الشيخ الوائلي! وأحسّ بخطئه وسوء أدبه، فقال للشيخ: لماذا وصفتني بهذه الخصال الطيبة وأنا أصفك بهذا الوصف القبيح (الكلب)؟ فقال له الشيخ: إن ديني ومعتقدي يحتّمان عليّ التحدّث بهذا الخلق، وقد أدّبنا علي عليه السلام بأحسن الخلق. فأنا أنبع من خلقي وديني وأنت ينبع قولك من دينك وخلقك. ومن خلال هذا السجال القصير**

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: الطريحي، محمد سعيد، أمير المنبر الحسيني.. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي: ص١٩٩.

والحوار المعبّر اهتدى هذا الرجل بهذه الكلمات الصادقة والهادفة، الدالّة على عمق التأثّر والتأثير بالخصال الإسلامية التي يحملها هذا الرجل المتواضع»[1]. والتي استقاها من فتى الإسلام الأوّل علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن كلام الإمام عليه السلام **«وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيّام حربهم بصفّين: إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدِهم من ضلالتهم؛ حتّى يعرف الحقّ مَن جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان مَن لهج به»**[2].

فهنا يطالب الإمام عليه السلام أتباعه المجاهدين بتحكيم العقل والحكمة في صراعهم مع العدو، وأنّ الأولوية لأُسلوب الوصف والكشف عن أحوالهم وأعمالهم، وبذلك سيمتلكون العذر الواضح لقتالهم. كما طالبهم بالدعاء لحقن دماء الطرفين، والإصلاح والهدى لذوي الضلالة من الجاهلين والأعداء.

نعم، بهذه القيم الأخلاقية الرفيعة يربّي الإمام أصحابه على آداب الاختلاف والصراع حتّى في أيّام الحرب والقتال.

الجرأة والشجاعة في مواقفه رحمه الله

ولا بأس هنا بذكر بعض المواقف الجريئة والشجاعة التي أقدم عليها رحمه الله لمواجهة السلطة آنذاك، ومن تلك المواقف جرأته وشجاعته في نقد أعلى سلطة في الدولة آنذاك وهو رئيس الوزراء، وذلك حينما أحسّ بتقريب عبد الكريم قاسم للشيوعين بعد سقوط النظام الملكي عام (١٩٥٨م) واستغلالهم ذلك، فقاموا بحملة تخريب

(١) الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١١١ ـ ١١٢.

(٢) نهج البلاغة: ج٢، ص١٨٦ ـ ١٨٧. باب الخطب، رقم٢٠٦. الارعواء: النزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ. لهج به: أولع به.

في الجوانب الفكرية والتربوية، ورغم دفاعهم عن الرئيس ومهاجمتهم كلّ مَن ينتقد الحكم، إلّا أن الشيخ لم يتوانَ في أداء رسالته بخطب وقصائد مدوّية تسجل هذا الواقع المرير من تاريخ العراق[1].

ومثل هذا الموقف اتّخذه الشيخ من حكم الأخوين عبد السلام وعبد الرحمن عارف اللذين عُرفا بالطائفية المقيتة، معبراً عن امتعاضه بقصيدته الخالدة التي قرأها في مهرجان الأُدباء والمفكّرين العرب في ستينيات القرن الماضي، والتي قال في مطلعها:

بغـداد يومـك لايزال كأمسـه ... صـور على طرفي نقيضٍ تجمع[2]

الى أن قال:

ومشـت تُصنّفنـا يدٌ مسـمومةٌ ... متسـنِّنٌ هـذا وذا متشـيِّع
يا قاصـدي قتل الأُخـوّة غيلةً ... لمّـوا الشِّـباك فطيرنـا لا يُخـدع
رس الإخـاءَ كتابُنـا ونبيُّنـا ... فامتدّ واشتبكت عليه الأذرع[3]

وكان من حرص الشيخ على نشر الإسلام بقوّة مقابل المد الشيوعي الجارف في المجتمع آنذاك، إسهامه في إنشاء (حركة جماعة العلماء) في النجف الأشرف، فكان محاججاً ومخاصماً لا تأخذه في الوقوف بوجه الفساد والظلم لومة لائم، حتّى تعرّض لمحاولة اغتيال في البصرة؛ لأنه كان يُثير الناس ويحرّضهم على الثورة وعدم السكوت[4].

كما كان﵀ يطعّم خطابته بشيءٍ من شعره؛ باعتبار أنّ الكلمة المقفاة الموزونة لا سيّما إذا كانت مسؤولة، تأخذ مداها في نفس السامع، مثبتاً أنّه لا يتهيّب من قول كلمة الحقّ أمام أصحاب القرارات المخالفة للتعاليم الإسلامية، مستلهماً ما كان

(١) أُنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٢٦.
(٢) الوائلي، أحمد، ديوان الوائلي: ص٣٣٠.
(٣) المصدر السابق: ص٣٣٣.
(٤) أُنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص ١٢٧ـ١٢٨.

يؤكّده أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه لأصحاب القيم والمبادئ، الذين لا يخافون الطغاة كالأنبياء والرسل، بقوله: «**عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم**»(١).

وعندما جاء البعثيون للحكم ساءت الأحوال في عهدهم كما توقّع الشيخ، واشتدّت النعرات الطائفية التي ظلّ محارباً لها طوال حياته، داعياً لمقاومة الوضع وعدم التخاذل، قائلاً فيهم:

فيا باعثيها نعرةً جاهلية (محمدٌ) واراها التّراب تورّعوا(٢)

وبهذه الروح الجهادية يؤكّد الشيخ الوائلي عُمق انتمائه لمدرسة الإمام علي عليه السلام في التربية الجهادية على قول الحقّ ونقد الباطل، وهو المبدأ الذي استُشهد أبو الأحرار من أجل ترسيخه في النفوس. تلك التربية التي جعلت معاوية بن أبي سفيان يُخاطب أهل العراق بعد أن حاججوه بالبراهين، فقال ممتعضاً: «**هيهات هيهات، لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطيئاً ما تُفطمون**»(٣) (٤).

وكان من ثمار تلك التربية خطابته الحسينية التي وظّفها الشيخ الوائلي لخدمة المجتمع، والتي وجدت تأثيرها في الأجيال اللاحقة، بظهور نخبة من الشباب الذين كانوا مظهراً من مظاهر التربية المنبرية، كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد المهدي الكربلائي في وصفه لعميد المنبر الحسيني الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله: «**فهو شخصيةٌ عظيمة لعبت دوراً كبيراً في خدمة المنبر الحسيني، الذي يُعدّ ركيزةً أساسيةً في حفظ الدين الإسلامي وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، وما تضحيات الأبطال اليوم في ساحات القتال إلّا نتاج هذا المنبر المبارك الذي خدمته هذه الشخصية**»(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ج٢، ص١٦١، باب الخطب، رقم١٩٣.

(٢) الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٣٠.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص٣٢٦.

(٤) أُنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص١٣٢.

(٥) مصوّر من كربلاء ـ إحياء ذكرى رحيل عميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (طيب الله ثراه): www.alhikmeh.org.

الخاتمة

توصّلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

١ـ إنّ أوّل ما يجب توافره في الخطيب الحسيني هو الإخلاص الكامل لله تعالى في كلِّ شيء، في السرّ والعلَن، والصدق معه سبحانه ومع صاحب المنبر ومَن تسمى باسمه وإصلاح النيّة؛ فهذا ممّا يُوجب توفيق الخطيب في أداء مهمّته في التربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ـ ضرورة أن يبدأ الخطيب الحسيني بوعظ نفسه أوّلاً قبل وعظه الناس؛ كي تكون خطاباته مؤثّرة في سلوك جمهور المستمعين، والحذر من الكذب والمبالغات غير المتناسبة مع المستوى العقلي والذهني لهم في سرد أحداث التاريخ وقصصه.

٣ـ أن يعيَ الخطيب الحسيني الجاد وظيفته ودوره الكبير في المجتمع، بوصفه لسان العالم الناطق، والنافذة الواسعة التي يطلّ منها الناس على أُمور دينهم ودنياهم، وما يترتب على ذلك من ضرورة التجديد في الأُسلوب وطرح ما تحتاجه الأُمّة من قضايا في حاضرها، وتحصينها ممّا يخاف عليها في مستقبلها.

٤ـ على الخطباء أن يُعيدوا الثقة المفقودة بالمنبر الحسيني بوصفه مدرسة الأجيال المتنقّلة التي يتعرف الشاب من خلالها على سيرة المعصومين عليهم السلام، وكيفية مواجهتهم للمصاعب والتحدّيات في ظلّ حرب شعواء مستمرّة تشنّ عليهم في كلّ زمانٍ ومكان.

٥ـ إنّ مسؤولية الخُطباء والواعين من الأُمّة مسؤوليةٌ كبيرةٌ جدّاً، تتمحور حول إظهار الإسلام الحقيقي للعالم، وبيان ضرورته في إدارة الحياة؛ لما فيه من قيم العدالة والمساواة، واحترام الحقوق والواجبات، والتأكيد على الوحدة ونبذ الفرقة، وتوضيح أُسس التربية بالعودة الواعية إلى الأصالة الإسلامية، وهذه المسؤولية تتطلّب قدرةً فائقةً على التحلّي بالشجاعة الكافية لنفض الغبار عن تاريخنا الإسلامي الطويل،

وفضح النتوءات الشاذّة في التاريخ، التي شوهت صورة الإسلام، وأربكت حالة المسلمين بممارساتها الإرهابية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أمير المنابر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (أوّل دراسة علمية موضوعية شاملة عن الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي)، صادق جعفر الروازق، نشر ناظرين، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٤م.

٢ـ أمير المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، محمد سعيد الطريحي، الطبعة الأُولى، مكتبة كرار السعدي، النجف الأشرف، العراق، (د.ت).

٣ـ تجاربي مع المنبر، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٣٧٨هـ ش.

٤ـ ديوان الوائلي، الشيخ أحمد الوائلي، مؤسّسة البلاغ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠١١م.

٥ـ شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبدة، إصدار دار كرم بدمشق للطباعة والنشر (د.ت) (د.ط).

٦ـ المدخل إلى علوم نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي، دار العلوم، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م.

٧ـ معجم الخطباء، السيّد داخل السيّد حسن.

٨ـ نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، الهجرة للطباعة، قم المقدسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٩ـ ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأُسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

المجلات والمواقع الإلكترونية

١ـ الخطاب الإعلامي للشيخ الدكتور أحمد الوائلي.. دراسة مستقبلية تحليلية، م.م. قاسم حسين السعدي، جامعة بابل، مجلّة العلوم الإنسانية/ كلية التربية ـ صفي الدين الحلّي: www.iasj.net.

٢ـ خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ قراءة في الفكر التربوي، علي تركي شاكر الفتلاوي، كلية التربية ـ جامعة كربلاء: AseelALsultan@gmail.com.

٣ـ مصور من كربلاء ـ إحياء ذكرى رحيل عميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي(طيب الله ثراه): www.alhikmeh.org.

٤ـ مستوى التوظيف الديني والأدبي في مجالس الشيخ أحمد الوائلي (سيرة المعصومين من آل محمد عليهم السلام أُنموذجاً)، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي، هادي سعدون هنون، مجلّة اللغة العربية وآدابها: www.uokufa.edu.iq.

٥ـ الشيخ الدكتور أحمد الوائلي عميد المنبر الحسيني، عبد الإله الصائغ: www.alnoor.se/articte.asp?id=1537.

٦ـ وصايا المرجعية الدينية العليا لخطباء المنبر لعام ١٤٤٠ للهجرة ..الأمر الثالث: www.sistani.org.

٧ـ عالمية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفكره النير، محمد عبد علي حسين القزاز، جامعة الكوفة ـ مركز دراسات الكوفة: www.erfan.ir/Arabic.

٨ـ من تجارب محمد جواد مغنية، مجلّة الموسم، ١٩٨٩م.

٩ـ الأقراص الليزرية

١ـ قرص ليزري (CD) من خطب الوائلي، القرص الأوّل، والقرص الثاني.

ضوابط الخطابة ومقوّماتها في ضوء النصوص الشرعية

د. الشيخ علي العبادي*

مقدّمة

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[1].

استحوذ فنّ الخطابة على اهتمام الناس منذ القدم؛ إذ سجّل لنا التاريخ أنّ الخطابة نشأت قبل الإسلام، فكان الناس في الجاهلية يجتمعون في سوق عكاظ، ويتبارى الوعّاظ والشعراء في إلقاء ما عندهم من شعر ونثر.

وتتضاعف أهمّية الخطابة في كونها فنّ مخاطبة الناس وإقناعهم وجذبهم وترغيبهم، بطريقة مؤثرة تتناسب مع عقليتهم وثقافتهم، وتتفق مع أعمارهم ولهجاتهم، فتحرّك عزائمهم وتستثير وجدانهم.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نعرف عناية القرآن الكريم بالخطابة واهتمامه بها؛ لكونها ذات صلة وثيقة بالرسالات والدعاة، وقد تحدّث القرآن الكريم في مواضع متعدّدة عن الخطابة، فعلى سبيل المثال يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2]، أي: «**البيان الذي يصحبه الإقناع ويثمر الاستجابة**»[3].

كما أشار القرآن الكريم إلى أهمّية الخطابة عند ذكر قصة موسى وهارون، بقوله

---

* أستاذ في الحوزة العلمية، من العراق.

(١) ص: آية ٢٠.

(٢) إبراهيم: آية ٤.

(٣) عطية محمد سالم، أُصول الخطابة والإنشاء، على الموقع: https://www.alukah.net/sharia/0/3824/.

تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[1]. وهذه الآية فيها دلالة على أنّ موسى عليه السلام لديه فصاحة ولكن فصاحة أخيه أزيد من فصاحته، فكانت الفصاحة من العوامل المهمّة في ترشيحه للرسالة، وشدّ عضد أخيه[2].

وقد اهتمّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالخطابة، فخطب في أهل مكّة ودعاهم إلى الإسلام حين أمره الله تعالى أن يصدح بالدعوة، وكان صلى الله عليه وآله آية في الفصاحة والبلاغة.

وهذه العناية بالخطابة نلمسها في أحد أوجه الإعجاز، وهو الفصاحة والبلاغة، اللتان تحدّى بهما القرآن العربَ الفصحاء في عقر دارهم، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3].

وللخطابة أثر بالغ في الدفاع عن الإسلام، وفي قتال الأعداء، فكان لكلمات النبي صلى الله عليه وآله الأثر الأقوى في نفوس المسلمين، وكان صلى الله عليه وآله إذا أراد بيان أمر ما، ارتقى المنبر وخطب في الناس.

وفي غضون واقعنا المعاصر نجد أنّ الإسلام في أمسّ الحاجة إلى دعاة خطباء بلغاء، يعتنون بالخطابة عناية فائقة؛ للدفاع عن الإسلام ودرء الشبهات ومعالجتها.

تُبحث الخطابة في علوم مختلفة ومتنوعة، فنجد أنّها تدخل في علم الفقه كما في صلاة الجمعة والعيدين، فيُبحث عن شرائط الخطبة وأركانها، وكذلك تدخل الخطابة في علم الاجتماع من جهة تأثير الخطبة في المجتمع، وكيفية بثّ روح الحماس

(١) القصص: آية٨٤.
(٢) أُنظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج٢٠، ص٧٧.
(٣) الزمر: آية٢٣.

فيه كما في الخطب التي تحثّ وتحفّز الناس على الجهاد، وكذلك تُبحث الخطابة في علم النفس من زاوية تأثير الخطيب في نفوس الجمهور، وتدخل أيضاً في علم السياسة، كما لا يخفى دخولها في علم المنطق واعتبارها فنّاً من الفنون وصناعة من الصناعات، فيبحث المناطقة عن قواعد وأُصول الخطابة وأركانها. وغير ذلك من العلوم التي يكون للخطابة دورٌ مهمّ فيها.

ومن هنا تتضح أهمّية دراسة فنّ الخطابة وآدابها وقواعدها؛ لذا لا بدّ للخطيب أن يكون على دراية تامّة بهذا الفنّ، وأن يُتقنه بالشكل الصحيح.

وقد جاءت هذه المقالة مستضيئة بالنصوص الشرعية لبيان المعالم المهمّة والأساسية في الخطابة، والأُسس والخطوات المهمّة التي ينبغي للخطيب أن يقف عليها، وقد تضمّنت أربعة محاور أساسية، كُرّس الأول للبحث في تعريف الخطابة وأقسامها، أمّا المحور الثاني فتناول البحث في محتوى الخطبة من حيث المقدّمة والموضوع، بينما تناول المبحث الثالث كيفية إعداد موضوع الخطابة. وأمّا المحور الرابع، فتضمّن ملاحظات عامّة حول الخطبة والخطيب.

المحور الأول: تعريف الخطابة وأقسامها

الخطابة (بفتح الخاء): مصدر على وزن (فعالة) بفتح الفاء، فيقال: «**خَطُبَ (بالضم)، خَطابَةً (بالفتح): صار خَطِيباً**»[1]، وأصل الخطابة الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه، يخاطبه، خطاباً[2]، «**وخطب الخاطب على المنبر، واختطب: يخطب خطابة... ورجل خطيب: حسن الخُطبة، وجمع الخطيب: خُطباء**»[3].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٣٦١.
(٢) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص١٩٨.
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٣٦١.

وأمّا اصطلاحاً فقد عُرّفت الخطابة بتعاريف عدّة أبرزها ما يلي:

١ـ قال أرسطو (ت٣٢٢ ق.م): «**الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أيّ موضوع كان**»[١].

٢ـ قال محمد أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ): «**صفة راسخة في نفس المتكلّم يقتدر بها على التصرّف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم**»[٢].

وذكر أبو زهرة أنّ تعريف أرسطو يظهر فيه المنطق واضحاً وضوحاً تاماً؛ لذلك تراه يتحدّث عن حدّ التعريف والرسم والدليل، وكيفية تكوّن القياس الخطابي، وكل ما يُعدّ من المنطق، وأكّد أبو زهرة على الصلة الوثيقة بين علمي الخطابة والمنطق، من حيث إنّ المنطق خادماً لها، فالكثير من قوانين الخطابة تعتمد على المنطق في مبادئه[٣].

ويبدو أنّ أشمل تعريف للخطابة هو: «**فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية، تشتمل على الإقناع والاستمالة**»[٤]؛ لأنّه أكّد فيه ثلاثة أُمور مهمّة في الخطابة لتحقّق معناها، وهذه الأُمور هي:

أوّلاً: وجود جمهور من الناس.

ثانياً: التأكيد على أن يكون الأُسلوب الخطابي إلقائياً، ممّا يستدعي جهارة الصوت، وتجسيم المعاني التي تتضمّنها الخطبة، وإظهار التأثر بها، مع مراعاة الإشارات الملائمة، سواء كانت باليد أم بتقليص وانقباض عضلات الوجه ونحو ذلك؛ ليُثير السامع ويجذب مشاعره؛ ليتحقّق الأمر الثالث.

(١) طاليس، أرسطو، الخطابة: ص٢٩.
(٢) أبو زهرة، محمد، الخطابة أُصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: ص١٩.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٢.
(٤) شلبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب: ص١٥.

ثالثاً: الإقناع من خلال الاستدلال والبرهنة على صحة ما جاء به في حديثه، فيستميل السامعين ويجذب عواطفهم لما تدعو إليه الخطبة[1].

الأمر الثاني: أقسام الخطابة

تنقسم الخطابة على أقسام متعددة، منها:

أولاً: الخطابة الحماسيّة، وغايتها التحريض على القتال، وإثارة روح البسالة والإقدام، وتُلقى عادةً في ميادين القتال وسوح الوغى.

ثانياً: الخطابة السياسية، وغايتها تعريف الناس بحقوقهم السياسية والاجتماعية.

ثالثاً: الخطابة القضائية، ويُقصَد منها استدرار الشفقة والرأفة، كتلك التي يُلقيها ـ أحياناً ـ المحامون في المرافعات القضائية لاستدرار شفقة القضاة على المتّهمين؛ إمّا تخفيفاً من شدّة العقوبات الصادرة في حقّهم، أو تقليلاً من أهميّة الجرم وإثارة عواطف الرحمة.

رابعاً: الخطبة الدينية والأخلاقية، والغاية منها التعريف بالمفاهيم الدينية، وإثارة المشاعر الفطرية للناس[2].

المحور الثاني: محتوى الخطبة

تتكون الخطبة من أمرين، هما: المقدّمة والموضوع، وتفصيلهما كالآتي:

الأمر الأول: المقدّمة

فالبحث فيها من خلال النقاط الآتية:

النقطة الأُولى: في بيان وظيفة المقدّمة

إنّ وظيفة المقدّمة هي تهيئة الأذهان لموضوع الخطبة؛ لكي يستوعبه المستمع

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٥ـ١٦. وأيضاً: فاروق سعد، فنّ الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي: ص٢٨.

(٢) أُنظر: الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنة: هامش ص١٥٠.

بشكل أفضل، ومن هنا تنبثق أهمّية المقدّمة وضرورة تغطيتها ومناسبتها للموضوع، فلو جاء الخطيب بمقدّمة لا تُبيِّن موضوع الخطبة بشكل واضح، ولا تُفيد السامع شيئاً عن الموضوع، فلا يمكن أن تكون مقدّمة صحيحة ومناسبة للموضوع.

وكذلك ينبغي أن تربط المقدّمة بين الموضوع وحاجة المستمعين، وأن تتضمّن تلخيصاً موجزاً للنقاط الرئيسة في الموضوع، كما لا بدّ أن تكون جذّابة ومشوّقة إلى الموضوع.

النقطة الثانية: كمّية المقدّمة

ينبغي أن لا تتجاوز المقدّمة نسبة الخمسة بالمائة من الوقت المخصص للموضوع؛ لأنّ دور المقدّمة يتلخّص في التمهيد للدخول في صلب الموضوع، وعلى هذا الأساس ينبغي الابتعاد عن الإطناب فيها على حساب وقت الموضوع الأصلي، فإن أطال الخطيب في المقدّمة، فسيوحي إلى المستمع بأنّه قد نسي موضوع البحث، أو أهمله.

النقطة الثالثة: ضرورة المقدّمة وعدمها

لا ريب في أنّ ضرورة الإتيان بمقدّمة موضوع الخطبة وعدم ذلك، يعتمد على ظروف عدّة مرتبطة بخصوصيات الخطبة، وعلى هذا الأساس فقد تكون المقدّمة ضرورية أو ليست ضرورية، وقد يكون الإتيان بها منافياً للبلاغة أو أنّ ذكرها معيب ومخلّ بالموضوع؛ وعلى هذا يكون الإتيان بالمقدّمة أو عدمه على ثلاث صور:

الصورة الأُولى: ضرورة الإتيان بالمقدّمة لأجل توضيح موضوع البحث، ففي حالة كون المستمع لا يتوصل إلى هدف الخطبة بشكل جيّد، فحينئذٍ يكون ذكر المقدّمة ضرورياً، كما لو أنّ الخطيب أراد أن يتحدّث حول تكامل الإنسان الاختياري، فقرأ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[1]، وحينئذٍ عليه أن يمهّد لهذا الموضوع بمقدّمة، وهي: إنّ الإنسان له جنبتان، حيوانية

(١) الأنفال: آية ٢٤.

وإنسانية، ففي الجنبة الحيوانية لا يختلف عن بقيّة الحيوانات؛ إذ تبدأ حياتها بالجبر وتنتهي به، فالحشرة ـ مثلاً ـ تدبّ فيها الحياة وتنتهي، ولكن ذلك ليس بإرادتها، وكذلك الإنسان يخلقه الله تعالى فيعيش مدّة من الزمن، ثمّ تنتهي حياته من دون أن تكون له مدخلية في ذلك.

أمّا الجنبة الثانية، وهي الجنبة الإنسانية، فهي مرتبطة بإرادة الإنسان، فيستطيع أن يعيش إنساناً ويموت إنساناً، ويستطيع بإرادته أيضاً أن يصبح حيواناً ويعيش الحياة الحيوانية.

وبهذه المقدّمة يستطيع الخطيب إيضاح الحياة الإنسانية للمستمعين، وكيف أنّ الله تعالى حثّ الناس على الاستجابة لدعوته ودعوة رسوله بالآية المذكورة آنفاً.

الصورة الثانية: عدم ضرورة الإتيان بالمقدّمة، ولكن ذكرها لا يخلو من فائدة، من قبيل ما لو أراد الخطيب أن يتناول بحث الصوم، فمن الواضح أنّ بحث الصوم لا يستوجب ذكر مقدّمة، بل يمكنه الدخول في الموضوع مباشرةً، فيذكر بعض الروايات حول آثار وفوائد الصوم الدنيوية والأُخروية.

وكذلك يمكن أن يتناول بحث التقوى الوارد في الآية المتعلّقة بالصوم، من دون ذكر مقدّمة، فيأتي ببعض الروايات المتعلّقة بالتقوى ويستدل بها على أنّ الصوم هو أحد الطرق لتحصيل التقوى.

الصورة الثالثة: عدم ضرورة الإتيان بالمقدّمة، بل إنّ ذكرها مناف للبلاغة، من قبيل أن يطلب من الخطيب إلقاء كلمة قصيرة في موضوع ما، فالخطيب هنا لا يريد أن يتكلّم عن موضوع أو قضية خاصّة، فلا يحتاج إلى مقدّمة أو تمهيد، بل يمكنه أن يختار موضوعاً يتناسب مع حال المستمعين من دون حاجة إلى مقدّمة. إذاً؛ فالمقدّمة في هذه الصورة ليست ضرورية، بل إنّ ذكرها مناف للبلاغة.

وقد رُوي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه طلب من الإمام الحسن عليه السلام أن يُلقي خطبة، فقد قال له: «**قم فاخطب؛ لأسمع كلامك. فقام فقال: الحمد لله الذي مَن تكلّم**

سمع كلامه، ومَن سكت علم ما في نفسه، ومَن عاش فعليه رزقه، ومَن مات فإليه معاده. أمّا بعدُ، فإنّ القبور محلتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا. أنّ عليّاً بابٌ، مَن دخله كان مؤمناً، ومَن خرج عنه كان كافراً»[1].

فالإمام الحسن عليه السلام دخل في موضوع الخطبة من دون مقدّمة؛ لأنّ الخطبة قصيرة لا تحتاج إلى مقدّمة.

وبهذا يتّضح أنّ الإتيان بالمقدّمة أو عدم الإتيان بها، يدور مدار الظروف المحيطة بالخطيب، والأوضاع الخاصّة بالمجلس، وأنّ على الخطيب أن يلحظ تلك الظروف ويُشخّص ما إذا كان مجلس الخطبة يحتاج إلى مقدّمة أو لا، وهل الإتيان بها ضروري أو لا؟

الأمر الثاني: الموضوع

والمراد به المضمون الذي تتناوله الخطبة، ويشترط فيه شروط عدة، منها:

١ـ أن يكون الهدف من الموضوع واضحاً

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**فكّر ثمّ تكلّم؛ تسلم من الزلل**»[2]، وقال أيضاً: «**قدّر ثمّ اقطع، وفكّر ثمّ انطق، وتبيّن ثمّ اعمل**»[3].

يسجّل الإمام عليه السلام في هذين النصّين الشريفين ضرورة معرفة الخطيب بالأمر الذي يريد التحدّث عنه، وأن يكون الغرض والهدف من الحديث واضحاً عنده، فالخطيب كالخيّاط الذي بيده المقص، فلا بدّ أن يقدّر ويحدد المقياس المطلوب؛ لكي يكون القطع بقدر المطلوب.

لذا؛ على الخطيب أن يعرف على أي شيء يريد أن يحثّ الجمهور، وإلّا فلن يكون حديثه واضحاً بيّناً، ولا تترتب عليه الفائدة المرجوّة.

---

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص١٩٥.
(٢) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٣٥٩.
(٣) المصدر السابق: ص٣٧١.

ومن الواضح أنّ أروع ما يرشدنا إليه الحديث المذكور آنفاً، هو ضرورة أن يعرف الخطيب ماذا يريد أن يقول، وماذا سيورد من آيات وروايات وشواهد، ونحو ذلك، فإنّ كلّ ذلك يُعطيه الثقة بنفسه.

وفي ضوء ما سلف وتأسيساً عليه، ينبغي للخطيب أن لا يُصاب بالغرور حينما يجد نفسه قادراً على أن يتكلّم من دون توقف، فيتكلّم في كلّ ما يخطر بذهنه معتقداً أنّه فنّان ماهر وخطيب بارع، وقد غفل عن أنّ الخطبة التي لم يكن فيها الهدف واضحاً تكون خطبة جوفاء خالية من الفائدة.

يقول صاحب فنّ الخطابة: «**لا يستطيع الإنسان أن يشعر بالارتياح حين يواجه مستمعيه، إلّا بعد أن يفكّر ملياً ويُخطط حديثه، ويعرف ما الذي سيقوله؛ لأنّه إن لم يفعل ذلك سيكون كالأعمى الذي يقود أعمى... كتب (تيدي روزفلت) في مذكراته: انتُخبتُ إلى المجلس التشريعي... وقد وجدت نفسي أصغر رجل في المجلس... وجدت صعوبة بالغة في تعلّم الخطابة، وقد استفدت كثيراً من نصيحة رجل ريفي عجوز... والنصيحة هي: لا تتكلّم حتّى تتأكد أنّ لديك ما تقوله، واعرف عمّا ستتحدّث، ثمّ قله واجلس**»[1].

ولكي يكون الموضوع واضحاً ومحدداً لا بدّ أن يكون موضوعاً واحداً من البداية إلى النهاية، فإنّ الخطيب الناجح هو الذي يتسلسل في خطبته، ولا يخرج عن الموضوع إلّا بمقدار الضرورة، فلا يكون مثل الطير الذي ينتقل من غصن لآخر، بل الخطابة بمنزلة الموجود الحيّ الذي له رأس وصدر وأيدي وأرجل؛ وعليه ينبغي التناسب بين الأعضاء.

وإذا استلزم الأمر الخروج عن الموضوع، كما في بعض الحالات التي تستلزم الخروج عن البحث لتطعيم المجلس ببعض الإثارات، أو الشواهد الداعمة للموضوع، فلا

(١) كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص١٩ ـ ٢٠.

بدّ أن لا يؤثر ذلك في تسلسل البحث بالشكل الذي يؤدي إلى ضياعه وغيابه عن أذهان المستمعين.

٢ـ الترتيب والتسلسل والترابط المنطقي بين الأفكار

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحسن الكلام، ما زانه حسن النظام، وفَهِمَه الخاصّ والعامّ**»(١).

في هذا النص الشريف تحتشد الدلالات للتأكيد على أنّ عناصر الكلام والخطاب بمنزلة المواد الإنشائية من الطابوق والحديد والإسمنت وغيرها لبناء البيت، فكل عنصر يجب أن يوضع في الموضع المخصص له، وهكذا الحال بالنسبة إلى الخطبة، فيجب أن تأخذ عناصرها المواضع المناسبة المتناسقة، بل على الخطيب أن يهذّب كلامه، ويرتّبه بتنسيق خاصّ، وترتيب متجانس(٢).

وهنالك فوائد أُخرى للتنظيم والتسلسل في الحديث، يمكن استفادتها من حديث الإمام عليه السلام المذكور آنفاً، منها:

أ ـ إنّ «**نقص التنظيم يؤدي إلى عدم نجاح الحديث، حتّى إذا كانت الأفكار فعّالة، فقد يكون لدى المتحدّث موضوع شيّق وجمهور، ولكن تنقصه صياغة الحديث، فعندها سيفقد الحديث ترابطه؛ لأنّ هذا يشبه السقوط من على السلم بسبب عدم وجود درجة، وسيؤدي ذلك إلى تشتت الجمهور**»(٣).

ب ـ إنّ الحديث إذا كان منظماً متسلسلاً منطقياً، فإنّ هذا يساعد الجمهور على التركيز وعدم تشتت الانتباه، وسوف يجد الخطيب تجاوباً ملموساً من قِبل الجمهور.

ج ـ التنظيم والتسلسل المنطقي للخطبة يساعد الخطيب على التخلّص من الحشو الزائد.

---

(١) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٢٤.

(٢) أُنظر: فلسفي، محمد تقي، البيان وفنّ الخطابة: ص٢١٢.

(٣) مركز تدريب دمشق، فنّ التحدّث مع الآخرين: ص٥٥.

د ـ يساعد على اختيار أفضل المعلومات التي تدعم الحديث.

هـ ـ يساهم في كشف الفجوات والأخطاء الموجودة في الخطبة.

و ـ يسهّل عملية الأداء بصورة أفضل؛ لأنّ الخطيب يستطيع أن يتصوّر الأفكار الرئيسة المهمّة في ذهنه، فيما إذا كان حديثه منظّماً ومتسلسلاً بصورة صحيحة.

ز ـ يمكّن الخطيب من تعديل الخطبة لتتناسب مع المواقف والاحتياجات المختلفة، فيمكن أن يختصر حديثاً يستغرق ثلاثين دقيقة، أو أكثر في حديث يستغرق عشر دقائق أو أقل؛ وذلك من خلال حذف بعض النقاط الأقل أهمّية من الخطبة.

٣ـ الحذر من الترتيب المعقد

ينبغي للخطيب تجنّب الترتيب المعقّد لمسائل موضوعه، كأن يخطط ـ مثلاً ـ لمناقشة مسائل متعددة، ثمّ يناقش جزئيات كلّ مسألة وما ورد فيها من أقوال وردود، فهذه طريقة خاطئة تسبب ضعف الحديث والخطبة، فضلاً عن أنّها تسبب العناء والتعب للجمهور الذي يتكوّن من مختلف الطبقات، ففي هذه الحالة ينبغي للخطيب أن يحدد المسائل المهمّة، من قبيل تحديد ثلاث أو أربع أفكار رئيسة ليناقشها؛ ولذا ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحسن الكلام، ما لا تمجّه الآذان، ولا يُتعب فهمه الأفهام**»[1]، ومن الواضح أنّ الكلام الذي يفتقد للترتيب المنظّم مما تمجّه الآذان.

ونطوي هذه النقطة بقول صاحب كتاب (فنّ التحدّث)، الذي يُفصح عن عدد من الأساليب الأساسية التي تمّت تجربتها واتضح نجاحها، كما أنّها ليست مملّة بحسب قوله. وهذه الأساليب نستعرضها ضمن النقاط الآتية:

أ ـ الأُسلوب التسلسلي: بمعنى تقديم الأحداث وفق التسلسل الزماني.

ب ـ الأُسلوب التصنيفي: يأتي هذا الأُسلوب حينما لا يكون للموضوع تسلسل زماني، فيُقسّم الموضوع على شكل نقاط رئيسة.

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٢٩٠.

ج ـ **أُسلوب عرض المشكلة والحل**: وفي هذا الأُسلوب يقوم الخطيب بعرض المشكلة وأسبابها، ثمّ يُبيّن كيفية معالجتها، ومعظم الخطب التي تستحوذ على اهتمام الجمهور هي الخطب التي تُلقى بهذا الأُسلوب.

وهذا الأُسلوب يتألف من عرض المشكلة وبيان سلبياتها، فيتعرّف الجمهور على المشكلة وضرورة معالجتها، وبعد ذلك يتطرّق الخطيب إلى بيان الحلول الممكنة لها، وينبغي ألّا تشتمل الخطبة على قائمة من الحلول والتوصيات المفصّلة والمطوّلة، بل ينبغي اختصار تلك الحلول والتوصيات باستخدام أفضلها.

د ـ **أُسلوب المقارنة والتناقض**: وفي هذا الأُسلوب يقوم الخطيب بجعل المستمعين قادرين على تقديم خطط وأفكار أُخرى؛ وذلك من خلال شدّ انتباههم للاختلافات والتشابهات بين الأمرين المقارنين، مثلاً: يقارن بين رأيين أو ظاهرتين وغير ذلك[1].

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأُسلوب في مواضع عدّة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[2].

ولو انتقلنا إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام للمسنا التركيز نفسه على استعمال هذا الضرب من الخطاب، فعن الإمام الهادي عليه السلام في قوله للمتوكّل: «**لا تطلب الصفا ممّن كدرت عليه، ولا النصح ممّن صرفت سوء ظنّك إليه، فإنّما قلب غيرك لك كقلبك له**»[3].

وهذا النص الشريف يلتقي في الدلالة مع نص آخر ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، يقارن فيه بين الأيّام كما في قوله: «**مَن استوى يوماه فهو مغبون**»[4]، فالإمام عليه السلام أجرى مقارنة بين أيّام عمر الإنسان؛ لأنّ الدنيا للإنسان بمنزلة سوق للتجارة، وعمر

(١) أُنظر: مركز تدريب دمشق، فنّ التحدث مع الآخرين: ص٩٥. وأيضاً: فلسفي، محمد تقي، البيان وفنّ الخطابة: ص٩٠٢.

(٢) الرعد: آية١٦.

(٣) النمازي، علي، مستدرك سفينة النجاة: ج٨، ص٥٦٩.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص٣٤٢.

الإنسان بمنزلة رأس المال، والبضاعة التي يتاجر بها هي الإيمان والكفر، فعليه أن يستثمر عمره - الذي هو رأس ماله ـ في تجارة نافعة لن تبور، وأن يتزوّد من الفضائل ويبتعد عن البضاعة الرديئة، وهي هوى النفس[1].

٤ـ التدليل والاستشهاد على الأفكار والآراء

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّما المستحفظون لدين الله هم الذين أقاموا الدين ونصروه، وحاطوه من جميع جوانبه، وحفظوه على عباد الله ورعوه**»[3].

في هذه النصوص الشريفة وغيرها يلحظ التأكيد على ضرورة أن يكون المبلّغ لدين الله عالماً ومتسلطاً على ما يطرحه من أفكار ومفاهيم مرتبطة بالدين؛ ليُقنع بها الجمهور من خلال الأدلّة والبراهين.

ولا يخفى أنّ الخطبة تكون فاقدة لاهتمام الجمهور إذا لم تكن مدعومة بالأدلّة والشواهد والقصص والمصادر المشهورة، وغير ذلك ممّا يُساهم في جذب انتباه الجمهور.

ومن الجدير بالذكر أنّ على المبلغ مخاطبة عقول الجمهور ومشاعرهم، ولا يقتصر على مخاطبة العقول فقط؛ ولذا ينبغي له مراعاة ما يلي:

أـ تحديد الأفكار الرئيسة للخطبة، ثمّ دعم كلّ فكرة رئيسة بدليل عقلي، فيما لو كانت الفكرة التي يتحدّث عنها تحتاج إلى الأدلّة العقلية لإقناع الجمهور، كما لو كان بصدد الردّ على الماديين الذين ينكرون الخالق.

---

(١) أُنظر: فلسفي، محمد تقي، البيان وفنّ الخطابة: ص٢١٢.

(٢) التوبة: آية١٢٢.

(٣) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٧٩ـ١٨٠.

أمّا في القضايا التي لا تحتاج إلى أدلة عقلية، فلا بدّ أن يأتي بالأدلّة النقلية كالنصوص القرآنية والروائية لإقناع الجمهور، ويمكن استخدام الطريقين معاً.

ب ـ على الخطيب أن لا يكتفي ببيان الأدلّة العقلية فقط، بل عليه أن يعمل على ترغيب الجمهور بالفكرة التي يطرحها؛ ولهذا نجد أنّ النبيﷺ بدأ دعوته لإنقاذ الناس من الشرك بقوله: «**يا أيّها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا**»[1]. فهذا النص الروائي يفصح عن ضرورة، وهي أن تكون الخطبة مشفوعة بترغيب الجمهور بالفكرة المطروحة، وعدم الاقتصار على بيان دليلها فقط.

إن قيل: إنّ المهم هو إقناع الجمهور بالفكرة من خلال إقامة الأدلّة، فليس من الضروري إيجاد الرغبة لدى الجمهور بالفكرة التي يتحدّث عنها الخطيب.

والجواب: إنّ الإنسان يمكن أن يقتنع بالفكرة من خلال الأدلّة التي يطرحها الخطيب، لكنّه لا يستطيع العمل وفق ما تمليه الأدلّة والبراهين؛ وذلك لوجود الموانع كالأهواء والميول؛ ولذا يقول أمير المؤمنينعليه السلام: «**وكم من عقل أسير تحت هوى أمير**»[2]، فالإنسان يمكن أن يقتنع بالفكرة من خلال الأدلّة العقلية، لكن هوى النفس يمنع من الانصياع العملي للفكرة؛ لأنّ العقل أسير هوى النفس كما أشارعليه السلام إلى ذلك في الحديث المذكور آنفاً.

ج ـ استخدام القصص المؤثّرة؛ لأنّ القصة المؤثّرة أفضل من عرض كمّ هائل من الحقائق، وليس من الضروري أن تكون هذه القصص عجيبة ومدهشة، بل يمكن أن تكون من الحوادث المجتمعية المتعارفة، أو من الحوادث التي جرت مع شخص الخطيب، وغير ذلك. «**وعندما سُئل الشاعر أحمد شوقي: لماذا يكتب القصائد ذات الحكايات الخرافية؟ قال: لأنّ الأمثال وحدها بدون حكاية عبارة جافة سرعان ما**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٨، ص٢٠٢.
(٢) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٤٨.

تُنسى، كما أنّها لا تُثير الاهتمام، أمّا الحكاية فهي تستثير اهتمام الطفل لمتابعة حوادثها حتّى النهاية، وبالتالي لفهم العظة الأخلاقية التي هي هدف القصيدة ويقتنع بها»[1].

ومن الجدير بالالتفات أنّ أهمّية القصة لا يعني أن تكون الخطبة عبارة عن سلسلة من القصص، بل يجب استخدام القصة وكذلك أدوات الدعم الأُخرى في تأكيد النقاط الرئيسة للخطبة، وليس في كلّ موضوع.

ولأجل تأكيد الصلة بين القصة والموضوع، يجب التأكيد على أنّ القصة وغيرها من أدوات الدعم لا بدّ أن تكون مرتبطة بالهدف من الخطبة؛ لأنّه من السهل أن يأتي بقصة معيّنة، لكن لا ربط لها بهدف الخطبة، وعليه فإنّها تتسبب في حدوث تشتت أفكار الجمهور.

٥ـ ألّا يكون موضوع الخطبة طويلاً مملاً، ولا قصيراً مخلاً

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**آفة الكلام الإطالة**»[2]، وقال أيضاً عليه السلام: «**مَن أطال الحديث فيما لا ينبغي فقد عرّض نفسه للملامة**»[3].

لا يخفى أنّ أحد العناصر الأساسية للبلاغة، هو أن يكون الخطيب محيطاً بالموضوع، وأن لا يُطيل الكلام فيه؛ ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سُئل عن البلاغة، قوله: «**إنّما سُمي البليغ بليغاً؛ لأنّه يبلغ حاجته بأهون سعيه**»[4].

وبهذا يتضح أنّ إطالة الكلام في الخطبة له مردودات سلبية على الجمهور، لا سيّما أنّ الإطالة في الكلام فيما هو خارج عن موضوع البحث خلاف البلاغة؛ لذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**ثلاثة فيهن البلاغة: التقرب من معنى البُغية، والتبعّد من حشو الكلام، والدلالة بالقيل على الكثير**»[5].

---

(١) كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص١٤٢.
(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٨٥.
(٣) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣١٧.
(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، الفوائد الطوسية: ص١٨٢.
(٥) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣١٧.

والمراد من حشو الكلام كما عند بعض، هو أن يأتي بكلام خال من الفائدة، وذلك استهلاكاً واستنزافاً للوقت؛ ولذا نجد الإمام الحسين عليه السلام يحذّر من هذه الحالة، فيقول لابن عباس: «... **ولا تكلّمن فيما يعنيك حتّى ترى للكلام موضعاً**»[1].

فالإمام عليه السلام يحذّر من الكلام النافع فيما لو لم يكن له مناسبة، فضلاً عن تحذيره من الكلام غير النافع، من قبيل أن يذكر في حديثه بعض المشاهد التي رآها أثناء سفره، التي لا تعود على المستمعين بالنفع والفائدة، كأن يصف الأنهار، والجبال، وغابات الأشجار، ونحو ذلك.

ومن الأُمور التي ينبغي تجنّبها هو الخروج عن الموضوع لأدنى مناسبة، فإنّ هذا يؤدي إلى إطالة الخطبة، فضلاً عمّا يسببه من تشتت أذهان الجمهور.

وما دمنا في هذه النقطة لا بأس بالإشارة إلى إضمامة من الأحاديث الشريفة في هذا المجال، التي تؤكّد على عدم الإطالة في الخطبة، ومن هذه الأحاديث ما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**الكلام كالدواء، قليله نافع وكثيره قاتل**»[2]، وعنه عليه السلام: «... **واختصر من كلامك على ما استحسنته؛ فإنّه بك أجمل وعلى فضلك أدّل**»[3]، وعنه عليه السلام: «**إيّاك وكثرة الكلام؛ فإنّه يُكثر الزلل ويُورث الملل**»[4].

٦ـ الانتقال السلس بين فقرات الموضوع

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحسن الكلام، ما زانه حسن النظام، وفَهمه الخاصّ والعامّ**»[5].

يؤكّد الإمام عليه السلام في هذا الحديث الشريف على أنّ الكلام الحسن أو الأحسن هو

(١) أبو الفتح، محمد بن علي، كنز الفوائد: ص١٩٤.
(٢) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٦٧.
(٣) المصدر السابق: ص١٠٠.
(٤) المصدر السابق: ص٩٧.
(٥) المصدر السابق: ص١٢٤.

الذي يزينه حسن انتظامه، ومن الواضح أنّ من حسن انتظام الكلام هو أن يكون الانتقال بين فقرات الموضوع بشكل سلس، فكما أنّ الربط المنطقي بين فقرات الموضوع مهم جدّاً، كذلك الخروج بسلاسة من الفكرة والدخول في الفكرة التي تليها، فالخروج السلس من الفقرة السابقة بمنزلة علامة إرشادية للجمهور إلى الفكرة القادمة.

ويتحدّث صاحب كتاب (فنّ التحدّث) عن أنّ الأساليب الانتقالية من فكرة إلى أُخرى تعدّ من أكبر المشكلات التي يواجهها المتحدّثون[1].

لذا؛ يجب على المتحدّث أن يجعل من أُولى مهامه عمل قائمة بالأفكار التي يُريد أن يتحدّث عنها، فعلى سبيل المثال: (الوالدين ـ الأولاد ـ الأرض الخراجية ـ التربية).

ففي هذه الحالة يكون الحديث بين الفقرة الأُولى والثانية سهل الانتقال، لكن الانتقال منه إلى الأرض الخراجية فيه صعوبة واضحة، فإذا لم يجد طريقة للانتقال، فهذا يعني أنّ هناك خطأ في التنظيم، وقد تكون فقرة الأرض الخراجية لا ربط لها بالموضوع، فيجب حذفها وإعادة تنظيم الحديث بشكل أسهل للانتقال بين فقراته.

وإليك بعض هذه الأساليب الانتقالية من فقرة إلى أُخرى[2].

أـ كلمات الربط من قبيل أن يقول المتحدّث علاوةً على هذه النقطة توجد نقطة أُخرى، وهي... أو يقول: وفي نهاية هذه الفقرة ننتقل إلى فقرة أُخرى... أو يقول: لكي تتضح هذه النقطة نتحدّث عن كذا... أو يقول: يمكن تلخيص الموضوع بنقطة وهي... أو يقول: ومن ناحية أُخرى أنّ هناك... أو يقول: وهناك طريقة أفضل... ونحوها من العبارات التي تهيئ ذهن الجمهور للانتقال إلى الفقرة اللاحقة.

ب ـ الانتقال من خلال إعادة تلخيص النقطة السابقة، كأن يقول: وخلاصة النقطة الأُولى هي... أمّا الثانية فكذا.

(١) مركز تدريب دمشق، فنّ التحدّث مع الآخرين: ص٢٢.

(٢) اُنظر: المصدر السابق: ص٢٣.

ج ـ الانتقال من خلال الأسئلة، كأن يقول: بعد أن عرفنا ما هي التقوى فعلينا أن نعرف ما هي الطرق لتحصيلها.

د ـ إذا لم تكن الأفكار متعددة في الموضوع، فيمكن الانتقال من فقرة إلى أُخرى بسهولة، من قبيل القول: إنّ هناك ثلاثة أعمال لزيادة الرزق، ثمّ يتحدّث عنها واحدة تلو الأُخرى.

ولا يخفى أنّ الأساليب الانتقالية هي بمنزلة خيوط الربط بين فقرات الموضوع وأجزائه، وتساعد الجمهور على معرفة ما يريد المتحدّث.

٧. تجنّب الخوض فيما لا يعلم

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَن وقف عند قدره أكرمه الناس**»[١]، يؤكّد هذا النص الشريف ـ وما يشاركه في المضمون ذاته ـ على مسألة في غاية الأهمّية، وهي أنّ الخطيب يجب عليه البحث في الموضوع المسلّط عليه، الذي له وعي ودراية به، وأن يكون على دراية بمستواه العلمي بشكل واضح، لكي لا يكون مغروراً ومتخطياً لحدوده وصلاحيته العلمية.

وقد كانت هذه المسألة محطّ اهتمام أهل البيت عليهم السلام في وصاياهم لشيعتهم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**هلك امرؤ لم يعرف قدره**»[٢]، حيث تُشير هذه الوصايا إلى خطورة التكلّم بما لا علم له.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**للعالم إذا سُئل عن شيء وهو لا يعلمه، أن يقول: الله أعلم، وليس لغير العالم أن يقول ذلك**»[٣]، ففي هذا الرواية يحدد الملاك والضابطة في الحديث، وهي أنّ الإنسان حتّى لو كان قد درس شيئاً من العلوم، لكن عليه أن لا يتخطّى حدوده في المسائل التي لم يقف عليها،

(١) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٤٦٠.
(٢) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٣٨.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٤.

فالخطيب إذا تناول مسائل لا علم له بها، فسيكون ذلك أحد أسباب ضياع الهيبة والوقار وفقدان الثقة فيه والنفور منه؛ لذا يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

وهنالك عدد من الروايات تؤكّد على لزوم الوقوف عند حدّ العلم، منها: ما ورد عن زرارة، قال: «**سألت أبا جعفر عليه السلام: ما حقّ الله على العباد؟ قال: أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون**»[2].

«**والمراد: أنّ الحقيق بهذا الاسم الاقتصار على القول بما يعلمه، والوقوف عن القول بما لا يعلمه، كما في قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[3]، والقول في العلوم الدينية عند عدم العلم قول على الله بغير الحقّ؛ فإنّ القول دال على اعتقاد القائل وعِلمه بالمقول، وكلّ قول في العلوم الدينية قول على الله، فالقول فيها من غير العالم قول على الله بغير الحقّ من حيث عدم مطابقته لما عليه الأمر في نفسه، أو من حيث عدم معلوميّته له وإن طابق اتّفاقاً، فمن حقّ الله على العباد أن يقفوا عن القول عندما لا يعلمون، وأن يقتصروا على القول بالحقّ فيها**»[4].

وعن أبي بصير قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يرد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب ولا سنّة فننظر فيها؟ قال: لا، أما إنّك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله**»[5].

وقد تقدّم في نقطة سابقة ضرورة التدليل والاستشهاد على صحة الآراء المطروحة ممّا يدعم هذه النقطة أيضاً.

---

(١) الإسراء: آية٣٦.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٣.
(٣) الأعراف: آية١٠٥.
(٤) النائيني، محمد بن حيدر، الحاشية على أُصول الكافي: ص١٣٥ـ١٣٦.
(٥) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ص١٨١.

٨ـ أن لا يتكلّم بكل ما يسمع

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «... **ولا تحدّث الناس بكل ما سمعت، فكفى بذلك كذباً، ولا ترد على الناس كلّ ما حدّثوك به فكفى بذلك جهلاً**»(١).

يُشير هذا الحديث وما يشاركه في المضمون نفسه، إلى أنّ الخطيب يجب أن يتجنب التحدّث عن كلّ شيء يسمع؛ لأنّ مثل هذه المسموعات لا تخلو من الكذب، فعلى الخطيب أن يتأكّد من نقل المعلومة من مصادرها الصحيحة ولا يعتمد على سماعها من غيره.

وكذلك ينبغي على الخطيب أن يتجنب الحديث في الأُمور التي لا تصدّق بسهولة؛ لأنّ هذا يجعله عرضه للاتهام، وهذا ما يُشير إليه الإمام موسى الكاظم عليه السلام بقوله لهشام: «**يا هشام، إنّ العاقل لا يحدّث مَن يخاف تكذيبه**»(٢)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَن طال لسانه وحسن بيانه، فليترك التحدّث بغرائب ما سمع، فإنّ الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه**»(٣)، بمعنى أنّ واحدة من السبل التي يستخدمها الحسّاد لضرب الخطيب البارع، هو ما ينقله من غرائب المسموعات التي عادةً ما يكذّبها الناس.

ومن هنا يتضح أنّه لا بدّ للخطيب أن يتحدّث مع الجهور بما يعرفون؛ لذا ينبغي الحذر من خوض الخطيب في دقائق العلوم والمعارف والخلافات والعلوم التجريبية البحتة، ممّا لا تدركه أفهام عموم المستمعين؛ الأمر الذي يكون له الأثر الكبير في الانصراف عن الخطيب أو الاستهانة به وبموضوعه.

---

(١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص١٢٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٠.

(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٣٣٦.

٩ـ ملاءمة موضوع الخطبة لاحتياج الجمهور

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**كن كالطبيب الرفيق الذي يدع الدواء بحيث ينفع**»(١).

يُشير الحديث المبارك ـ بعمومه ـ إلى نقطة أساسية في الخطبة، وهي أن يقع مضمونها ضمن اهتمام الجمهور واحتياجاته، فإنّ تشبيه الإمام عليه السلام المتكلم بالطبيب، يُشير إلى أنّ الخطيب ينبغي له أن يشخّص حاجة الجمهور؛ لكي يكون كلامه نافعاً، كالدواء إذا وضِع في موضعه الصحيح.

إذاً؛ من النقاط الأساسية التي تساهم في كسب الجمهور، هي التحدّث بالأُمور التي يهتمّ بها الناس، فإذا كان الحديث يتناسب مع احتياجاتهم فهم يضطرون إلى الانصات والاستماع إليه، وهذا ما يؤكّده الإمام علي عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله، فقد قال: «**طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وآذان صمّ، وألسنة بُكم، مُتتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة**»(٢).

١٠ـ مراعاة عادات الناس وأعرافهم

لكل مقام مقال، ولكل جماعة أو قوم لسان، ومن الواضح أنّ الحديث المتوجّه إلى الفقراء ليس كالحديث المتوجّه إلى الأغنياء، وحديث العامّة يختلف عن حديث الخاصّة، والخطاب الموجّه إلى المثقفين ليس كالخطاب الموجّه إلى الأُميين، والخطاب في حالة الخوف والشدّة غير الخطاب في حالة الأمن والرخاء، والحديث مع المتحمّسين يختلف عن الحديث مع غير المتحمّسين، والخطيب الجيّد هو الذي يعرف مستوى السامعين وأحوالهم؛ لذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تتكلّمنّ إذا لم تجد للكلام موقعاً**»(٣).

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص٥٣.

(٢) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٠٧.

(٣) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٥٢٢.

وكذلك لكل جماعة من الناس بعض الأعراف والعادات التي تسودها وتحكمها وتسيطر عليها، ولهذه العادات سلطان وسيطرة على القلوب، وعلى هذا الأساس فإنّ غفلة الخطيب عن مراعاة ذلك من أعظم أسباب فشله.

وقيل للأحنف بن قيس ـ وهو من أبلغ البلغاء والخطباء ـ: « **بِمَ سدت قومك أنت ولست بأتمهم ولا أشرفهم؟ فقال: إنّي لا أتناول ـ أو قال: لا أتكلف ـ ما كفيت، ولا أضيع ما وليت، ولو أنّ الناس كرهوا شرب الماء ما طعمته**»[1]، وهذا يعني ضرورة الاهتمام بالأعراف والعادات.

المحور الثالث: كيفية إعداد موضوع الخطابة

وتتضح كيفية إعداد الموضوع من خلال اتّباع الخطوات الآتية:

الخطوة الأُولى: تحديد موضوع الخطبة

قيل للإمام الصادق عليه السلام: ما البلاغة؟ فقال عليه السلام: «**مَن عرف شيئاً قلّ كلامه فيه، وإنّما سُمّيَ البليغ؛ لأنّه يبلغ حاجته بأهون سعيه**»[2].

أشار الإمام عليه السلام في فقرة «**مَن عرف شيئاً**» إلى أنّ مَن عرف وحدّد الموضوع الذي يتكلّم فيه، فحينئذٍ يقلّ كلامه، ويكون كلامه مطابقاً للبلاغة، ومن هنا تتضح ضرورة تحديد الخطيب للموضوع الذي يريد التحدّث عنه في خطبته، ومن الواضح أنّ الأفضل للخطيب أن يحدّد موضوع الخطبة قبل إلقائها بعدّة أيّام؛ لكي يتسنى له التفكير به مراراً، فالخطيب الجيّد هو الذي يجعل موضوعه محطّ اهتمامه في ذهابه ومجيئه، وأثناء تناوله الطعام، وفي طريقه إلى بيته، ويناقشه مع أصدقائه، ويسأل نفسه الأسئلة الممكنة التي ترتبط بالموضوع، فلو كنت تريد أن تتحدّث عن الطلاق، فسلْ

(١) البيهقي، أحمد، شعب الإيمان: ج٥، ص٣٢٣.
(٢) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣٥٩.

نفسك: ما أسباب الطلاق؟ وما آثاره السلبية؟[1] وهل يمكن علاج هذه الظاهرة، أو على الأقل التقليل منها؟ ونحوها من الأسئلة.

الخطوة الثانية: جمع المعلومات الكافية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ لابن مسعود ـ: «**يابن مسعود، لا تتكلّم بالعلم إلّا بشيء سمعته ورأيته؛ فإنّ الله تعالى يقول:** ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾»[2].

ينبغي للخطيب أن يجمع معلومات كافية حول الموضوع، وألّا يكون مصداقاً للذين يتكلّمون بغير علم، الأمر الذي نُهي عنه في الكتاب والسنّة كما في الحديث المتقدّم وغيره من الأحاديث المتضافرة[3].

ولا يخفى أنّ عملية البحث والإحاطة بالموضوع في الوقت الحاضر أصحبت يسيرة جدّاً، ويمكن الوصول إلى المعلومة بسهولة؛ وذلك من خلال شبكة الأنترنت أو المكتبات العامّة.

وعلى الخطيب أن يجمع الأفكار المرتبطة بالموضوع، ثمّ ينتقي المعلومات المناسبة لموضوعه وللجمهور، ويحذف الحقائق غير المرتبطة بالموضوع وإن كانت حقائق مهمّة؛ وذلك لأنّ مهمّته ليست التوسّع والإسهاب، بل بيان ما يرتبط بالموضوع.

ومن الواضح أنّ عملية البحث تزوّد الباحث بمعلومات احتياطية يمكن استخدامها في مواضيع أُخرى فضلاً عمّا يكتسبه من خبرة عن الموضوع؛ ولذا يقال: إنّ النحلة تمتصّ مليون زهرة حتّى تعطينا مائة غرام من العسل.

ومن الجدير بالذكر أنّه يجب أن تكون المعلومات حول الموضوع صحيحة ومن

(١) أُنظر: كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة، ص٣٤.
(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص٤٥٥.
(٣) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٥٢٢.

مصادر موثّقة، وعلى الخطيب أن يترك الأفكار التي لا تتناسب مع الموضوع، وكذلك عليه إعادة صياغة الأفكار الصعبة مشفوعة ببعض التعليقات والتوضيحات.

ينقل صاحب كتاب فنّ الخطابة تجربة بعض الخطباء الغرب المشهورين، حينما سئل كيف حضّر خطبته التي جعلته مشهوراً عبر التاريخ؟ «**قال مجيباً عن هذا السؤال: ليس لدي أيّ سرٍّ، حين أختار موضوعاً أكتب اسمه على مغلف كبير، فإذا وجدت أثناء القراءة شيئاً جيّداً حول الموضوع الذي سأتحدث عنه، أنقله إلى المغلف الصحيح وأضعه جانباً، ودائماً أحمل معي دفتر ملاحظات، أسجلها، ثمّ أنقلها إلى المغلف، وربما تركته جانباً لمدّة سنة أو أكثر، وحين أريد أن ألقي خطبة، أتناول ما أكون قد جمعته، فأجد مادةً كافيةً ممّا أجده هناك إضافة إلى أُسلوبي الخاصّ**»[1].

ومن الأُمور المهمّة التي ينبغي الالتفات إليها، هو أنّ التحضير الجيّد والصحيح لا يعني جمع بعض الأفكار والمعلومات فقط، بل ـ مضافاً إلى جمع المعلومات ـ لا بدّ من التفكير والاستنتاج والتذكر واختيار المفيد، وجمعه وصقله وصياغته صياغة فنية جميلة[2].

ولاشك في أنّ هذا العمل يحتاج إلى التركيز والتفكير الهادف، فيجب كتابة الأفكار والمعلومات حول الموضوع، ثمّ القيام بعملية فكرية، وهذه العملية الفكرية هي الوسيلة التي تدفع العقل للنمو لكي يصبح قوة منتجة.

الخطوة الثالثة: عمل مخطط للخطبة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أحسن الكلام، ما زانه حسن النظام، وفَهمه الخاصّ والعامّ**»[3].

يتضح من خلال هذا الحديث وجوب وضع عناصر الخطبة في المواضع المناسبة

(١) كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص٢٨.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.
(٣) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٢٤.

المتناسقة، بل على الخطيب أن يهذّب كلامه، ويرتّبه بتنسيق خاصّ، وترتيب متناسق ومتجانس؛ والغاية من ذلك هي أن يكون الخطيب متمكناً من موضوعه، مسيطراً على أداء الكلمات وتركيب الجمل، ولا يكون عرضة للنسيان أثناء إلقاء الخطاب؛ لأنّ بعضاً قد يتوهّم أنّه ملمّ ومسلّط على الموضوع، لكن في الواقع هو ليس كذلك؛ لذلك من العوامل المساعدة في هذا المجال هو إعمال مخطّط لموضوع الخطبة ليسهل عليه حفظه، والتمرين المتكرر، لا سيّما أنّ إلقاء الخطب في المجالس الكبيرة تختلف عن المجالس الصغيرة، وذلك من قبيل السباحة في الأنهار الكبيرة والبحار، تختلف عن السباحة في الأحواض الصغيرة؛ لذا ينبغي لَمن ينوي ارتقاء المنبر في المجالس الكبيرة أن يتمرّن كثيراً. أمّا مَن أوحى لنفسه إيحاء كاذباً بالقدرة على السباحة في الأنهار الكبيرة، فهذا كمَن رمى بنفسه في البحر، وسيكون عرضة للموت أو الخطر، كذلك الأمر في الخطابة، فمَن أوحى لنفسه بأنّه قادر على الخطابة إيحاء كاذباً، فمن الطبيعي أنّه يتعرّض للفشل والانهيار، وهذا ما يشير إليه الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «**وإيّاك والرجاء الكاذب، فإنّه يوقعك في الخوف الصادق**»[1].

يقول ديل كارنيجي: «**يجب أن يكون الخطيب سيّد موضوعه، ويعني هذا أن تجمع الحقائق وتنسّقها وتدرسها وتفهمها، وليس من ناحية واحدة، بل من جميع النواحي، كما يجب التأكد من أنّها حقائق وليست مجرد افتراضات أو تأكيدات غير مبرهن عليها، وبعد أن تجمع وتُنظّم حقائق أيّ موضوع، فكّر في الحلّ الذي تستلزمه هذه الحقائق، فيكتسب خطابك جدّة وقوة، ويكون حيوياً ومؤثراً، بعدئذٍ اكتب أفكارك بأقصى ما يمكنك من الوضوح والمنطق. بمعنى آخر: قدّم الحقائق من كلا الجانبين، ثمّ قدّم النتيجة التي توضّحها تلك الحقائق وتحديدها**»[2].

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٨٥.
(٢) كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص٤٦.

المحور الرابع: ملاحظات أُخرى حول الخطبة والخطيب

ينبغي للخطيب مراعاة الأُمور الآتية:

١ـ إيصال المطالب والمفاهيم بطريقة يسيرة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ من البيان لسحراً**»(١)، و«**البيان: الكشف عن الشيء، وهو أعمّ من النطق؛ لأنّ النطق مختصّ بالإنسان، ويُسمّى ما بيّن به بياناً**»(٢).

من العناصر الأساسية في الخطابة هي قدرة الخطيب على إيصال المطالب والمفاهيم بطريقة سهلة ويسيرة، لا سيّما في البحوث العميقة والمعقّدة، فإنّ إيصال الموضوع ببيان واضح ويسير يكون له الأثر البالغ في النفوس، بخلاف البيان المعقّد، وهذا ما أشار إليه الحديث المذكور آنفاً، الذي شبّه البيان بالسحر، ووجه الشبه فيه هو قوّة التأثير، فيقال: سحر الكلام؛ لما له من تأثير عميق في نفوس سامعيه.

ولذا؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٣)، و«**التيسير: التسهيل، وتيسير القرآن للذكر هو إلقاؤه على نحو يسهل فهم مقاصده للعامي والخاصّي، والأفهام البسيطة والمتعمّقة كلّ على مقدار فهمه**»(٤).

ومن الأُمور الداعمة للموضوع والتي تُساهم في إيصال المطالب والأفكار العميقة إلى السامعين، هو التطرّق إلى القصص والأشعار ونحوها. فعلى الخطيب أن يبذل جهداً كبيراً في تحصيل تلك الأُمور التي تدعم حديثه وتضيف إليه حيوية؛ لكي لا يكون مملاً وصعباً(٥).

(١) الراوندي، فضل الله، النوادر: ص١٥٥.
(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص١٥٧.
(٣) القمر: آية١٧.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٩، ص٦٩.
(٥) أُنظر: مركز تدريب دمشق، فنّ التحدّث مع الآخرين: ص٣٤.

٢ـ تجنّب الكلمات المستهجنة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك وما يُستهجن من الكلام؛ فإنّه يحبس عليك اللئام وينفّر عنك الكرام**»(١).

ينبغي للخطيب أن يبتعد عن استخدام المفردات القبيحة والمستهجنة، ولو استدعت الضرورة ذلك فعليه أن يتناولها من طريق الكناية والمجاز.

٣ـ أن يطرح الموضوع بشكل لافت لانتباه السامعين

قال الإمام الحسين عليه السلام: «**مالُك إن لم يكن لك كنت له، فلا تبقِ عليه فإنّه لا يُبقي عليك، وكُله قبل أن يأكلك**»(٢).

والملاحظ في هذا الحديث الشريف أنّ الإمام عليه السلام طرح الموضوع بشكل مثير ولافت لانتباه السامعين والمتلقّين، فقد يتبادر إلى ذهن السامع سؤال وهو: إذا أنا أملك أموالي، فكيف أصبح مملوكاً لها؟ وإذا أنا قادر على أكل أموالي، فكيف يستطيع المال أن يأكلني؟

ولا نريد الخوض في معنى الحديث، إلّا أنّ المستفاد منه في المقام أهمّية طرح الموضوع بالشكل الذي يترك آثاراً في أعماق المتلقّين والمستمعين.

وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**أيّكم مال وارثه أحبّ إليه من ماله؟ قالوا: ما فينا أحد يحبّ ذلك يا نبي الله. قال: بحسبكم، بل كلكم يحب ذلك. ثمّ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت، وما عدا ذلك فهو مال الوارث**»(٣).

فنجد أنّ الرسول صلى الله عليه وآله بدأ الحديث بطرح سؤال على الحاضرين، وكان الجواب

(١) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٩٩.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٨، ص٣٥٧.
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٥١٩.

على خلاف توقعاتهم، ولم يلتفت إليه أحد، وبعد ذلك بيّنﷺ كيف أنّ الإنسان يحبّ مال الوارث أكثر من ماله، فقد أوضحﷺ في هذه المقولة حقيقة غائبة عن الإنسان بطريقة لافتة لكل الحاضرين، وهي أنّه ينبغي للإنسان أن يسارع في الخيرات بماله؛ لكي يهيئ زاده في الآخرة.

وهذه الطريقة تساهم في شدّ انتباه المستمع لهذا الحديث بنحو أفضل ممّا لو طُرحت هذه المسألة بشكل طبيعي، كما لو قالﷺ ـ مثلاً ـ: اعملوا لأنفسكم قبل أن تفارقوا الدنيا، وتنتقل أموالكم إلى الورثة، فلم يكن لهذا الطرح الطبيعي والبسيط أثراً في أعماق الناس كما في الطريقة التي تحدّث بهاﷺ على شكل سؤال وجواب.

وهذا الأُسلوب في الحديث يترك آثاراً في أعماق المستمعين ويظل محفوراً في أذهانهم لا ينسى.

الخاتمة

لقد وقف البحث على جملة من النتائج، أهمّها:

١ـ إنّ الخطابة هي فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.

٢ـ للخطابة أقسام متعددة، منها: الخطابة الحماسية، الخطابة السياسية، الخطابة القضائية، الخطابة الدينية، والخطابة الأخلاقية.

٣ـ يتكوّن محتوى الخطبة من أُمور عدّة، منها: المقدمة، ووظيفتها تهيئة الأذهان لموضوع الخطبة؛ لكي يستوعبه المستمع بشكل أفضل، كما ينبغي أن تكون المقدّمة متضمّنة موجزاً وتلخيصاً للنقاط الرئيسة في البحث، وأن لا تتجاوز نسبة الخمسة بالمائة من الوقت المخصص للموضوع، أمّا ضرورة الإتيان بالمقدّمة أو عدمه فيعتمد على ظروف عدّة مرتبطة بخصوصيات الخطبة.

٤ـ كذلك تتكوّن الخطبة من الموضوع الذي يُشترط فيه شرائط متعددة، منها: أن

يكون الهدف من الموضوع واضحاً وموحّداً، وأن تكون أجزاؤه مترابطة ومنسجمة.

٥ـ ينبغي أن تتضمّن الخطبة أُموراً تهمّ المستمعين، وألّا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مخلّة، وأن يكون الانتقال بين فقرات الموضوع سلساً وسهلاً، كما أنّ على الخطيب ألّا يخوض في المسائل التي لا علم له بها.

٦ـ من أساليب عرض الموضوع: الأُسلوب التسلسلي، والأُسلوب التصنيفي، وأُسلوب عرض المشكلة والحل، وأُسلوب المقارنة والتناقض.

٧ـ ينبغي استخدام الكلمات والعبارات الواضحة التي يفهمها عامّة الجمهور، وتجنّب الألفاظ المعقّدة وغير المألوفة، والابتعاد عن الكلمات المستهجنة، وأن يكون طرح الموضوع بشكل لافت لانتباه السامعين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٢ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجي، ومحمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ـ البيان وفنّ الخطابة، محمد تقي فلسفي، مؤسّسة البعثة، بيروت، الطبعة الأُولى.

٤ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٣ش.

٥ـ التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، تحقيق: إحسان عبّاس، وبكر عبّاس، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٩٩٦م.

٦ـ الحاشية على أُصول الكافي، محمد بن حيدر النائيني، تحقيق: محمد حسين الدرايتي، دار

الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ١٣٨٢ش.
٧ـ خطب الإمام علي عليه السلام، شرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش.
٨ـ روح المعاني، محمود بن عبد الله الآلوسي.
٩ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.
١٠ـ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، تقديم: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.
١١ـ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، الطبعة الأُولى.
١٢ـ غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد الآمدي التميمي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.
١٣ـ فنّ التحدّث مع الآخرين بلباقة، مركز تدريب دمشق، دار الفاروق للطباعة والنشر، دمشق.
١٤ـ فنّ الخطابة، ديل كارنيجي، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠١م.
١٥ـ الفوائد الطوسية، محمد بن الحسن المعروف بـ(الحرّ العاملي)، علّق عليه وصححه: السيّد مهدي اللازوردي، والشيخ محمد درودي.
١٦ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.
١٧ـ كشف الغمّة، علي بن أبي الفتح الإربلي، نشر دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.
١٨ـ كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي، مكتبة المصطفوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ش.
١٩ـ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ/ ١٣٣٠ش.

٢٠ـ مستدرك سفينة البحار، علي الشاهرودي النمازي، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن ابن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٤١٩هـ.

٢١ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي المعروف بـ(الصدوق)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطبعة الثانية.

دراسات حسينية

- عاشوراء في مخطوطة (العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور): عرض وتحليل
- وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية.. دراسة في السند والمتن

عاشوراء في مخطوطة
(العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور)
عرض وتحليل

م. م. عصام هادي كاظم السعيدي *

المقدّمة

لا شكّ في أنّ الكتب المختصّة بالسيَر والتاريخ والمقاتل، تحمل الأثر المهمّ في توثيق الحوادث والوقائع التاريخية ونحوها؛ لأنّها صُنّفت لهذا الغرض، فدأب الباحثون على نقل تلك الأحداث والوقائع من بطون تلك الكتب لرفد بحوثهم بها، وهناك بعض المصنّفات أُلّفت لغرض آخر بعيد عن الوقائع والحوادث التاريخية، إلّا أنّه في طيّات صفحاتها تمّ التطرّق إلى حادثة ما، وسُلّط الضوء عليها، وأُبديت بعض الآراء حولها، وهذه المصنّفات نادرة بعض الشيء، ومن جملة تلك المصنّفات النفيسة ـ التي تطرّقت إلى حادثة كربلاء الأليمة ـ كتاب (العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور) لأبي الخطاب الكلبي (ت٦٣٣هـ)[1]، حيث أضاف إلى المصنّفات التي تناولت القضية الحسينية بالخصوص مصدراً آخر، يمكن الاستفادة منه من قِبل الباحثين لرفد بحوثهم ودراساتهم.

---

* ماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية، كلية الفقه/ جامعة الكوفة، من العراق.

(١) ومن تلك المصنّفات أيضاً كتاب (التبصرة) لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، حيث تطرّق فيه إلى مقتل الحسين عليه السلام في الجزء الثاني في الطبقة الثانية التي تشتمل على فضائل أيام السنة ولياليها. اُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن، التبصرة: ج٢، ص١٢ـ ١٩.

ولأهمّية هذا الكتاب سنورد ما تناوله المصنِّف من واقعة الطفّ نصّاً من دون تصرّف؛ كي يعتمد عليه القارئ الكريم والباحث أيضاً؛ لأنّ هذا المصنّف هو عبارة عن مخطوطة، سعى قسم التحقيق في مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية من أجل الحصول عليها، وبعد ذلك بذلتُ جهداً في قراءة هذه المخطوطة قراءة متأنّية؛ لاستخراج أحداث واقعة الطفّ منها.

اشتملت خطّة البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة وملحق، تناولت في المبحث الأول التعريف بالمؤلّف ومخطوطته، وجاء المبحث الثاني ليسلّط الضوء على واقعة الطفّ في المخطوطة، وأمّا المبحث الثالث فقد تناولت فيه مسير الرأس الشريف وموضع دفنه، وفي نهاية المطاف جاءت الخاتمة في أهمّ النتائج.

المبحث الأوّل: التعريف بالمؤلّف ومخطوطته

أوّلاً: التعريف بالمؤلّف

هو الشيخ العلّامة المحدّث الرحّال المتفنّن، مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمّد بن الجُمَيّل بن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن بدر بن دِحيّة بن فروة الكلبي الأندلسي البلنسي[1]، يُكنّى بأبي الخطاب ويُعرف بابن الجُمَيّل، سمّى نفسه بذي الحسبين، إشارة منه إلى دِحيّة الكلبي والإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ نسبه من جهة آبائه متّصل بالصحابي الجليل دِحيّة الكلبي (رضوان الله تعالى عليه)، والنسب الثاني هو من جهة الأُمّ؛ فإنّ أُمّه هي: أَمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

(١) البلنسي بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وبعدها سين مهملة، هذه النسبة إلى بلنسية، وهي مدينة في شرق الأندلس. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٥٠.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٣، ص٤٤٨ـ٤٤٩.

يعدّ من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء[١]، ومن كبار المحدّثين، والحفّاظ الثقات الأثبات المحصّلين[٢]، ذي الحظّ الوافي في اللّغة[٣] وغيرها[٤]، ولِـيَ قضاء دانية مرّتين، ثمّ ارتحل طلباً للعلم إلى كلّ من مراكش، والشام، والعراق، وخراسان [٥] وغيرها.

وهناك مَن يرى أنّ ابن دِحيّة الكلبي كان كثير الوقيعة في العلماء والأئمّة، فأعرض بعض معاصريه عن كلامه، وكذّبوه في انتسابه إلى (دِحيّة) وقالوا: «**إنّ دِحيّة الكلبي لم يُعقّب**»[٦].

وممن نازعه في نسبه التاج الكندي أمير النحاة في القاهرة؛ حيث أنكر أنّ الصحابي الجليل دِحيّة الكلبي له عقب، فردّ عليه أبو الخطاب في جزء أسماه: المرهف الهندي في الردّ على التاج الكندي، وأثبت من خلاله العقب للصحابي الجليل دِحيّة الكلبي، وأنّه من ذرّيته[٧].

مولده

اختُلف في تاريخ مولده على ما نقل ذلك ابن خلكان(ت٦٨١هـ) بقوله: «**كانت ولادته في مستهلّ ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، أخبرني بذلك ولَده، وأخبرني بعض أصحابنا الموثوق بقولهم: إنّه سأل ولَده المذكور عن مولد أبيه، فقال: في ذي القعدة من سنة ثمان وأربعين. وأخبرني ابن أخيه، قال: سمعت عمّي أبا الخطاب غير مرّة يقول: وُلدت في مستهلّ ذي القعدة سنة ست وأربعين وخمسمائة. والله أعلم**»[٨].

(١) أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنّحاة: ج٢، ص٢١٨.
(٢) أُنظر: التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج٢، ص ٩٩.
(٣) أُنظر: الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح المواهب اللدنية: ج١، ص١٥٠.
(٤) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٢٢، ص ٣٨٩.
(٥) أُنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٥، ص٤٤.
(٦) المصدر السابق.
(٧) أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، أعلام مالقة: ص٣٢٣.
(٨) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٥٠.

وبناءً على ما أفاده ابن خلكان، فإنّ سنة ولادته مرددة بين (٥٤٤هـ) و(٥٤٨هـ) على وفق رواية ولده، وعلى رواية ابن أخيه تكون سنة ولادته هي (٥٤٦هـ).

شيوخه

تلقّى علومه على يد مجموعة من العلماء والمحدّثين في مختلف الأمصار، منهم:

١ـ أبو الفرج بن الجوزي في بغداد.

٢ـ أبو جعفر الصيدلاني وغيره في إصبهان.

٣ـ أبو سعد بن الصفار، ومنصور بن الفراوي، وعبد الرحيم الشعري، والمؤيّد الطوسي في نيسابور، وسمع بمرو أيضاً.

٤ـ أبو الفتح بن المانداني في واسط.

٥ـ أبو القاسم بن بشكوال، وسمع أيضاً من أبي عبد الله بن المجاهد، وأبي بكر بن الجد، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبي بكر بن جعفر اللمتوني، وأبي القاسم بن حبيش في الأندلس.

٦ـ البوصيري وطبقته في مصر[١].

مذهبه

ذكر تلميذه ابن النجار أنّه «**كان ظاهري المذهب، كثير الوقيعة في أئمّة الجمهور، وفي السلف**»[٢].

والمذهب الظاهري «**ظهر بالمشرق على يد داوود بن علي، إلّا أنّه اختفى بعد مدّة، حتّى جدّده وأعاد له أهمّيته مؤسّسه الثاني ابن حزم الأندلسي، وهو مذهبٌ أُصوله: الكتاب، والسنّة، وإجماع الصحابة، ليس لأحد فيه أن يُقلّد أحداً، نشأ للحفاظ على النصوص،**

(١) أُنظر: ابن النجار البغدادي، محمد بن محمود، ذيل تاريخ بغداد: ج٥، ص٤٠ـ٤١. الذهبي، محمد ابن أحمد، تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٤٢٠.

(٢) ابن النجار البغدادي، محمد بن محمود، ذيل تاريخ بغداد: ج٥، ص٤١.

والوقوف عندها وعدم تجاوزها، والظاهر يُقصد به: ظاهر اللفظ من ناحية اللّغة، أي: ضرورة الأخذ بالمعنى اللفظي الظاهر للكلام، حيث إنّ تجاوز النص يُعتبر تبديلاً لكلام الله»[1].

وعاش المذهب الظاهري زمناً في كلّ من «**العراق، وخراسان، والأندلس، وهو مذهب فقهي ثري بالآراء، إلّا أنّه محارِب لمن غايره**»[2]. وأهمّ روّاد وعلماء هذا المذهب في الأندلس هم: الفضل بن علي، وهو الابن الوحيد المشهور لابن حزم، والحافظ الحميدي أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي الميورقي، والفقيه أبو بكر محمد بن الحسين الأنصاري، ومحيي الدين بن عربي، وعمر بن الحسن بن علي بن محمد أبو الخطاب، وابن مضاء القرطبي، وغيرهم[3].

مؤلّفاته

له تصانيف كثيرة منها: (المطرب من أشعار أهل المغرب)، و(الآيات البيّنات)، و(نهاية السؤول في خصائص الرسول)، و(النبراس في تاريخ خلفاء بني العبّاس)، و(التنوير في مولد السراج المنير)، و(تنبيه البصائر في أسماء الخمر)، و(علم النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفّين)، و(العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور)، وغيرها.

وفاته

ذكر ابن خلكان أنّه: «**توفّي في يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة، ودُفن بسفح المقطم ـ رحمه الله تعالى ـ**»[4].

---

(١) الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس: ص٢٣١ـ٢٣٢.
(٢) دقداق مخطار، المذهب الظاهري ببلاد الغرب الإسلامي وتأثيراته (من القرن الثاني هجري إلى السابع هجري): ص٦.
(٣) المصدر السابق.
(٤) أُنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٥٠.

ثانياً: التعريف بالمخطوطة

تسميتها ونسبتها إليه

اختلفت كلمات المترجمين في تسمية هذ المخطوطة، فمنهم مَن أسماها بـ(العلم المشهور في فوائد الأيّام والشهور)، كما جاء عن أبي البركات (ت٦٥٤هـ) في كتابه (قلائد الجمان)[١]، إلاّ أنّه في غير موضع يذكر أنّ اسمها هو: (العلم المشهور في فوائد فضل الأيّام والشهور)، فقد أضاف إلى العنوان كلمة (فضل)[٢]، وذكر ابن دِحيّة هذا العنوان في كتابه (المطرب من أشعار أهل المغرب)[٣]، إلّا أنّه في كتابه (نهاية السؤول) أسماه بـ(العلم المشهور في فضل الأيّام والشهور)[٤].

ومنهم مَن ذكر اسم المخطوطة دون كلمة (فضل)، حيث قال: «**وصنّف كتاباً أسماه: (العلم المشهور في فوائد الأيّام والشهور)**»[٥]، وهذه التسمية ذكرها ابن دِحيّة في كتابه (النبراس)[٦].

وأمّا التسمية التي ذكرناها فهي التي وردت في النسخة الخطّية للكتاب، وذكرها غير واحد من الأعلام، منهم: المراكشي[٧]، وابن الملقن[٨]، والمقري[٩]، وحاجي خليفة؛ حيث قال: «**العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور، لأبي الخطاب عمر بن دِحيّة الحافظ**»[١٠]، وذكره أيضاً صاحب معجم المؤلّفين[١١]، وغيرهم.

---

(١) أُنظر: أبو البركات، المبارك بن الشعار، قلائد الجمان: ج٤، ص١٩٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٤، ص١٩٦.
(٣) أُنظر: ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، المطرب من أشعار أهل المغرب: ص٢٢٣.
(٤) أُنظر: ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، نهاية السؤول في خصائص الرسول: ص٥٠٣.
(٥) شريفة، محمد، تراجم مغربية: ص٨٠.
(٦) أُنظر: ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس: ص١٢٤.
(٧) أُنظر: المراكشي، محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتاب الصلة: ج٨، ص٢١٩.
(٨) أُنظر: ابن الملقن، عمر بن علي، البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير: ج١، ص٣٨٦.
(٩) أُنظر: المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج٢، ص١٠٤.
(١٠) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون: ج٢، ص١١٦١.
(١١) أُنظر: كحالة، عمر، معجم المؤلفين: ج٧، ص٢٨١.

ومهما كان الاختلاف في عنوان هذه المخطوطة فهو طفيف لا يؤثّر في اختلاف معناها، ونسبتها إليه.

موضوعها

وهي مخطوطة أُلّفت في الوعظ، والتذكير، والإرشاد، وفضائل الأيّام والشهور، وما تحمله من جزيل الثواب لمن مارس العبادة فيها، إلّا أنّ ابن دِحيّة ـ حسب عادته ـ استطرد فيها بمسائل متنوّعة شملت علوماً عدّة من: حديث، وفقه، ولُغة، ونحو، وغيرها، حيث قال في نهاية المخطوطة: «**وقد ألّفت هذا الكتاب محتسباً للأجر، ومستسقياً به للسلطان الملك الكامل أحمد الذكر، فأودعته من العلوم ما ينتفع به صاحب كلّ شأن، من: حديث، وفقه، ولُغة، ونحو، وأُصول، وتاريخ، وشعر، وحساب، وبيان، وقصدنا تأليف كتاب في معنى فجئنا بمعان؛ حتّى تُنشّط قارئه بخروجه من لون إلى ألوان**»[1].

أهمّيتها

تأتي أهمّية هذه المخطوطة من مكانة مؤلّفها ومنزلته، فهو معروف بجلالة قدره، وعلوّ منزلته، وحُسن تأليفه، وقد بيّن ابن دِحيّة بنفسه أهمّية هذه المخطوطة، بقوله: «**هذا الكتاب قد جعلته للمحدّثين غياثاً؛ لأنّ الله جلّت قدرته قد جعل لي الحديث حقّاً وميراثاً، فيجب لفضله أن تركض الطلّاب إليه نجباؤهم حثاثاً، ويقتسموا فوائده الصحيحة من ألفاظه الصريحة بين السند والمتن والمعنى أثلاثاً**»[2]، ويقول أيضاً: «... **فما أعلم كتاباً في جِرْمِه يقوم مقامه**»[3].

ولأهمّيته فقد كثرت نقول العلماء عنه والاستفادة منه، منهم: ابن تيمية

(١) ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور (مخطوطة)، نسخة مكتبة المخطوطات ـ الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ٢ـ٤٥٣٤، وهي الآن من مقتنيات مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، قسم التحقيق: الصفحة الأخيرة.

(٢) المصدر السابق: ص١.

(٣) المصدر السابق: ص٩٤.

الحراني (ت٧٢٨هـ) في كتابيه (مجموع الفتاوى)[١] و(رأس الحسين)[٢]، والزيلعي (ت٧٦٢هـ) في كتابه (تخريج الأحاديث والآثار)[٣]، وابن حجر (ت٨٥٢هـ) في كتابه (فتح الباري)[٤]، والعيني (ت٨٢٢هـ) في كتابه (عمدة القاري)[٥]، وغيرهم، فضلاً عن الرسائل التي كُتبت فيها لنيل شهادة الماجستير[٦].

وصف المخطوطة

- هي نسخة مكتبة جلال الإمام يحيى (رضي الله عنه).
- رقم التصوير: ٢٨٠.
- رقم المخطوط فيه: ٢١٤، أدب.
- اسم الكتاب وموضوعه: العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور على طريقة المحدّثين، أورد فيه المؤلّف الشهور مرتّبة، وذكر ما يتّصل بكلّ شهر من فضائل، وأنساب، ولغة، ونحو، وغريب.
- المؤلف: الحافظ مجد الدين أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن علي بن دِحيّة الكلبي(ت٦٣٣هـ).
- تاريخ المخطوطة: خط قديم.
- عدد الأوراق: ٣٢٠، القياس ١٦×٢٦سم.
- الملاحظات: نسخة بخطّ قديم، ربّما كان قريب العهد إلى عصر المؤلّف،

(١) أُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى: ج٢٧، ص٤٨٠
(٢) أُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، رأس الحسين: ص١٩٧.
(٣) أُنظر: الزيلعي، جمال الدين، تخريج الأحاديث والآثار: ج٣، ص١٣٥.
(٤) أُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري،: ج٢، ص٣١٦.
(٥) أُنظر: العيني، محمد بن أحمد، عمدة القاري: ج٥، ص٢٨٦.
(٦) فقد أُقيمت ثلاثة بحوث على هذه المخطوطة لنيل شهادة الماجستير في جامعة الملك سعود دراسة وتحقيقاً.

ينقص من آخرها قليلاً، وربّما كان النقص ورقة. علماً أنّ هذه الورقة وجِدت في غير محلّها من المخطوطة، كما ذكر ذلك محقّق كتاب الآيات البيّنات[1].

المبحث الثاني: واقعة الطف في المخطوطة

قبل الغور في تفاصيل أحداث كربلاء التي جاءت في هذه المخطوطة، لا بدّ لنا أوّلاً من تسليط الضوء إجمالاً على المصادر التي اعتمد عليها المؤلّف، وثانياً: بيان طريقته في عرض الأحداث.

أوّلاً: اعتمد المؤلّف على مجموعة من المصادر في نقل الأحداث، وهي: نسب قريش للحافظ الزبير بن بكار، وصحيح البخاري، والمستدرك للحاكم، والجامع الكبير للترمذي، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، إلّا أنّه ذكر روايات عدّة من دون ذكر المصدر، حيث اكتفى بذكر اسم المؤلّف دون أن يذكر مصدر الرواية عن أيّ كتاب له، كما في نقله عن الطبراني، وابن حنبل، والبيهقي، وأبو العلاء الهمداني، والسمعاني، كما أنّه يذكر بعض الأحداث بقوله: ذكرها غير واحد، أو تناولتها كتُب التاريخ، أو ذكرها جميع مَن كتب في مقتل الحسين عليه السلام، أمّا سائر الأحداث الأُخرى فقد ذكرها من دون سند.

ثانياً: وأمّا طريقته في عرض الأحداث فهي كالتالي:

١ ـ لم يكن تناوله لواقعة الطف متسلسلاً بحسب التدرّج الزمني للواقعة، فتراه ـ مثلاً ـ يذكر رؤيا ابن عبّاس في مقتل الحسين عليه السلام بعد ذكر مقتله عليه السلام، وهناك موارد أُخرى أيضاً؛ لذلك عمدت إلى ترتيبها زمنياً مع المحافظة على نصّ الرواية التي ذكرها.

٢ ـ بعد ذكره للرواية يختتمها بعبارات قيّمة، يشرح فيها الأسباب التي دعت إلى تلك الحادثة، أو يبيّن أحوال قتلة الحسين عليه السلام ومصيرهم، أو سبب اختيار يوم

(١) أُنظر: ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، الآيات البيّنات: ص١٢٩.

عاشوراء للحسين عليه السلام، وهلمّ جرّاً.

٣ ـ تنوّع رواياته بين الصحيحة والضعيفة.

وبعد بيان ذلك ننتقل إلى ما جاء فيها عن عاشوراء:

مولد الإمام الحسين عليه السلام

ذكر ابن دِحيّة مولد الحسين عليه السلام نقلاً عن نسّابة قريش الزبير بن بكار بقوله: «**مولده لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع، وفيها قصرت الصلاة، وتزوّج رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أُمّ سلمة**»(١).

رؤيا ابن عبّاس في مقتل الحسين عليه السلام

نقل ابن دِحيّة رؤيا ابن عباس (رضي الله عنه) للنبي صلى الله عليه وآله، فقال: عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس، قال: «**رأيت النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) نصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها، قال: قلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبّعه منذ اليوم. قال عمّار: فحفظنا ذلك اليوم، فوجدناه قُتل ذلك اليوم**»(٢).

يعلّق ابن دِحيّة على هذه الرؤيا بقوله: «**وإن كانت رؤيا منام فإنّها صادقة ليست بأضغاث أحلام**»(٣)، وأمّا بخصوص سند الرواية، قال: «**هذا سند صحيح**»(٤).

---

(١) ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور (مخطوطة): ص٢٨ـ٢٩.

(٢) المصدر السابق: ص٣٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

تحشيد عبيد اللّه بن زياد آلاف المقاتلين ضدّ الحسين عليه السلام

قال: «كان عبيد الله بن زياد [قد] كتب إلى الحرّ بن زياد[1] أن جعجع بالحسين، ثمّ أمدّه بعمر بن سعد في أربعة آلاف، وما زال عبيد الله بن زياد يزيد العساكر إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفاً، وأميرهم عمر بن سعد المتكفّل المتكلّف بقتال الحسين، حتّى ينجز له عبيد الله الدعي ما سلف من وعد، وهو أن ملّكه مدينة الريّ، فباع الفاسق الرشد بالغي، وهو القائل:

أأترك ملك الريّ والريّ مُنيتي ... وأرجع مأثوماً بقتل حسينِ

فضيّق عليه اللعين أشدّ تضييق، وسدّ بين يديه واضح الطريق»[2].

خطبة الحسين عليه السلام بأصحابه يوم عاشوراء

نقل عن الطبراني خطبة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، فقال: «لمّا نزل القوم بالحسين عليه السلام، وأيقن أنّهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: قد نزل بي ما ترون من الأمر، وأنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها واستمرّت، حتّى لم يبقَ منها إلّا كصبابة الإناء، وإلّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، أَلا ترون الحقّ لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه عزّ وجلّ، وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً»[3].

تاريخ مقتل الحسين عليه السلام

قال: قال نسابة قريش الزبير بن بكار: «قُتل السيّد الأمير ريحانة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، سيّد شباب أهل الجنّة، أبو عبد الله الحسين بن فاطمة البتول، يوم الجمعة،

(١) هكذا في المخطوطة.

(٢) ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور (مخطوطة): ص٢٩.

(٣) المصدر السابق.

وقيل: يوم السبت، في العاشر من المحرّم، سنة إحدى وستين، بالطفّ بكربلاء، وعليه جُبّة خَزّ دكناء، وهو ابن ست وخمسين سنة»[٤].

ثمّ بيّن اتفاق أهل النقل على «أنّه قُتل يوم عاشوراء، العاشر من المحرّم، سنة إحدى وستين»[٥]، وذكر أنّ ذلك العام «سُمّي عام الحزن»[٦].

عدد المقتولين مع الحسين عليه السلام

ذكر أنّ عدد مَن قُتل مع الحسين عليه السلام «اثنان وثمانون رجلاً من أصحابه مبارزةً، فيهم الحرّ بن يزيد؛ لأنّه تاب بين يدي الحسين عليه السلام، وقد وجب ذلك عند جدّه محمّد خير الثقلين (صلّى الله عليه وسلّم)، ثمّ قُتل جميع بنيه إلّا علياً ابنه المسمّى بعد ذلك بزين العابدين، كان مريضاً، فأُخذ أسيراً بعد قتل أبيه، وقُتل أكثر إخوة الحسين عليه السلام وبني أعمامه»[٧].

ما فُعل بجسد الحسين عليه السلام ومَن أجهز عليه

فقد تناول بشاعة ما أقدم عليه جيش ابن سعد بجسد الحسين عليه السلام حيث «وُجِد في القميص مائة وبضع عشر ما بين رمية وطعنة وضربة»[٨]، ثمّ نقل رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «وُجِد بالحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة»[٩]، وذكر أنّ الذي أجهز على الحسين عليه السلام وحزّ رأسه هو خولي بن يزيد الأصبحي[١٠].

---

(٤) المصدر السابق: ص٢٨.
(٥) المصدر السابق: ص ٢٩.
(٦) المصدر السابق: ص٢٩.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) أُنظر: المصدر السابق.

تولّي حمل الرأس

ذهب ابن دِحيّة إلى أنّ الذي حمل الرأس ودخل به على ابن زياد هو بشر بن مالك الكندي وليس سنان بن أنس، ونصّ قوله: «**تولّى حمل الرأس بشر بن مالك الكندي، ودخل على ابن زياد وهو يقول:**

اِملأ ركابي فضةً وذهبا	أنا قتلتُ الملك المحجّبا
وخيرهم لا يذكرون نسبا	قتلتُ خير الناس أُمّا وأبا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال: فإذا علمت أنّه كذلك فلِمَ قتلته؟! والله، لا نلت منّي خيراً أبداً، ولألحقنّك به. ثمّ قدّمه فضرب عنقه»[1].

ثمّ علّق على قول حامل الرأس، بقوله: «**وقد صدق القائل الفاسق في المديح، وتقريظ هذا السيّد الذبيح، ولقى الله بفعله القبيح، فسبحانه مَن لا ينبغي لغيره عزّ وجلّ التسبيح والتقديس**»[2].

وبعد ذلك قال: «**إنّ في هذه الرواية خلاف، وقد قيل: إنّ ابن معاوية هو الذي قتل القاتل**»[3].

وأمّا رؤوس القتلى البواقي فبعد أن قُطعت، «**سرّح عمر بن سعد باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن الأبرص، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، قبّحهم الله**»[4].

خطبة السيّدة زينب عليها السلام

ذكر أنّ لزينب عليها السلام خطبة جليلة مذكورة في كتب التاريخ، حيث قالت ـ حينما

(١) المصدر السابق: ص٣٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ص٣١.

مرّ النسوة في أرض المعركة ورأين جثث القتلى ـ: «**يا محمّداه، صلّى عليك ملك السماء، هذا حسين بالعراء، مزّمل بالدماء، معفّر بالتراب، مقطّع الأعضاء، يا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيتك مقتّلة، تسفى عليها الصبا، هذا ابنك مجزوز الرأس من القفا، لا هو غائب فيُرتجى، ولا هو جريح فيُداوى. فما زالت تقول هذا حتّى أبكت ـ والله ـ كلّ صديق وعدوّ**»[1].

سبي عيال الحسين عليه السلام

قال: «**ساق القوم حرم رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) كما تُساق الأُسارى، حتّى إذا بلغوا بهم الكوفة، خرج الناس ينظرون إليهم، وفي الأُسارى علي بن الحسين زين العابدين، وكان شديد أسر، قد جُمعت يداه إلى عنقه، وزينب بنت علي أُخت الحسين عليه السلام وبنت فاطمة البتول، وأُختها أُمّ كلثوم، وفاطمة وسكينة بنتا الحسين عليه السلام**»[2].

الرؤوس في مجلس يزيد

لـمّا وُضِعت الرؤوس بين يدي يزيد، وكان فيها رأس الحسين عليه السلام، قال يزيد:

نفلّـق هامـاً مـن رجـال أعـزّة ... علينـا وهـم كانوا أعـقّ وأظلما

ثمّ قال يزيد لأهل مجلسه: إنّ هذا ـ أي: الحسين بن علي ـ كان يفخر عليَّ ويقول: «**أبي خير من أب يزيد، وأُمّي خير من أُمّه، فلقد حاجّ أبي أباه، فقضى الله لأبي على أبيه، فأمّا قوله بأنّ أُمّي خير من أُمّ يزيد، فلعمري لقد صدق، إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) خير من أُمّي، وأمّا قوله جدّي خير من جدّه، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول بأنّه خير من محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، وأمّا قوله بأنّه خير منّي، فلعلّه لم يقرأ هذه الآية ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾، الآية**»[3]. وقال ابن

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق: ص٣٠ ـ ٣١.
(٣) المصدر السابق: ص ٣١ ـ ٣٢.

دِحيّة: «وتكلّم بكلام قبيح قد ذكره الحاكم، والبيهقي، وغير واحد من أشياخ النقل بطريق ضعيف وصحيح»[1].

المبحث الثالث: مسير الرأس وموضع دفنه

مسير الرأس الشريف

تحدّث ابن دِحيّة عن مسير رأس الإمام الحسين عليه السلام، وساق مجموعة من الروايات التي تطرّقت إلى ذلك المسير، منها:

الرواية الأُولى: قال ابن دِحيّة: «أمر عبيد الله بن زياد مَن قوّر رأس الحسين عليه السلام حتّى يُنصب في الرمح، فتحاماه أكثر الناس، فقام طارق بن المبارك ـ وعداده في كندة ـ فأجابه إلى ما أراد، فقوّره ونُصب بباب داره، ونادى في الناس وجمعهم في المسجد الجامع، وصعد المنبر وخطب خطبة لا يحلّ ذكرها؛ لأنّها سبّة تُورث خطيئة، ثمّ دعا عبيد الله بن زياد جرير بن قيس الجعفي، فسلّم إليه رأس الحسين ورؤوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه، ودعا بعلي ابن الحسين فحمله وحمل عمّاته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء، والناس يخرجون إلى لقائهم في كلّ بلد ومنزل حتّى قدموا دمشق، ودخلوا من باب توما، وأُقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يُقام السبي، وخطب جرير خطبة فيها كذب وزور، ثمّ أحضر الرأس فوضعه بين يدي يزيد، فأمر أن يُجعل في طست من ذهب، وجعل ينظر إليه ويقول:

صبرنا وكان الصبر منّا عزيمة ... وأسيافنا يقطعن كفّاً ومعصما
نفلّق هاماً من رجال أعزّة ... علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما»[1].

الرواية الثانية: ذكر خبراً آخر عن أحمد بن الحسين البيهقي ما نصّه: «إنّ رأس الحسين عليه السلام لما طُلب بالشام أخفى خالد بن عفران شخصه من أصحابه، وهو من أفاضل

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق: ص٣١.

التابعين، فطلبوه شهراً حتّى وجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال: أَما ترون ما نزل بنا؟! ثمّ أنشأ يقول:

جاؤوا برأسك يابن بنت محمّد ... مترمّلاً بدمائه ترميلا
وكأنّما بك يابن بنت محمّد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا ... في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبّرون بأن قُتلت وإنّما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

واعجبوا ـ رحمكم الله ـ من الأُمم الذين كانوا من قبلكم، وقد فضّل الله تعالى أُمّة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) عليهم، منهم المجوس يُعظّمون النار؛ لادّعائهم أنّها صارت برداً وسلاماً على إبراهيم، والنصارى يُعظّمون الصليب؛ لادعائهم أنّه من جنس العود الذي صُلب عليه ابن مريم، وابن مرجانة وأصحابه العذل قتلوا الحسين ابن بَنِي الهدى، ولم يلتفتوا إلى قول أصدق العالمين ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾»[1].

الرواية الثالثة: ذكر «الحافظ أبو العلاء الهمداني، بإسناده عن مشايخه، وأجازنا إجازةً عامّة: أنّ يزيد حين قدِم عليه رأس الحسين، بعث إلى المدينة، فأقدم عليه عدّة من موالي بني هاشم، وضمّ إليهم عدّة من موالي أبي سفيان، ثمّ بعث بثقل الحسين ومَن بقيَ من أهله، وجهّزهم بكلّ شيء، ولم يدع لهم حاجة إلّا أمر لهم بها، وبعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنّه لم يبعث به إليّ. ثمّ أمر عمرو بن سعيد برأس الحسين (رضوان الله عليه)، فكُفّن ودُفن في البقيع عند قبر أُمّه فاطمة»[2].

فهذه الروايات المذكورة آنفا تبيّن صراحة: أنّ الرأس الشريف بعد نقله إلى الكوفة أمر عبيد الله بن زياد بتسريحه إلى يزيد بن معاوية، وفي بعضها أنّه بعد وصول الرأس

(١) المصدر السابق: ص٣٢.
(٢) المصدر السابق.

مع سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى يزيد، أقدم عليه مجموعة من بني هاشم، وضمّ إليهم مجموعة من آل أبي سفيان، وسرّح معهم الرأس والسبايا إلى المدينة.

ابن تيمية وحقيقة نقل الرأس إلى الشام

ذهب ابن تيمية إلى: «**أنّ نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد**»[1]، معتمداً في ذلك ـ بحسب زعمه ـ على ما أفاده ابن دِحيّة في كتابه بـ(العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور)، حيث قال: «**إنّ الذين صنّفوا في مقتل الحسين أجمعوا على أنّ الرأس لم يغترب. وذكر هذا بعد أن ذكر أنّ المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق، وأنّه لا أصل له، وبسط القول في ذلك**»[2].

وقال أيضاً: «**والذي رجّحه أهل العلم في موضع رأس الحسين بن علي (رضى الله عنهما)، هو ما ذكره الزبير بن بكار في كتاب (نسّابة قريش)، والزبير بن بكار هو من أعلم الناس وأوثقهم في مثل هذا، ذكر أنّ الرأس حُمل إلى المدينة النبوية ودُفن هناك، وهذا مناسب؛ فإنّ هناك قبر أخيه الحسن وعمّ أبيه العبّاس، وابنه علي وأمثالهم. قال أبو الخطاب بن دِحيّة ـ الذي كان يقال له: ذو النسبين بين دِحيّة والحسين ـ في كتاب (العلم المشهور في فضل الأيّام والشهور)، لـمّا ذكر ما ذكره الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن: إنّه قُدِم برأس الحسين ـ وبنو أُميّة مجتمعون عند عمرو بن سعيد ـ فسمعوا الصياح، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: نساء بني هاشم يبكين حين رأين رأس الحسين بن علي. قال: وأُتي برأس الحسين بن علي فدُخل به على عمرو، فقال: والله، لوددت أنّ أمير المؤمنين لم يبعث به إليّ. قال ابن دِحيّة: فهذا الأثر يدلّ أنّ الرأس حُمل إلى المدينة ولم يصحّ فيه سواه، والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء بهذا السبب**»[3].

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، مجموع الفتاوى: ج٢٧، ص٤٨٠.
(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، رأس الحسين عليه السلام: ص١٩٧.
(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، مجموع الفتاوى: ج٤، ص٥٠٩.

مناقشة ابن تيمية

في مناقشة الكلام السابق نقول: إنّ هناك فرقاً بين ما نقله ابن تيمية عن ابن دِحيّة من «**أنّ الذين صنّفوا في مقتل الحسين أجمعوا على أنّ الرأس لم يغترب**»، وبين قول ابن دِحيّة نفسه الذي هو: «**وقد ذكر جميع مَن ألّف في مقتل الحسين عليه السلام أنّ الرأس الكريم ما غرب قطّ، بل ذكر بعضهم أنّه حُمل على رمح وأُدخل الرقّة، وبين يديه قائل يقول: هذا رأس خارجي؛ خرج على أمير المؤمنين يزيد. ودُفن عند الجامع تحت سدرة، وأنّها لا تزال مخضرّة مع الأيّام**»[1].

فقد دلّس ابن تيمية بنقله عن ابن دِحيّة في قوله: «**لم يغترب**»، بينما قول ابن دِحيّة هو: «**ما غرب قطّ**»، والاختلاف في اللفظ بينهما يلزم منه اختلاف في المعنى، فـ(يغترب) هي من (اغترب يغترب اغتراباً)، بينما (غرب) هي من (غرب يغرب غرباً)، واللفظة الأُولى تدلّ على الاغتراب، أي: عدم الذهاب بالرأس الشريف إلى أماكن أو بلدان غريبة عن الحسين عليه السلام، ودلالة الكلمة الثانية هي عدم الذهاب بالرأس الشريف غرباً، ومن خلال سياق كلام ابن دِحيّة ـ عندما كان يتكلّم على عدم وصول الرأس للقاهرة ـ يتبيّن أنّه يقصد عدم الذهاب به إلى القاهرة، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى يظهر لنا اقتطاع ابن تيمية لكلام ابن دِحيّة، ولم يُكمل ما قاله ابن دِحيّة من أنّه قد «**ذكر بعضهم أنّه حُمل على رمح وأُدخل الرقّة، وبين يديه قائل يقول: هذا رأس خارجي؛ خرج على أمير المؤمنين يزيد. ودُفن عند الجامع تحت سدرة، وأنّها لا تزال مخضرّة مع الأيّام**». وفي هذا القول دلالة واضحة على وصول الرأس إلى يزيد.

ثمّ بعد ذلك سعى ابن تيمية من خلال موضع الرأس الذي ذكره ابن دِحيّة في كتابه (العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور)، إلى إثبات مدّعاه من كون الرأس لم يصل الشام في زمن يزيد، ولكن دون جدوى؛ فإنّ الرواية التي استدلّ بها ابن

(١) ابن دِحيّة الكلبي، عمر بن الحسن، العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور (مخطوطة): ص٣٢.

تيمية فيها دلالة واضحة على كون الرأس الشريف قد انتقل من الشام إلى المدينة؛ بقرينة قول عمرو بن سعيد بن العاص ـ والي يزيد على المدينة ـ: «**والله، لوددت أنّ أمير المؤمنين لم يبعث به إليّ**»، فلا يشكّ عاقل في أنّ أمير المؤمنين بالنسبة إلى عمرو بن سعيد هو يزيد بن معاوية، ولا يمكن أن يتصوّر أنّه عبيد الله بن زياد، كما يُفهم ذلك من كلام ابن تيمية؛ إذ يدّعي أنّ الرأس انتقل من الكوفة مباشرة إلى المدينة، ولم يصل إلى الشام إطلاقاً، بمعنى أنّ الذي أرسله هو عبيد الله بن زياد، وحتّى لو ادّعى أنّ عبيد الله بن زياد أرسل الرأس إلى المدينة بأمر من يزيد بن معاوية، فالروايات التي ذكرها أرباب المقاتل والسير والتاريخ تُكذّب ذلك، كما أنّهم لم يذكروا لنا في مصنّفاتهم أنّ يزيد أمر واليه على الكوفة عبيد الله بن زياد بإرسال رأس الحسين عليه السلام مباشرة من الكوفة إلى المدينة دون المرور به إلى الشام.

موضع دفن الرأس الشريف

يذكر ابن دِحيّة أكثر من رواية عن موضع الرأس، وهي:

الرواية الأُولى: قال: «... **إنّ سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) في المنام، وكان يبرّه ويلطّفه، فدعا الحسن البصري، فسأله عن ذلك. فقال: لعلّك اصطنعت إلى أهله معروفاً. فقال سليمان: إنّي وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية، فكفّنته خمسة من الديباج، وصليت عليه في جماعة من أصحابي، وقبرته. فقال الحسن: إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) رضي منك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصري**»[1].

الرواية الثانية: ذكر قول الخوارزمي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام: «**أنّ رأس الحسين صُلب بدمشق ثلاثة أيّام، ومكث في خزانة بني أُميّة حتّى وَلـيَ سليمان بن عبد الملك، فطلبه، فجيء به وهو عظم أبيض قد قحل، فجعله في سفط، وطيّبه، وجعل عليه ثوباً، ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلّى عليه، فلمّا وَلـيَ عمر بن عبد العزيز، بعث إلى المكان، فطلب منه**

(١) المصدر السابق: ص٣٣.

الرأس، فأُخبر بخبره، فسأل عن الموضع الذي دُفن فيه، فنبشه وأخذه، والله أعلم ما صنع به، والظاهر من دينه أنّه بعث به إلى كربلاء فدفنه مع جسده»[1].

الرواية الثالثة: قال: «واعلم أنّه لا يصحّ في موضع الرأس مكان على الخصوص، ولا في ذلك شيء يعتمد عليه من النقل المنصوص، إلّا ما ذكره بسنده أخطب الخطباء أبو المؤيد الموفّق بن أحمد الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام، قال الحافظ العدل أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني بسنده: إنّ يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنّه لم يبعث به إليّ. ثمّ أمر عمرو بن سعيد برأس الحسين (رضوان الله عليه)، فكُفّن ودُفن في البقيع عند قبر أُمّه فاطمة»[2].

الرواية الرابعة: ما ذكره الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن: «أنّه قُدِم برأس الحسين ـ وبنو أُميّة مجتمعون عند عمرو بن سعيد ـ فسمعوا الصياح، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: نساء بني هاشم يبكين حين رأين رأس الحسين بن علي. قال: وأُتي برأس الحسين بن علي فدُخل به على عمرو، فقال: والله، لوددت أنّ أمير المؤمنين لم يبعث به إليّ. قال ابن دِحيّة: فهذا الأثر يدلّ أنّ الرأس حُمل إلى المدينة، ولم يصحّ فيه سواه، والزبير أعلم أهل النسب، وأفضل العلماء بهذا السبب»[3].

نفي حمل الرأس إلى عسقلان والقاهرة

نفى كون الرأس في عسقلان أو القاهرة، وما ذُكر من أنّه في عسقلان في مشهد هناك «فشيء باطل لا يقبله مَن معه أدنى مسكة من العقل والإدراك، فإنّ بني أُمية مع ما أظهروه من القتل والعداوة والاحتقار، لا يُتصوّر أن يبنوا على الرأس مشهداً للزوّار»[4].

وما ذُكر من أنّه في القاهر، وأنّه في زمن عيسى بن الظافر الملقّب بالفايز، فإنّ بني

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق: ص٣٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ص٣٦.

عبيد قد افتعلوا ذلك المشهد الذي قام ببنائه طلائع بن زرك الرافضي، قال: «ذكر جميع مَن ألّف في مقتل الحسين عليه السلام أنّ الرأس الكريم ما غرب قط [أي: لم يُذهب به إلى القاهرة]، بل ذكر بعضهم أنّه حُمل على رمح وأُدخل الرقّة وبين يديه قائل يقول: هذا رأس خارجي؛ خرج على أمير المؤمنين يزيد، ودُفن عند الجامع تحت سدرة، وأنّها لا تزال مخضرّة مع الأيّام»[1].

رأي الإمامية في موضع الرأس

بيّن رأي الإمامية في موضع الرأس بقوله: «وقرأت بكتب الإمامية أنّ الرأس أُعيد إلى الجثّة بكربلاء بعد أربعين يوماً من المقتل، يومٌ معروف عند الإمامية يُسمّونه الزيارة، فيه زيارة الأربعين»[2].

وصول الرأس الى المدينة

قال بعد وصول الرأس إلى المدينة: «جلس عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للتعزية، وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب ـ وهي الصغرى ـ على الناس للبقيع في نساء قومها، وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وكنتم آخر الأُمَمِ
بعترتي وأهلي بعد مفتقدي ... منهم أُسارى وقتلى ضُرّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... ولم تفوا لي بعهدي في ذوي رحمي»[3].

وبعد ذكر هذه الأبيات يعقّب ابن دِحيّة بقوله: «إنّ القائلة للبيتين الأوّلين زينب أُخت الحسين، حين قُتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء، ورفعت عقيرتها، وقالت هذه الأبيات»، إلّا أنّه بعد ذلك يقول: «وقول الزبير أثبت»[4].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٣٦.
(٤) المصدر السابق: ص٣٦ ـ ٣٧.

وينقل من صحيح البخاري حادثة الرجل الذي يسأل ابن عمر عن دم البعوض، فقال: «**عن ابن أبي نعم، قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممّن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: اُنظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم)، وسمعت النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) يقول: هما ريحانتاي من الدنيا. وفي رواية الكشميهني: هما ريحانتي**»[1].

ونقل رواية عن إبراهيم النخعي، قال: «**والله، لو كنت فيمَن قاتل الحسين، ثمّ أتتني المغفرة من ربّي، فأدخلني الجنّة، لاستحييت من محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) أن أمرَّ عليه فيراني**»[2].

خاتمة كلامه

في نهاية المطاف من ذكر واقعة كربلاء عقّب ابن دِحيّة على هذه المصيبة بقوله: «**اعجبوا من هؤلاء الملاعين وعقولهم؛ إذ قتلوا الحسين بن فاطمة وابن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، ثمّ أكبوا في شمالهم على شرب شمولهم! تُعساً لشيوخهم وكهولهم، أفي صلاتهم يُصلّون على محمّد وآله، ثمّ يمنعونه من شرب نقطة من الفرات وزلاله؟! ويجتمعون على قتله وقتاله؟! ولا يستحون من نور شيبه وجماله؟! أَما والله، إنّ حقّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) على أُمّته أن يُعظّموا تراب نعل قدمه، بل تراب نعل خادم من خدمه، ليت شعري، ما اعتذارها، ولا الشطار الخبثة الأشرار في قتل هؤلاء الأخيار عند سيّد ولْد آدم محمّد المختار، وعند فاطمة المستغفرة بالأسحار، إذ جاءت بثوب مخضوب بدم الحسين، المقتول بأسياف أصحاب القمار والمزمار، ورفعت شكواها إلى الملك الجبّار، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار؟! فاختار الله تعالى إلى الحسين عليه السلام الشهادة في هذا اليوم لفضله بين الأيّام، وقد قتل الله قاتله صبراً بالحسام، وجعل رأسه في الموضع الذي فيه رأس الحسين عليه السلام، وقضى ذلك في عاشوراء بعد قتل الحسين بستة أعوام،**

(١) المصدر السابق: ص٣٧.
(٢) المصدر السابق.

وبُعث برأس عبيد الله الذميم إلى المدينة، فوُضِع بين يدي بني الحسين الكرام، وكذلك عمر ابن سعد وأصحابه اللئام، ضُرِبت أعناقهم، وسُقوا كأس الحمام، ولم يكن من دونه وراءٌ ولا أمام، وبقي الوتر بين يدي الملك العلّام، في يوم يُعرف المجرمون بسيماهم، فتؤخذ بالنواصي والأقدام»[1].

الخاتمة

وفي النهاية، أحمدُ الله سبحانه وتعالى على إنهاء هذا البحث، وأختتمه بأهمّ النتائج:

١ـ إنّ تسمية ابن دِحيّة بذي الحسبين ـ كما جاء في تعريفه سابقاً ـ ليست ببعيدة؛ إذ إنّ كلّ إنسان هو أعلم بنسبه من غيره، هذا أوّلاً، وثانياً: إنّ الذين أنكروا عليه ذلك هم مخالفون له في المذهب؛ إذ إنّ هناك خلافاً قائماً ومحتدماً بين الظاهرية وأصحاب المذاهب الأربعة.

٢ـ هذه المخطوطة على الرغم من أنّها قد صُنّفت من أجل الوعظ والإرشاد والتذكير بفضائل الأيّام والشهور؛ لما لها من جزيل الأجر والثواب للعامل فيها بطاعة الله، إلّا أنّها حملت شيئاً مهماً في طيّاتها، ألا وهي واقعة كربلاء.

٣ـ تناول المصنّف بالتفصيل مسألة الموضع الذي دُفن فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام، وذهب إلى كون الموضع الذي دُفن فيه الرأس الشريف هو البقيع، عند قبر أُمّه فاطمة الزهراء عليها السلام في المدينة المنورة، ومع ذلك لم يُنكر من تلك المواضع سوى عسقلان والقاهرة، علما أنّه قد ذكر رأي الإمامية في موضع الرأس ولم يُنكره.

٤ـ لم يكن ابن دِحيّة عند تناوله لواقعة كربلاء ناقلاً فحسب، بل ناقش وصحّح بعض الروايات، ورفض البعض الآخر.

٥ـ من خلال البحث تبيّن زيف ما ادّعاه ابن تيمية من كون الرأس قد بُعث من الكوفة إلى المدينة ولم يُرسل إلى يزيد في الشام.

---

(١) المصدر السابق: ص٣٧ـ ٣٨.

٦ـ إنّ خاتمة ابن دِحيّة لواقعة الطفّ، تُعدّ خاتمة قيّمة، ولها من الأهمّية الشيء الكبير؛ لأنّها صدرت من عالم ليس بشيعي، عرّى بها قتلة الحسين عليه السلام، وعلى رأسهم يزيد بن معاوية، بعدما بيّن حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله على أُمّته، وذكر سبب اختيار الله سبحانه وتعالى قتل الحسين عليه السلام في هذا اليوم.

٧ـ على الباحثين وأرباب المنابر أن يستشهدوا بخاتمة ابن دِحيّة القيّمة في مؤلّفاتهم ومجالسهم، وأن ينسبوها إلى هذا المصنّف؛ حتّى تكون الحجّة دامغة على مَن يُلمّع صورة يزيد، من أتباع ابن تيمية ونحوهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ أعلام مالقة، أبو عبد الله بن عسكر، وأبو بكر بن خميس، تحقيق: الدكتور عبد الله المرابط، دار الأمان، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.

٢ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

٣ـ البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير، عمر بن علي بن الملقن، تحقيق: أحمد شريف الدين، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

٤ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنّحاة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل، المكتبة العصرية، بيروت.

٥ـ تاريخ المغرب والأندلس، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.

٦ـ التبصرة، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٣م.

٧ـ تخريج الأحاديث والآثار، جمال الدين الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.
٨ـ تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، صححه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي.
٩ـ تراجم مغربية، محمد شريفة، الطبعة الأُولى، ١٩٩٦م.
١٠ـ ذيل تاريخ بغداد، محمد بن محمود بن النجار البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١ـ الذيل والتكملة لكتاب الصلة، محمد بن محمد المراكشي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٧٣م.
١٢ـ رأس الحسين عليه السلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: الدكتور السيّد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٥م.
١٣ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: حسين الأسد، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣م.
١٤ـ شرح المواهب اللدنية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
١٥ـ العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور (مخطوطة)، عمر بن الحسن بن دِحيّة الكلبي، نسخة مكتبة المخطوطات ـ الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ٢ـ٤٥٣٤، وهي الآن من مقتنيات مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، قسم التحقيق.
١٦ـ عمدة القاري، محمد بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٧ـ فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
١٨ـ قلائد الجمان، أبو البركات المبارك بن الشعار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتل العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.
١٩ـ كشف الظنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠ـ مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.
٢١ـ المذهب الظاهري ببلاد الغرب الإسلامي وتأثيراته (من القرن الثاني هجري إلى السابع هجري)، دقداق مخطار.
٢٢ـ المطرب من أشعار أهل المغرب، عمر بن الحسن بن دِحيّة الكلبي، تحقيق: إبراهيم الإيباري وزملائه، ١٩٩٣م.
٢٣ـ معجم المؤلفين، عمر كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤ـ النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، عمر بن الحسن بن دِحيّة الكلبي، تحقيق: عباس العزاوي، المعارف، بغداد، ١٣٦٥هـ.
٢٥ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٢٦ـ نهاية السؤول في خصائص الرسول، عمر بن الحسن بن دِحيّة الكلبي، تحقيق: عبد الله عبد القادر، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤١٦هـ.
٢٧ـ وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية
دراسة في السند والمتن

مصطفى ماجد هاشم الدالي*

مقدّمة

تحظى الدراسات الحديثية باهتمام الباحثين والدارسين؛ لأنّ موضوعها هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهو السنّة الشريفة، التي تمثّل قول المعصوم وفعله وتقريره، ولما كانت الدراسات والعلوم المتعلّقة بذلك كثيرة ومتعدّدة، مع ضرورة نقلها من جيلٍ إلى جيل، تعيّن التثبّت في نقلها، الأمر الذي يقتضي معرفة الضعيف من الصحيح، والمقبول من المردود، ومعرفة أحوال الرجال الناقلين للرواية ذاتاً ووصفاً، وهو ما يتكفّل به علم الرجال، ومعرفة طرق تحمّل الحديث وأدائه، وما يتعلّق بشرح الروايات وبيان مداليلها والمعاني المعرفية المستفادة منها، هذا كلّه خدمةً للدين الحنيف وأحكام الشريعة، وحفظاً لتراثنا الإسلامي الواصل إلينا عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وتأتي الدراسة في سند الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام ومتنها في مرتبة متقدمة على الدراسات الحديثية، والتي يتمّ من خلالها إثبات صحة صدور الحديث والرواية عن أهل البيت عليهم السلام، سواء من خلال دراسة أسانيد الأحاديث والروايات، أم من خلال دراسة المتن وتحصيل قرائن تُفيد نسبة الحديث إلى المعصوم، وتسليط الضوء على هذه الموضوعات ودراستها يكون المرجع فيها بالأساس ما ورد عن المعصومين عليهم السلام.

---

* باحث إسلامي، من العراق.

ومن هنا كان هذا البحث أحد هذه الدراسات الحديثية التي تبحث في سند ومتن وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، وقد جاء مكوّناً من تمهيد ومبحثين، وخاتمة بأهمّ النتائج، فكان المبحث الأوّل، في طرق الوصية والمعالجة السندية، مقسّماً على ثلاثة مطالب بُحثت فيها: مصادر الوصية، وطرق ابن أعثم (ت٣١٤هـ)، وابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) لروايتها.

أمّا المبحث الثاني، فاشتمل على دراسة في متن الوصية، وكان مقسّماً على مطلبين بُحث فيهما: تأكيد الإمام الحسين عليه السلام على مبادئ العقيدة الإسلامية، والمعاني المعرفية المستفادة من الوصية.

تمهيد

قد اختُلف في المرجع عند نسبة شيء من المرويات إلى أهل البيت عليهم السلام، فهناك مَن تشدّد في هذه النسبة، وآخر تساهل كثيراً في ذلك، وبين هذين الاتجاهين في القبول والرد للرواية تضيع بعض الروايات اعتماداً على المنهج المتشدّد، وتُقبل الكثير من المدسوسات اعتماداً على المنهج المتساهل.

إذاً؛ هل هناك فرقٌ في نسبة شيءٍ إلى أهل البيت عليهم السلام بين روايات العقائد، والفقه، والرواية التاريخية؟ وبعبارةٍ أُخرى: هل هناك منهج خاص لنقل الرواية التاريخية يختلف عمّا في باب العقائد والأحكام الفقهية؟

إنّ الروايات تارةً تحكي أُموراً اعتقادية، فيكون التعامل معها شديداً؛ وذلك لأنّها تحتاج إلى تحصيل القطع بصدورها للإيمان بها. وأُخرى تحكي أحكاماً فقهية، فيكون التعامل معها أقلّ تشدّداً من روايات باب العقائد؛ لأنّ الشارع قد رخّص بالأخذ بالخبر الظنّي (خبر الواحد) فهو معتبر شرعاً. وثالثة تكون الرواية حاكيةً لحوادث أو أقوال إرشادية صدرت عن المعصومين عليهم السلام، فهنا يكون التشدّد أقلّ، بل قد يتساهل في قبولها بالقياس إلى الروايات التي تحكي أُصولاً اعتقادية أو أحكاماً فقهية، ولكن بشرط أن تكون منقولة في مصدر تاريخي معتبر، وصل إلينا بطريق مشهور ومعتمد، ولم يُعلم أنّ كاتبه تعمّد تزييف الحقائق، وكذلك غالباً ما تكون أكثر الكتب التاريخية

خالية من الأسانيد، فهي إمّا أن تنقل لنا أخباراً مرسلة أو بسند ضعيف، وفي بعض الأحيان تكون الحادثة مشتهرة فيصوّرها الكاتب والمؤرخ بطريقته من خلال ما سمعه وشاهده وما حصل لديه من قرائن[1]، ومن هذه الروايات التاريخية، هي وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، التي نُقلت في كتب الفريقين[2].

نصّ الوصية

دعا الإمام الحسين عليه السلام ـ قُبيل خروجه من المدينة إلى مكّة بدواةٍ وبياض، وكتب هذه الوصية لأخيه محمد بن الحنفية: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين ابن علي بن أبي طالب لأخيه محمد بن الحنفية المعروف، ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنّ الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أُمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، وسيرة أبي عليّ بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم، فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلى بالحقّ، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي [الله] بيني وبين القوم بالحقّ، ويحكم بيني وبينهم [بالحقّ] وهو خير الحاكمين، هذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب، والسلام عليك وعلى مَن اتبع الهدى، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم**»[3].

---

(١) أُنظر: الساعدي، مشتاق، منهج النقل للرواية التاريخية، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢، ص٦٢ـ٦٦.

(٢) أُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١. الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٧٣. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٩٧.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١. الخوارزمي، الموفّق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٧٣. وأُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٩٧. وأيضاً: الحائري، محمد بن أبي طالب، تسلية المُجالس وزينة المَجالس: ج٢، ص١٦٠.

ومن الأُمور المهمّة التي لا بدّ من بيانها قبل الشروع بدراسة جهتي السند والمتن في هذه الوصية، معرفة بعض المصطلحات تمهيداً للدخول في البحث، وهي:

١ـ الوصية

الوصية لغةً: ورد في معاجم اللغة بأنّ الواو والصاد والألف أصلٌ يدلّ على وصل شيءٍ بشيء؛ وعليه فالوصية كلام يوصَل بشيء، أي: وصلٌ لما كان في الحياة بما يكون بعد الموت، وهي ـ أي: الوصية ـ ما أوصى به الموصي لا فعله؛ ففعل الموصي الذي هو الوصية يُسمّى وصاية، وإذا أوصيت لشخصٍ بشيء جعلته وصيّك. فهناك موصي، ووصي، ووصاية ـ الذي هو فعل المكلّف ـ ووصية بعد الموت[١].

الوصية اصطلاحاً: جاء تعريف الوصية في كلمات الفقهاء على أنّها تمليكٌ لعينٍ أو منفعة بشرط أن يكون بعد الوفاة، وقيّدوها بالإيجاب والقبول، وعليه فهي عقد، لكنّه معلّق بشرط الوفاة، أي: بعد وفاة الموصي، قال المحقق الحلّي (ت٦٧٦هـ): «**وهي** [أي: الوصية] **تمليك عين، أو منفعة، بعد الوفاة، وتفتقر إلى إيجاب وقبول**»[٢]. والإيجاب من الموصي معناه: كلّ لفظ يدلّ عليه، كأعطوه بعد وفاتي، أو أوصيت له إمّا مطلقاً بدون قيد، أو مقيداً بقيد مثل: أعطوه إذا متّ في مرضي هذا، أو في سنتي هذه. والقبول يكون من طرف المُوصى إليه[٣].

وقيل هي: «**عبارة عن إلقاء العهد إلى الغير بأمرٍ، بعد الموت**»[٤].

---

(١) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص١٧٧. وأيضاً: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٦، ص٢٥٢٥. وابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٦، ص١١٦.

(٢) المحقّق الحلّي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج٢، ص٤٦٨.

(٣) أُنظر: العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج٣، ص٣٣٠.

(٤) تقريرات ثلاثة (الوصية ومنجزات المريض، ميراث الأزواج، الغصب)، تقرير بحث البروجردي للشيخ علي پناه الاشتهاردي: ص٧.

ومن خلال ما تقدّم يتّضح أنّ الوصية نوعان:

الأوّل: تمليكية، وهي التي قيل في تعريفها بأنّها تمليك عينٍ، ولا فرق في تعدّد الموصى إليه أو وحدته؛ إذن؛ هي وصية بالملك والاختصاص بمال من أمواله المنقولة وغير المنقولة لشخصٍ ما.

الثاني: عهدية: ويراد منها الوصية بصدور عمل من الموصى إليه.

ومن هنا كانت وصية الإمام عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية من نوع الوصية العهدية، فقد ابتدأها الإمام عليه السلام بالشهادة لله ورسوله، والإيمان باليوم الآخر، وبثواب الله وعقابه، وبجنّته وناره، وأنّ ما وعد به عبيده من ثوابٍ وجزاء كلّه حقّ، ثمّ بيّن سبب خروجه من المدينة بوجه الطاغية يزيد، وإنّه ليس من باب الخروج لطلب الدنيا والملذّات، ولا من باب التكبّر وطلب السلطان، وإنّما كان خروجه لطلب إصلاح المجتمع، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وساعياً إلى إظهار الدين الحقيقي الذي ضيّع ملامحه بنو أُميّة ومَن قبلهم من خلفاء الظلم والجور، الذين سلبوا الخلافة الشرعية من مستحقّيها، فكانت وصيته دعوةً إلى اتّباعه نحو طريق الهداية وفق مبادئ الإسلام، معبّراً عن ذلك بقوله: «**فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلى بالحق...**»[1]. فمَن تبع الإمام عليه السلام على هذا الحقّ الذي يطلبه عليه السلام فقد التزم بتشريع الله تعالى وقبِل بالحقّ، «**ومَن ردّ عليّ أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق... وهو خير الحاكمين**»[2]. فقد ألقى الإمام عليه السلام بهذه الوصية الحجّة على الناس في اتّباعه وترك الباطل[3].

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١. وأُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٢.

(٣) أُنظر: الياسري، عبد الكاظم، تأمّلات في وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، موقع العتبة الحسينية المقدّسة: http://imamhussain-lib.com/arabic/pages/bohoth020.php.

٢ـ السند

السند لغةً: ورد في تعريف السند في قواميس اللغة معانٍ متعددة، منها: المعتمد، وما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، وكلّ شيءٍ أسندتَ إليه شيئاً، فهو مُسند[١].

السند اصطلاحاً: ورد في تعريف السند أنّه «**طريق المتن**»[٢]، والمقصود رُواة الحديث، وقيل هو: «**سلسلة الرجال الموصلة للمتن**»[٣]، أي: متن الحديث أو الرواية.

وهناك تعاريف أُخرى للسند وردت في كتب الحديث[٤]، فقد جعله بعض العلماء مرادفاً للإسناد، ورفض بعضهم هذا الاتحاد في المعنى وعرّفهما بتعريفين مختلفين[٥].

٣ـ المتن

المتن لغةً: هو ما صلب وارتفع من الأرض، ويُطلق كذلك ويراد به الظهر[٦].

المتن اصطلاحاً: عرّفه الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ) بأنّه: «**لفظ الحديث الذي يتقوّم به المعنى**»[٧]، أي: معنى الحديث.

المبحث الأوّل: طرق الوصية والمعالجة السندية

البحث عن طرق الوصية سيكون من ثلاث جهات، من جهة المصادر التي نقلت الوصية، ومن جهة إثبات صدور الوصية، ومحاولة تصحيح صدورها عن الإمام

---

(١) أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ص٤٨٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٣، ص٢٢٠.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين، الرعاية في علم الدراية: ص٥٣.

(٣) الطحّان، محمود، تيسير مصطلح الحديث: ص١٨.

(٤) أُنظر: القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث: ص٢٠٢.

(٥) أُنظر: الميرداماد، محمد باقر، الرواشح السماوية: ص٥٤. وأيضاً: المامقاني، عبد الله، مقباس الهداية: ج١، ص٤٨.

(٦) أُنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ص٥٦٢.

(٧) الشهيد الثاني، زين الدين، الرعاية في علم الدراية: ص٥٢. المامقاني، عبد الله، مقباس الهداية: ج١، ص٤٧.

الحسين عليه السلام في مصدرين من المصادر ـ التي سيتبين أنّها الأساس التي اعتمدت عليه بقية المصادر ـ وذلك من خلال دراسة رجال السند الذين اعتمد عليهم المؤرخون في نقل الحادثة التاريخية.

المطلب الأوّل: مصادر الوصية

بعد تتبّع المصادر التاريخية التي ذكرت حادثة كربلاء ونهضة الإمام الحسين عليه السلام، وما استتبعها من حوادث، تحصّل أنّ وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية وردت في مجموعة من المصادر عند الفريقين، وهي حسب التسلسل التاريخي كالآتي:

١. كتاب الفتوح[١]

وهو لأبي محمد أحمد بن محمد بن علي بن أعثم المعروف بابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، قال ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ): «**أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري المؤرّخ، كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف**»[٢]. وقال الصفدي (ت٧٦٤هـ): «**أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري، المؤرخ الشيعي... له كتاب المألوف، وكتاب الفتوح معروف ذكر فيه إلى أيّام الرشيد، وله التاريخ إلى أيّام المقتدر ابتدأه بأيّام المأمون**»[٣].

وعدّه العلّامة المجلسي (ت١١١١هـ) من مصادر العامّة التي يرجع إليها لتصحيح ألفاظ الخبر وتعيين معانيه، أو لتأييد ما رُوي عن طريقنا[٤]؛ فهو من مؤرّخي العامّة.

تميّز ابن أعثم في تاريخه بالأسبقية في نقله بعض الروايات والحوادث قبل غيره

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١.
(٢) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء: ج٢، ص٢٣١. وأُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج١، ص١٣٨.
(٣) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٦، ص١٦٠.
(٤) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٢٥.

من المؤرّخين، مثل خبر وصيّة الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفيّة، وكلمته المشهورة حول فلسفة نهضته عليه السلام ضمن الوصية، حيث يقول عليه السلام: «**وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً...**»[1].

٢ـ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي[2]

وهو لأبي المؤيّد ـ الملقّب بصدر الأئمّة وبأخطب خوارزم ـ الموفق بن أحمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ). نقل عن كتابه هذا (أي: مقتل الحسين عليه السلام) صاحب كفاية الطالب، وصاحب الفصول المهمّة[3]. قال العلاّمة الأميني (ت١٣٩٢هـ): «**كان فقيهاً غزير العلم، حافظاً طايل الشهرة، محدّثاً كثير الطرق، خطيباً طاير الصيت، متمكّناً في العربية، خبيراً على السيرة والتاريخ...**»[4].

وقد عدّه بعضٌ بأنّه من المتساهلين في الأسانيد، بَيدَ أنّ التحقيق أثبت العكس من ذلك، فهو ومن أجل إكمال سير الحوادث والوقائع روى المراسيل، «**ولكن مع ذلك فهي مراسيل يعضدها الاعتبار نوعاً ما، وهذا لا يعني جواز الأخذ بكلّ ما رواه الخوارزمي، بل لا بدّ من النظر في القرائن التي تساعد على صحة ما روى**»[5]، من قبيل كون الرواية وردت في كتبنا حتّى ولو بالمضمون مع اختلاف الألفاظ.

وقد اعتمد الخوارزمي ـ كثيراً ـ في نقله للحوادث على ابن أعثم، ومنها وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية.

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٧٣، نقلاً عن ابن أعثم الكوفي في الفتوح.

(٣) أُنظر: المصدر السابق (مقدّمة التحقيق): ص٥.

(٤) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٤، ص٣٩٨.

(٥) حمودي، غدير، الإصلاح والعدالة المهدوية، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٧، ص١٠٧.

٣ـ مناقب آل أبي طالب[١]

وهو لمحمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ)، وهو من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وممّن يؤخذ بتوثيقه ـ على فرض الأخذ بتوثيقات المتأخرين ـ ولا يُطعن فيه. قال السيّد الخوئي قدس سره (ت١٤١٣هـ): «**وممّا تثبت به الوثاقة أو الحسن أن ينصّ على ذلك أحد الأعلام المتأخرين، بشرط أن يكون مَن أخبر عن وثاقته معاصراً للمخبر أو قريب العصر منه، كما يتفق ذلك في توثيقات الشيخ منتجب الدين، أو ابن شهر آشوب...**»[٢].

ولكن ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) نقل مقطعاً من الوصية التي أوردها ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ) ليس بعنوان الوصية، وإنّما بعنوان محاورة بين الإمام عليه السلام وأخيه محمد بن الحنفية وجواب الإمام عليه السلام له عندما سأله: لِمَ لا تترك الكوفة وتذهب لليمن؟ فقال عليه السلام: «**إنّي لم أخرج بطراً، ولا أشراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت أطلب الصلاح في أُمّة جدّي محمد، أريد، [أن] آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، [و] أسير بسيرة جدّي وسيرة أبي عليّ بن أبي طالب، فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلى بالحقّ وهو أحكم الحاكمين**»[٣].

٤ـ تسلية المُجالس وزينة المَجالس[٤]

وهو للسيّد محمد بن أبي طالب الموسوي الحسيني الحائري الكركي (ت ق١٠هـ)، ألّف هذا الكتاب على منوال روضة الشهداء للكاشفي (ت٩١٠هـ)، وكتابه هذا من مصادر بحار الأنوار.

قال العلّامة المجلسي (ت١١١١هـ) في المقدّمة عند ذكر المصادر التي اعتمد

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٩٧.
(٢) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١، ص٤٢.
(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤٣، ص٩٧.
(٤) الحائري، محمد بن أبي طالب، تسلية المُجالس وزينة المَجالس: ج٢، ص١٦٠.

عليها: «**وكتاب مقتل الحسين (صلوات الله عليه) المسمّى بتسلية المُجالس وزينة المَجالس، للسيّد النجيب العالم محمد بن أبي طالب الحسيني الحائري**»[1]. وذكره آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ) في الذريعة، وذكره كذلك غير واحدٍ من العلماء[2].

وقد نقل الوصية كذلك بعض الأساطين من علمائنا في كتبهم[3].

وبعد هذا البحث، تبيّن أنّ مناقشة سند الوصية يكون كالآتي:

أوّلاً: كما ورد سندها عند ابن أعثم؛ لأسبقيته في النقل. **وثانياً**: كما أورد سندها ابن شهر آشوب في المناقب؛ لأنّ لديه طريقاً يختلف عن طريق ابن أعثم في النقل. أمّا الخوارزمي، وصاحب تسلية المُجالس، فإنّهم نقلوا الوصية عن ابن أعثم فيكون طريقهم إليها هو طريق ابن أعثم نفسه.

المطلب الثاني: طرق ابن أعثم للوصية

ذكر ابن أعثم الكوفي أسانيد ما نقله حول خروج الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه، في بداية أخبار المقتل من كتابه الفتوح، وذلك بعنوان «**ابتداء أخبار مقتل مسلم ابن عقيل والحسين بن علي وولده وشيعته من ورائه، وأهل السنّة وما ذكروا في ذلك من الاختلاف**».

سند الوصية

قال ابن أعثم (ت٣١٤هـ) بعد ذكر العنوان: «**حدّثني أبو الحسن أحمد بن الحسين النيسابوري، قال: حدّثني محمد بن القاسم المديني، عن أبي حازم مولى ابن عباس، عن**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٢١.

(٢) أُنظر: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة: ج٤، ص١٧٩، وج١٠، ص١٥٨. وأيضاً: الكنتوري، إعجاز حسين، كشف الحجب: ص١٢١.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٨ـ٣٢٩. وأيضاً: البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص١٧٩. والأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٣٠. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨٨.

ابن عباس، قال: وحدّثني عليّ بن عاصم، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: وحدّثني أبو حاتم سهل ابن محمد الصانع، قال: حدّثني نعيم بن مزاحم المنقري، عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي، قال الواقدي: وحدّثني معاذ بن محمد ابن يعقوب بن عتبة القرشي، عن محمد بن الحنفية. أبو الوليد بن رزين، عن أبي إسحاق الهمداني، قال: وحدّثني أبو عمر حفص بن محمد، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن آبائه. قال الواقدي أيضاً: وحدّثني محمد بن عبيد الله بن عنبسة، عن محمد بن عبيد الله، عن عمرو، عن أبيه، وعبد الله بن بجير السهمي، عن سعيد بن قيس الهمذاني، ومحمد بن خالد الهاشمي، عن يعقوب بن سليمان من بني عبد الله الأوسي، عن عبد الرحمن بن المنذر من بني عدي بن النجار، عن العلاء بن يعقوب العجلاني، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، عن أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي، عن الحسين بن كثير الأزدي، عن أبيه. وأبو المنذر أيضاً: عن محمد بن عوانة بن الحكم، بن[1] الهيثم بن عدي، عن عبد الملك ابن سليمان، عن أيوب بن بشير بن عبد الله المعافري، والهيثم بن عدي، عن غالب بن عثمان الهمداني، عن عبد الله بن المعافى المعافري، وعبد الرحمن بن المنذر الأنصاري، وعبد الواحد ابن أبي عون، وهبيرة بن مريم، وعيسى بن دأب عن رجاله، وأبو البختري عن رجاله، كلّهم قد حدّث بهذا الحديث وبعضهم أو عمّا له من بعض، وزيادته ونقصانه على مَن نقله إلينا وقرأه علينا.

فأوّل خبر ورد عليّ من ذلك حديث يحيى بن عبد الرحمن القرشي، عن محمد بن مصعب القرقسائي، عن الأوزاعي، عن ابن عفّان، عن أُمّ الفضل بنت الحارث بن حزن امرأة العباس بن عبد المطلب»[2].

دراسة رجال السند

قد روى ابن أعثم أخبار خروج الإمام الحسين عليه السلام وثورته وما جرى عليه

(١) الظاهر أن (بن) تصحيف، والصحيح (عن) بقرينة ما سيأتي.
(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٤، ص٣٢٢ ـ ٣٢٣.

بثلاثة عشر طريقاً، حسب ما ذكره في بداية أخبار المقتل، وقد تمّ وضع ما يتصل به السند ـ حسب القرائن ـ بين قوسين معقوفين، ولو تمّ اعتماد وتصحيح طريقين على الأقل من هذه الطرق يمكن أن يكون قرينةً على حة صدور الخبر؛ وعليه تكون الطرق كالآتي:

١ـ حدّثني أبو الحسن أحمد بن الحسين النيسابوري، قال: حدّثني محمد بن القاسم المديني، عن أبي حازم مولى ابن عباس، عن ابن عباس.

ـ أحمد بن الحسين النيسابوري: أبو نصر أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري المرواني، روى عنه الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، وقال: «**ما لقيت أنصب منه**»[١]، و«**بلغ من نصبه أنّه كان يقول: اللهمّ صلِّ على محمد فرداً، ويمتنع من الصلاة على آل النبي**صلى الله عليه وآله»[٢].

أو هو أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، سكن الري، وهو أبو الشيخ الحافظ عبد الرحمن، قيل عنه: إنّه عدلٌ وعينٌ وديّن، وقد قرأ على الشريفين المرتضى والرضي والشيخ الطوسي، له كتاب الأمالي وكتاب في الأحاديث، وله أيضاً الروضة، والمفتاح في الأُصول[٣].

ـ محمد بن القاسم المديني: لم أعثر على ترجمة له بهذا اللقب (المديني)، ولكن عثرت على شخصٍ يُحتمل أن يكون هو المراد؛ لتقارب طبقته من النيسابوري، وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن زين العابدين علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام. قال ابن حجر: كان «**فقيهاً عالماً عاملاً عابداً معظّماً عند الزيدية**»[٤]. وقال الشيخ علي النمازي: «**محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الإمام السجاد**عليه السلام**، لم يذكروه، هو العابد الزاهد الورع**»[٥].

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج١، ص١٣٤.
(٢) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٢، ص٩٩ ـ ١٠٠.
(٣) منتجب الدين، علي بن عبيد الله، الفهرست: ص٣٢.
(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج١٠، ص١٩١.
(٥) النمازي الشاهرودي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٧، ص٢٩٣.

ـ **أبو حازم مولى ابن عباس**: وهو نبتل مولى ابن عباس يروي عن ابن عباس. روى عنه إسماعيل بن أبي خالد، ذكره ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) في الثقات[١]، وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنّ أباه أملى عليه: أبو حازم نبتل، روى عنه إسماعيل بن أبي خالد، وهو ثقة[٢].

ـ **ابن عباس**: وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، كان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله. شهد ابن عباس مع علي بن أبي طالب عليه السلام صفّين وقتال الخوارج بالنهروان. استخلف الإمام علي عليه السلام ابنَ عباس على البصرة. كان يُسمّى البحر والحبر؛ لسعة علمه[٣].

وعلى هذه الحال يكون الطريق الأوّل فيه راوٍ مجهول، ووجود أحمد بن الحسين النيسابوري مع نصبه ربما يكون مؤيداً لصدور الحديث وقرينةً على ذلك، فمثل هكذا مضامين إذا رواها المخالف ـ وخصوصاً الناصبي ـ يمكن أن تكون مرجحاً لصدور الحديث؛ إذ إنّه لا مصلحة له في روايتها.

٢ـ قال [النيسابوري]: **وحدّثني علي بن عاصم، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس.**

ـ **علي بن عاصم**: علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، روى عن جماعة منهم عطاء بن السائب، وروى عنه جماعة منهم أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ). قال العجلي (ت٢٦١هـ) في معرفة الثقات: «**كان ثقةً معروفاً بالحديث والناس**

(١) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٥، ص٤٨١.
(٢) أُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٨، ص٥٠٨.
(٣) أُنظر: ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج٣، ص٩٣٣. وأيضاً: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج١، ص١٨٥. والمفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨. والذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٣٣١ـ٣٥٩. وابن حجر العسقلاني، أحمد ابن علي، تقريب التهذيب: ج١، ص٥٠٤.

يظلمونه»[1]. بينما ضعّفه ابن حجر (ت٨٥٢هـ) بكثرة الخطأ والغلط وسوء الحفظ[2]، وقال عنه في تقريب التهذيب: «**صدوق يخطئ ويُصرّ، رُميَ بالتشيع... مات سنة إحدى ومائتين وقد جاوز التسعين**»[3].

وقد يكون هذا التضعيف من ابن حجر من باب التعصّب؛ لأنّه شيعيٌّ، ويؤيّده الاختلاف فيما بينهم في توثيقه وتضعيفه، فمن جانب يعدّه العجلي في الثقات، ومن جانب آخر يرميه ابن حجر بكثرة الخطأ وسوء الحفظ.

ـ **الحصين بن عبد الرحمن**: الحافظ الحجّة المعمر أبو الهذيل حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي، ذكره ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) في الثقات[4]، قال عنه أحمد بن حنبل: «**حصين بن عبد الرحمن، الثقة المأمون، من كبار أصحاب الحديث**»[5].

ـ **أبو الحصين بن عبد الرحمن**: لم يرد أحدٌ بهذا الاسم في كتب الرجال والتراجم، والوارد أبو عبد الرحمن السلمي، اسمه عبد الله بن حبيب، من أهل الكوفة يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان وابن مسعود، روى عنه الكوفيون، مات سنة أربع وسبعين[6].

ـ **مجاهد**: أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي، ثقة، كان إماماً في التفسير، توفّي سنة إحدى ـ أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ـ ومائة وعمره ثلاث وثمانون، ذكره ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) في الثقات[7].

---

(١) أُنظر: العجلي، أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات: ج٢، ص١٥٦.
(٢) أُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج٧، ص٣٠٢.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٦٩٧.
(٤) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٦، ص٢١٠. وأيضاً: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٥، ص٤٢٢ ـ ٤٢٣.
(٥) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٣، ص١٩٣.
(٦) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٥، ص٩.
(٧) أُنظر: المصدر السابق: ص٤١٩. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التهذيب: ج٢، ص١٥٩.

وهذا الطريق تامٌّ، سوى المشكلة التي واجهناها من جانب أبي الحصين (عبد الرحمن)؛ إذ لم يُعثر له على ترجمة، فقد ورد كثيرون بهذا الاسم، ولا يُعلم أيّهم هو والد الحصين، وعلى هذه الحال يكون مجهولاً، فيُضعّف الحديث بجهالة الراوي، ولكن ضعف الحديث تارةً يكون ممكن الزوال ـ وفق ما يتبنّاه بعض علماء العامّة ـ في حالاتٍ: «**كما إذا كان الضعف ناشئاً من جهة الإرسال كما في المرسل الذي يرسله إمامٌ حافظٌ، فإنّ ضعفه يزول بروايته من وجهٍ آخر، فيرتفع بذلك من درجة الضعيف إلى درجة الحسن، ومثل الإرسال... جهالة بعض الرجال**»[1]. وهذا الكلام ينطبق على (الحصين).

٣ـ قال [النيسابوري]: **وحدّثني أبو حاتم سهل بن محمد الصانع، قال: حدّثني نعيم بن مزاحم المنقري، عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي، قال الواقدي: وحدّثني معاذ بن محمد بن يعقوب بن عتبة القرشي، عن محمد بن الحنفية.**

ـ **أبو حاتم سهل بن محمد الصانع**: ورد في كتب الجرح والتعديل: أبو حاتم سهل ابن محمد بن عثمان السجستاني، ولم يرد معه هذا اللقب (الصانع)، ذكره ابن حبان في الثقات[2].

ـ **نعيم بن مزاحم المنقري**: لم يُذكر بهذا الاسم في كتب التراجم والرجال، وقد أورد ابن أعثم روايات كثيرة في كتابه الفتوح باسم نعيم بن مزاحم المنقري، وذكر بعض الباحثين أنّه يراد منه نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ) صاحب وقعة صفّين، وقد حصل اشتباه في الاسم؛ بدليل ورود كثير من آثار نصر في الفتوح باسم نعيم بن مزاحم[3]. وعُدّ نصر بن مزاحم من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، ضعّفه العامّة

(١) السمعواني، طاهر بن صالح، توجيه النظر: ص٣٦٢.
(٢) أُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٤، ص٤٠٢. وأيضاً: ابن حبان، محمد، الثقات: ج٨، ص٢٩٣.
(٣) أُنظر: جعفريان، رسول، منابع تاريخ إسلام (فارسي): ص٥٤.

لتشيّعه[1]، فيما أدرجه ابن حبّان في الثقات[2]، قال النجاشي (ت٤٥٠هـ): «**مستقيم الطريقة، صالح الأمر، غير أنّه يروي عن الضعفاء، كُتبه حِسان...**»[3].

ـ **محمد بن عمرو الواقدي**: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني، وُلد سنة (١٣٠هـ)، كان إماماً عالماً، من حفّاظ الحديث، اتُّهم من قِبل الكثير من رجاليي العامّة بالضعف[4]، بينما قال عنه ابن النديم (ت٤٣٨هـ): «**وكان يتشيّع، حسن المذهب، يلزم التقيّة، وهو الذي روى: أنّ علياً عليه السلام كان من معجزات رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام، وغير ذلك من الأخبار**»[5]. تُوفّي ببغداد سنة (٢٠٧هـ)[6]، ذكر الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في ترجمة إبراهيم بن محمد بن يحيى ـ نقلاً عن بعض ثقات العامّة ـ أنّ كتب الواقدي جميعها إنّما هي كتب إبراهيم هذا، ادّعاها الواقدي ولم نعرف منها شيئاً منسوباً إلى إبراهيم[7]، ذكره السيّد الخوئي في معجمه[8].

يظهر من كلام ابن النديم أنّ ترك العامّة لحديث الواقدي بسبب ميله إلى التشيّع، وهو ما يُفهم من كلامهم حوله؛ إذ يمدحونه من جهة، ويعتبرونه من أوعية العلم،

(١) أُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٨، ص٤٦٨. وأيضاً: الجرجاني، عبد الله بن عدي، الكامل: ج٧، ص٣٧. والخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج١٣، ص٢٨٤.

(٢) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٩، ص٢١٥.

(٣) النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة: ص٤٣٨.

(٤) أُنظر: النسائي، أحمد بن شعيب، الضعفاء والمتروكين: ص٢٣٣. وأيضاً: الجرجاني، عبد الله، الكامل: ج٦، ص٢٤١.

(٥) ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست: ص١١١.

(٦) أُنظر: القمي، عباس، الكنى والألقاب: ج٣، ص٢٧٩ـ٢٨١. وأيضاً: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٦، ص٣١١. وأيضاً: الحسيني، عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ج١، ص٥٢.

(٧) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص ٣٤.

(٨) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٨، ص٧٧.

وإمام المؤرّخين، وأنّه كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح[1]، حتّى أن بعضهم قد وثّقه، بينما يتركون حديثه من جهةٍ أُخرى.

ـ **معاذ بن محمد بن يعقوب بن عتبة القرشي**: أبو القاسم الزاهد، ذكر الذهبي (ت٧٤٨هـ) شخصاً بهذا الاسم في (وفيات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة) من كتابه تاريخ الإسلام، من دون أن يوثّقه أو يضعّفه[2]، وحسب تتبعي القاصر لم أجده إلّا في كتابه، وفي أسانيد كتاب الفتوح لابن أعثم.

وهذا الطريق لا يتمّ؛ لجهالة معاذ بن محمد بن يعقوب.

٤ـ [وقال الواقدي: حدّثني] **أبو الوليد بن رزين، عن أبي إسحاق الهمداني.**

ـ **أبو الوليد بن رزين**: لم يرد هذا الاسم حسب تتبعي البسيط إلّا في الفتوح.

ـ **أبو إسحاق الهمداني**: ذكر الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في رجاله هذا الاسم فيمَن روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، من دون حكم عليه[3].

وذكر ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) بهذا الاسم رجلين:

الأوّل: عمرو بن عبد الله، وقال: «**كان أحسن حديثاً من مجاهد ومن الحسن وابن سيرين**»[4]. وهو ثقة، قال العجلي (ت٢٦١هـ): تابعي مات سنة (١٢٦هـ)[5].

والثاني: عمرو بن عبد الملك بن سلع. وقال عنه: «**روى عن أبيه والسدي، روى عنه أبو سعيد الأشج**»[6].

---

(١) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ: ج١، ص٣٤٨. وأيضاً: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٨، ص١٥٨.

(٢) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٢٧، ص٤٣.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص٨٧.

(٤) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج١، ص١٤٨.

(٥) أُنظر: الجرجاني، عبد الله، الكامل: ج١، ص٦٥. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج٨، ص٥٦ـ٥٩.

(٦) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٦، ص٢٤٦.

وهذا الطريق غير تامٍّ؛ للجهالة في أبي الوليد، والاشتراك في أبي إسحاق.

٥ـ قال [الواقدي]: **وحدّثني أبو عمر حفص بن محمد، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن آبائه.**

ـ أبو عمر حفص بن محمد: ورد بهذا الاسم (حفص بن محمد المؤذّن) في رجال الكشي، في طريقه لترجمة سعد الإسكاف، يروي عن الإمام الصادق عليه السلام، وكذلك وقع في طريق النجاشي في ترجمة أبي رافع، روى عنه الحافظ ابن عقدة[1].

ويمكن تصحيح هذا الطريق بناءً على الأخذ برواية الواقدي وقبولها ـ خصوصاً وهو من العلماء في المغازي والتاريخ، ويرجع إليه أغلب المؤرّخين.

٦ـ قال الواقدي أيضاً: وحدّثني محمد بن عبيد الله بن عنبسة، عن محمد بن عبيد الله، عن عمرو، عن أبيه.

ـ محمد بن عبيد الله بن عنبسة: لم أعثر له على ذكرٍ في الكتب.

ـ محمد بن عبيد الله: ورد كثيرون بهذا الاسم في الأسانيد، ولكن لا يُعرف أيّهم هو الذي ذكره ابن أعثم، وكذلك جهالة مَن يروي عنه تزيد في جهالته.

ـ عمرو: لا يُعرف مَن هو عمرو هذا، وخاصّةً أنّ مَن سبقه في سلسلة السند غير معروفين.

ـ أبو عمرو: وكذلك الحال بالنسبة لأبي عمرو، فهو غير معروف تبعاً لابنه.

وهذا الطريق لا يتمّ بسبب الجهالة في جميع رواته إلّا الواقدي.

٧ـ[الواقدي] **و**[حدّثني] **عبد الله بن بجير السهمي، عن سعيد بن قيس الهمذاني.**

ـ عبد الله بن بجير السهمي: لم أعثر له على ذكر في الكتب.

ـ سعيد بن قيس الهمذاني: وهو من عِلِيَة هَمْدان وكبرائها، وكان من كبار جيل

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ص٤٧٦. وأيضاً: العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، إيضاح الاشتباه: ص١٤١. والنمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٣، ص٢٢٩.

التابعين، وكان صاحب راية همدان في واقعة الجمل وصفّين، ذكره الشيخ الطوسي[1].

ويتمّ هذا الطريق ـ بناءً على قبول رواية الواقدي ـ لولا ورود عبد الله بن بجير السهمي المجهول.

٨ ـ [قال النيسابوري:] و[حدّثني] **محمد بن خالد الهاشمي، عن يعقوب بن سليمان من بني عبد الله الأوسي، عن عبد الرحمن بن المنذر من بني عدي بن النجار، عن العلاء بن يعقوب العجلاني.**

ـ **محمد بن خالد الهاشمي**: لم يُذكر في كتب الخاصّة، وجاء ذكره في كتب العامّة في الضعفاء، وقالوا: عن مالك قال أبو حاتم: يكذب[2].

ـ **يعقوب بن سليمان**: ورد ذكر اثنين بهذا الاسم: الأوّل باسم يعقوب بن سليمان ولم يُذكر عنه شيء، وقع في طريق الشيخ الصدوق. والثاني باسم يعقوب بن سليمان القاضي الاسفرائيني المعروف من علماء القرن السادس، ومن الواضح ليس المراد الثاني؛ لأنّه عاش في القرن السادس بعد وفاة ابن أعثم[3].

ـ **عبد الرحمن بن المنذر**: لم أعثر له على ذكرٍ في كتب التراجم والسير، وقد وردت بهذا الاسم مجموعة ليس واحد منهم من بني عدي بن النجار.

ـ **العلاء بن يعقوب العجلاني**: لم يرد بهذا الاسم إلّا في الفتوح، وقد ورد العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب المديني مولى الحرقة، والحرقة من جهينة، رَوى عن أنس ابن مالك، وعبد الله بن عمرو وأبيه، عداده في أهل المدينة، روى عنه مالك وشعبة والثوري، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة[4]. ولا أدري هو نفسه المراد أو لا.

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص٦٧.

(٢) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج٣، ص٥٣٥. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٥، ص١٥٣. وأيضاً: النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٧، ص٨٤.

(٣) أُنظر: الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٢٨، ص٩٧. وأيضاً: النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٨، ص٢٧٤.

(٤) أُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٦، ص٣٥٧. وأيضاً: ابن حبّان،

وهذا الطريق غيرُ تامٍّ وضعيف؛ لجهالة بعض الرواة، وضعف محمد بن خالد الهاشمي.

٩ـ [قال النيسابوري:] **و[حدّثني] أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، عن أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي، عن الحسين بن كثير الأزدي، عن أبيه.**

ـ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: ويُكنّى ابن الكلبي، عالمٌ بالأيّام، مشهورٌ بالفضل والعلم، ومن المختصّين بمذهبنا، وله الحديث المشهور: «**اعتللتُ علّةً عظيمةً نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي**»، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقرّبه ويدنيه. له كتبٌ كثيرة، كانت وفاته سنة (٢٠٦هـ)[١].

ـ أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي: قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ): «**من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أصحاب الحسنين عليهما السلام، على ما زعم الكشي، والصحيح أنّ أباه كان من أصحاب علي عليه السلام، وهو** [أي: لوط] **لم يلقَه أي:** [أمير المؤمنين عليه السلام]»[٢].

قال النجاشي (ت٤٥٠هـ) بعد ذكر اسمه: «**شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يُسكن إلى ما يرويه**»[٣]. له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره، وما كان قبله بيسير، منها: مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهو مطبوع، اعتمد عليه علماء السنّة في النقل، كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما، تُوفّي سنة (١٥٧هـ)[٤].

ـ الحسين بن كثير الأزدي: لم أعثر له على ذكر بهذا الاسم.

محمد، الثقات: ج٥، ص٢٤٧. وأيضاً: وأيضاً: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٦، ص١٨٦.

(١) أُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة: ص٤٣٤. الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفّاظ: ج١، ص٣٤٣.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٢٠٤.

(٣) النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة: ص٣٢٠.

(٤) أُنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٥، ص٢٤٥.

ـ **أبو كثير الأزدي**: ذُكر بهذا الاسم في كتب العامّة من الصحابة، ممّن رأى النبيﷺ، روى عنه عقبة بن مسلم التجيبي، سكن في مصر، ويعدّ في أهلها[1].

وهذا الطريق تامٌّ أيضاً لو لا جهالة الحسين بن كثير الأزدي، الذي يروي عنه أبو مخنف. وكما مرّ أنّ الضعف بالجهالة ممكن الزوال إذا كان الراوي عن المجهول شيخاً حافظاً[2].

١٠ـ [قال النيسابوري:] و[وحدّثني] **أبو المنذر أيضاً: عن محمد بن عوانة بن الحكم بن[3] الهيثم بن عدي، عن عبد الملك بن سليمان، عن أيوب بن بشير بن[4] عبد الله المعافري.**

ـ **محمد بن عوانة بن الحكم**: لم يرد هذا الاسم إلّا في الفتوح، وقد ورد في كتب الرجال والسير عوانة بن الحكم، والظاهر أنّ المراد هنا هو عوانة لا محمد بن عوانة؛ بدليل رواية أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي عنه، إذ إنّ المذكور ممّن يروي عنه أبو المنذر هو عوانة لا محمد بن عوانة. قال الذهبي: «**عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر الكلبي، العلّامة الأخباري... يروي عنه: هشام ابن الكلبي**». ثمّ يقول: «**وكان صدوقاً في نقله**»[5]. وعوانة هذا كان عثمانياً يضع الأخبار لبني أُميّة[6].

ـ **الهيثم بن عدي**: ذكره الشيخ في رجاله في باب ذكر أسماء مَن لم يروِ عن واحد من

---

(١) أُنظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج٣، ص١٣٠٩. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٤، ص٢٣١. وأيضاً: الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٢٤، ص٢٤٣.

(٢) السمعواني، طاهر بن صالح، توجيه النظر: ص٣٦٢.

(٣) الظاهر أنّ الصحيح: (عن)، و(ابن) تصحيف؛ لأنّهما ليسا ولداً ووالداً، كما سيتّضح في ترجمتهما.

(٤) الظاهر أنّ (بن) تصحيف، والمراد (عن)؛ لأنّهما ليسا ولداً ووالداً، كما سيتّضح في ترجمتهما.

(٥) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٧، ص٢٠١.

(٦) أُنظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست: ص١٠٣. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٤، ص٣٨٦.

الأئمّة عليهم السلام، روى عنه محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري صاحب نوادر الحكمة، ولكن نبّه الشيخ الطوسي ـ نقلاً عن أبي جعفر بن بابويه ـ أنّ ما كان من رواية الأشعري فيها غلو وتخليط طريقه عن مجموعة ذكر منهم الهيثم بن عدي هذا، أي: إنّه استثناه ممّن روى عنه محمد بن أحمد بن يحيى[1].

ـ **عبد الملك بن سليمان**: ذكر ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) في الثقات ثلاثة بهذا الاسم، وهم: عبد الملك بن سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث، وعبد الملك بن سليمان الأسلمي، وعبد الملك بن سليمان القرقسائي[2]. والظاهر أنّ المراد الثاني، لرواية الواقدي عنه.

ـ **أيوب بن بشير**: ورد في كتب الرجال مجموعة بهذا الاسم، لكنّه محصور في اثنين منهم؛ لأنّ الاثنين أحدهما يروي عن تابعي، والآخر عن صحابي، وهما: أيوب ابن بشير بن كعب العدوي، روى عن رجل عن أبي ذر، وأيوب بن بشير المعاوي الأنصاري، روى عن أبي سعيد الخدري. ذكرهما ابن حبّان في الثقات[3].

ـ **عبد الله المعافري**: الظاهر أنّ المراد هو عبد الله بن يزيد المعافري ثمّ الحبليّ، يعدّ في المصريين؛ وهو تابعي يروي عن جابر، وأبي ذر، وابن عمر، وغيرهم من الصحابة، وعن يحيى بن معين أنّه ثقة، ذكره ابن حبّان في الثقات[4].

وهذا الطريق ضعيفٌ لا يمكن تصحيحه؛ لكثرة هناته، ففيه جهالة واشتراك في بعض رواته.

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٢٢٢. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص٤٤. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٢٠، ص٣٥٣.

(٢) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٧، ص١٠٣، ج٨، ص٣٨٥، وص٣٩٠. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٤، ص٦٥.

(٣) أُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٢، ص٢٤٢. وأيضاً: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٤، ص٢٦.

(٤) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٧، ص١٠. وأيضاً: المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال: ج١٦، ص٣١٦.

١١ـ[قال النيسابوري:] و[حدّثني] **أبو المنذر، عن عوانة بن الحكم** و[عن] **الهيثم ابن عدي، عن غالب بن عثمان الهمداني، عن عبد الله بن المعافى المعافري. و**[عن] **عبد الرحمن بن المنذر الأنصاري.. و**[عن] **عبد الواحد بن أبي عون.. و**[عن] **هبيرة ابن مريم.**

ـ **غالب بن عثمان الهمداني:** ذكره النجاشي (ت٤٥٠هـ) في رجاله، وقال: كان زيدياً، يروي عن الإمام الصادق، وعدّه الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[١].

ـ **عبد الرحمن بن المنذر الأنصاري:** لم أعثر عليه بهذا الاسم في كتب السير، والموجود عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الشاعر، تابعي، ذكره ابن حبّان في الثقات[٢].

ـ **عبد الواحد بن أبي عون:** عبد الواحد بن أبي عون الدوسي أو الأويسي، يروي عن بعض التابعيين، قال ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ): «**عن يحيى بن معين قال: عبد الواحد بن أبي عون ثقة...**»[٣]، ذكره ابن حبّان في الثقات[٤].

ـ **هبيرة بن مريم:** ذكره الشيخ في الرجال وقال: هبيرة بن بريم، وفي نسخة أُخرى (مريم)، وعدّه من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولم يحكم عليه[٥].

وهذا الطريق فيه اشتراك وجهالةٌ في بعض رواته عيناً وحالاً.

١٢ـ[وحدّثني] **عيسى بن دأب عن رجاله،** [وحدّثني] **أبو البختري عن رجاله.**

---

(١) أُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة: ص٣٠٥. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص٢٦٧. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٤، ص٢٤١.

(٢) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٥، ص٨٩.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٦، ص٢٢.

(٤) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٧، ص١٢٣.

(٥) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص٨٥. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٢٠، ص٢٧٩.

ـ **عيسى بن دأب**: وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، كان أخبارياً علّامة نسّابة، منكر الحديث، كان ذا خطوة عند المهدي[1].

ـ **أبو البختري**: ورد بهذا الاسم ثلاثة: سعد بن عمران أو ابن فيروز، كوفي مولى من أصحاب الإمام علي عليه السلام، والثاني مؤدب وُلد الحجاج، والآخر وهب بن وهب ابن عبد الله القاضي، عامي المذهب، ضعيف، كان قاضياً للرشيد[2].

لا يُعرف أيّهم المقصود، ولكن الأقرب هو: وهب بن وهب، لقرب عصره من ابن أعثم وإمكان روايته عنه.

وهذا الطريق لا يتمّ؛ لضعف عيسى بن دأب واشتراك أبي البختري.

١٣ـ فأوّل خبرٍ ورد عليَّ من ذلك حديث يحيى بن عبد الرحمن القرشي، عن محمد ابن مصعب القرقسائي، عن الأوزاعي، عن ابن عفّان، عن أُمّ الفضل بنت الحارث ابن حزن امرأة العباس بن عبد المطلب.

ـ **يحيى بن عبد الرحمن القرشي**: لم أعثر له على ذكر بهذا الاسم إلّا في الفتوح.

ـ **محمد بن مصعب القرقسائي**: ورد باسم محمد بن مصعب القرقساني، روى عن الأوزاعي وأبي بكر بن أبي مريم. عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: «**سمعت أبي وذكر محمد بن مصعب، فقال: لا بأس به، وحدّثنا عنه بأحاديث**»[3]. وقال ابن حبّان (ت٣٥٤هـ): «**كان ممّن ساء حفظه حتّى كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، فأمّا فيما وافق الثقات فإن احتجّ به محتجّ... لم أرَ بذلك بأساً**»[4].

---

(١) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج٣، ص٣٢٧. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٤، ص٣٩٥.

(٢) أُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة: ص٤٣٠. وأيضاً: الطوسي، محمد ابن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص٤٠٣. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٢٠، ص٣٣٢.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٨، ص١٠٣.

(٤) ابن حبّان، محمد، كتاب المجروحين: ج٢، ص٢٩٣.

وقع في طريق الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) في الأمالي وفي ثواب الأعمال، وكذلك في أمالي الشيخ[١].

ـ **الأوزاعي**: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، قال ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ): سُئل العباس بن الوليد عنه، «**فقال: أدركته وأدركت أهل زمانه، وهم لا يشكّون أنّه من الأبدال**»[٢]. وعَدُّ الراوي من الأبدال من أعلى درجات التوثيق.

ذكره ابن حبّان (ت٣٥٤هـ) في الثقات وعدّه من فقهاء الشام وقرّائهم وزهّادهم، مات سنة سبع وخمسين[٣].

ـ **ابن عفّان**: لم يرد فيمَن روى عنهم الأوزاعي بهذا الاسم، لا من شيوخه ولا من غيرهم، وإنّما هناك ممّن يروي عن الأوزاعي شخص بهذا الاسم وهو عبد الغفار بن عفّان، صهر الأوزاعي وابن خال وِلده[٤]، ويُستبعد أن يكون المقصود هو؛ لأنّه هو مَن يروي الأوزاعي عنه لا العكس.

ـ **أُمّ الفضل بنت الحارث بن حزن**: وهي لبابة بنت الحارث الهلاليّة، زوجة العباس بن عبد المطلب، أوّل امرأة أسلمت بعد خديجة (رضوان الله عليها)، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها ويقِيل في بيتها، روت عن النبي صلى الله عليه وآله، تُوفّيت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس[٥].

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٤١٨. وأيضاً: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٧٧. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٢٤٦. وأيضاً: النمازي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٧، ص٣٣٠.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن، الجرح والتعديل: ج٧، ص٣١٨.

(٣) أُنظر: ابن حبّان، محمد، الثقات: ج٧، ص٦٣. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التهذيب: ج١، ص٥٨٤.

(٤) أُنظر: ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: ج٦، ص٥٤. وأيضاً: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٦، ص٣٩٢.

(٥) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٨، ص٢٧٧. وأيضاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٨، ص٤٥١. وأيضاً: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٥، ص٢٣٩.

وهذا الطريق الثالث عشر الأخير مستبعد، سواء صحّ وتمّ أم لا؛ لأنّه ينتهي بأُمّ الفضل التي توفّيت أيّام عثمان، أي: قبل صدور الوصية.

محاولة تصحيح سند الوصية

من الأُمور التي تعضد اعتبار الحديث والرواية، هو تعدّد نقلها وروايتها بطرق مختلفة، وهذا التعدّد والكثرة كلّما زادت واتسعت دائرتها يزيد بتبعها اعتبار الرواية، حتّى تصل حدّ التواتر، ورواية ابن أعثم لأحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي بضمنها وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، قد وردت بطرق متعددّة بلغت كما مرّ ثلاثة عشر طريقاً، طريقان أو ثلاثة منها تامّة، والباقية تجبر بعضها بعضاً، وتكون مؤيداً لغيرها، مع مراعاة التسامح في الحكم على سند الرواية التاريخية، خصوصاً إن كان المتن ليس فيه مخالفةٌ لأساسيات الدين، بل إنّ ما ورد فيها يتلاءم ويتوافق مع أهداف الإمام الحسين عليه السلام التي صرّح بها وأشار إليها في موارد كثيرة معروفة ومشهورة ومنقولة بطرق معتبرة، فهناك قرائن في متن وسند الوصية تُشير إلى صحّة صدورها ولو على نحو الموجبة الجزئية، هي:

١ـ يمتاز ابن أعثم بانتقاء الرواية التي ينقلها، فهو لا ينقل إلّا ما يستحسنه، ويكون تامّاً لديه، بأن يكون مُجمَعاً عليه[1].

٢ـ ما ورد في متن الوصية موافقٌ لأهداف النهضة الحسينية ومتلائم معها.

٣ـ تعدّد الطرق في نقل الرواية، يعضد اعتبارها وصحّتها.

٤ـ بعض الطرق التي مرّت هي طرق صحيحة، خصوصاً لو تسامحنا في نقل الرواية التاريخية، ولم نتعامل معها بالشدّة نفسها التي نتعامل بها مع الرواية الفقهية.

٥ـ تبيّن في تراجم بعض الرواة الذين وقعوا في السند أنّهم من العامّة، وبعضهم ممّن يضع الحديث لبني أُمية، وبعضهم عثماني الهوى، بل إنّ بعضهم من النواصب،

(١) أُنظر: إبراهيم يوسف وغيداء خزنة، منهج أحمد بن أعثم الكوفي عن الخلافة الأُموية من كتابه الفتوح، في المجلّة الأُردنية للتاريخ والآثار: العدد١، المجلّد٢، ص٣٨.

وهذا قد يكون مؤيداً لصحّة صدور الوصية؛ إذ لا مصلحة لهؤلاء أن يرووا نصاً كهذا.

المطلب الثالث: طرق ابن شهر آشوب للوصية

تقدّم أنّ ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) نقل مقطعاً من الوصية مع بعض التقديم والتأخير، ولم يذكرها بعنوان الوصية، إلّا أنّه باعتبار ما أورده ابن أعثم ومَن تبعه عليه، فهو مقطع من الوصية وإن لم يعنونها ابن شهر آشوب بهذا العنوان، فالمؤدّى واحد، وهي مذكورة في ضمن الحوار الذي دار بين الإمام عليه السلام وبين محمد بن الحنفية.

وقد ذكر ابن شهر آشوب في بداية حديثه حول خروج الإمام الحسين عليه السلام ومقتله وما جرى عليه: «**وهذه نبذة اخترناها ممّا صنّفه أبو جعفر ابن بابويه، والسيّد الجرجاني، وابن مهدي المامطيري، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وشاكر بن غنمة، وأبو الفضل الهاشمي وغيرهم**»[1].

وهذا يعني أنّ الأخبار التي نقلها في خروج الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه ومحاوراته إنّما أخذها ممّا صنفه هؤلاء الستة الذين ذكرهم ـ سواء سمعها منهم، أم نقلها عنهم بالوجادة ـ وغيرهم ممّن اعتمد عليهم. ومن هنا نتناول بعضاً من حال هؤلاء الستة:

١ـ أبو جعفر بن بابويه: الظاهر أنّ المقصود هو الشيخ الصدوق رحمه الله محمد بن علي ابن الحسين (ت٣٨١هـ)، وهو غنيٌّ عن التعريف، والتوثيق.

٢ـ السيّد الجرجاني: هذا الاسم مشتركٌ بين أكثر من واحد، ولكن الأقرب للمراد هو السيّد المنتهى بن أبي زيد بن كبابكي الحسيني الجرجاني؛ وذلك لأنّ ابن شهر آشوب قد ذكر ضمن أسانيده لكتب الشيعة هذا الاسم وهو طريقه لكتب الشيخ الطوسي[2].

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٩٥.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٣٣.

ورد ذكره على أنّه من تلاميذ الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، وأنّه يروي عنه، لم يرد ذكره في كتب الجرح والتعديل عند الفريقين؛ وذلك لأنّه متأخّر عن الأُصول الرجالية كرجال النجاشي والطوسي، إلّا أنّه عالم فقيه ورع، وهو من شيوخ ابن شهر آشوب[١].

أمّا بالنسبة لعصره، فإنّ ابن شهر آشوب قد عاصره وأخذ عنه؛ بدليل قوله في مقدّمة المناقب ـ عند ذكره لطريقه إلى كتب الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) ـ: «**وحدّثنا أيضاً المنتهى بن أبي زيد بن كبابكي الحسيني الجرجاني...**»[٢]؛ فإنّ قوله: (حدّثنا)، يدلّ على نحوٍ من أنحاء التحمّل وهو السماع للحديث مباشرةً؛ فيكون السيّد الجرجاني شيخ ابن شهر آشوب وأجاز له الحديث[٣]. وقِيل: يُحتمل أنّها تدلّ على الإجازة، فتكون أدنى رتبةً في التحمّل من (سمعت). في حين ذكر بعضهم أنّ في (حدّثنا وحدّثني) مزيةً على (سمعت)؛ لأنّ فيها دلالة على أنّ الشيخ روى الحديث وخاطبه به، بخلاف (سمعت)، كما ذكر ذلك الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ)[٤]. ولفظ الجمع (حدّثنا) يدلّ على أنّه لم يكن منفرداً بالسماع وإنّما مع جماعةٍ. وعلى كلّ حالٍ فمع الاحتمالين يكون السيّد الجرجاني معاصراً لابن شهر آشوب.

٣ـ ابن مهدي المامطيري: وهو أبو الحسن علي بن مهدي المامطيري، زيدي المذهب، له كتاب نزهة الأبصار ومحاسن الآثار[٥]، ذكره منتجب الدين (ت٥٨٥هـ)

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى (مقدّمة حياة الشيخ الطوسي بقلم الشيخ آقا بزرك الطهراني): ص٣٩. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠٤، ص١٧١. وأيضاً: النوري، حسين، خاتمة المستدرك: ج٣، ص٩١.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص٣٣.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠٤، ص١٧١.

(٤) الشهيد الثاني، زين الدين، شرح البداية: ص٩٠.

(٥) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، معالم العلماء: ص١٠٦.

في فهرسته، وقال عنه: «**فقيهٌ، وجهٌ**»[1]. وهي من ألفاظ المدح التي يُستفاد منها التحسين.

٤ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل: روى ابن شهر آشوب إسناد الإبانة عن الفراري، عن أبي عبد الله الجوهري، عن القطيفي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه ـ أي: أحمد بن حنبل ـ عن أبي عبد الله محمد بن بطة العكبري... وكذلك روى عنه ما حصل إليه من مسند أحمد، روى عبد الله ـ هذا ـ عن أبيه كثيراً، ومن جملة ما رواه (المسند)[2]، وقد ذكر المزي (ت٧٤٢هـ) أنّ عباساً الدوري قال: كنت يوماً عند أحمد، فدخل ابنه عبد الله، فقال أحمد: «**إنّ أبا عبد الرحمن قد وعى علماً كثيراً. وعن أبي زرعة الرازي، قال: قال لي أحمد بن حنبل: ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث. أو قال: من حفظ الحديث**»[3].

٥ـ شاكر بن غنمة: لم يرد ذكره في الكتب الرجالية ولا الكتب الروائية، سوى عند ابن شهر آشوب في سند الرواية، حتّى أنّه لم يذكره في المقدّمة عند ذكر الأسانيد لما يرويه من العامّة والخاصّة، ولا أعلم ربما يكون ذُكر تحت اسم آخر، إلّا أنّه على هذه الحال يكون مجهولاً.

٦ـ أبو الفضل الهاشمي: الظاهر أنّ المراد به هو (أبو الفضل الداعي بن علي الحسيني السروي)؛ وذلك لأنّه الوحيد الذي ورد في أسانيد كتابه المناقب في المقدّمة عند ذكر أسانيده لما يحدّث به من أحاديث وروايات، وذكره الحرّ العاملي في أمل الآمل، وقال: «**السيّد أبو الفضل الداعي بن علي الحسيني السروي، كان عالماً، فاضلاً، من**

(١) منتجب الدين، علي بن بابويه، الفهرست: ص٨٦. وأُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠٢، ص٢٥٠. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٣، ص٢٠٦.

(٢) أُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١٣، ص٥١٧. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص١٢.

(٣) المزي، يوسف عبد الرحمن، تهذيب الكمال: ج١٤، ص٢٨٩. وأُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١٣، ص٥١٨.

مشايخ ابن شهر آشوب»[1]، ونقل ذلك السيّد الخوئي (ت١٤١٣هـ) في معجمه[2].

وعلى هذا؛ فالطريق الذي نقل عنه ابن شهر آشوب لا يُطعن فيه، سوى من جانب شاكر بن غنمة، ولكن مع ما يتمتّع به ابن شهر آشوب من جلالة قدر ومنزلة عظيمة، يمكن تصحيح روايته هذه، واعتبار متنها.

المبحث الثاني: دراسة في متن الوصية

ما ورد في هذه الوصية هو كلام صادر عن الإمام المعصوم، فكلامه خالٍ من الخطأ والاشتباه بحكم العصمة، ومليء بالمواعظ والإرشادات الدينية، في ضوء القرآن الكريم وسنّة الرسول محمدﷺ وإكمالاً لماء جاء بهﷺ؛ لأنّ الإمامعليه السلام هو امتداد للرسالة المحمدية الغرّاء، وعند ملاحظة ما جاء في هذه الوصية، نلاحظ أنّهعليه السلام في أوّل كلامه يؤكّد على مبادئ العقيدة الإسلامية من توحيد ونبوّة ومعاد، موجهاً بذلك رسالة إلى الناس بأنّها من أساسيات الدين، وبعد ذلك يشير إلى سبب خروجه، وهو بالأساس إقامة الاعوجاج الذي حصل بعد استشهاد النبيﷺ، وإرجاع الناس إلى رشدهم وصوابهم، وإصلاح المجتمع إصلاحاً شاملاً لجميع الجوانب الفكرية والسلوكية والعقدية، بعد أن عادوا للجاهلية، وانحرفوا عن جادة الصواب، هذا كلّه من باب إعلاء كلمة الإسلام ونظامه، ودفاعاً عن دين الله، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معبّراً عن ذلك بقولهعليه السلام: «**أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب...**».

إذاً؛ هذا ما أكّد عليه الإمام الحسينعليه السلام وخرج من أجله؛ إذ خرج طلباً للصلاح في أُمّة جدّهﷺ.

وعليه؛ فإنّ الحديث عن متن الوصية يقع في مطالب:

---

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل: ج٢، ص١١٣.

(٢) اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٨، ص٩٢.

المطلب الأوّل: تأكيد الإمام الحسين عليه السلام على مبادئ العقيدة الإسلامية

من أولويات ما أكّد عليه الإمام عليه السلام وبيّنه في وصيته هو مبادئ العقيدة الإسلامية التي هي أُصول الدين، مشيراً إليها بقوله: «**إنّ الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنّة حقّ والنار حقّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور**»، مختصراً بكلامه هذا ثلاثة من مبادئ الدين وأُصوله الاعتقادية وهي: التوحيد، والنبوّة، والمعاد، ويمكن الإشارة إلى هذه المبادئ في وصية الإمام عليه السلام بما يأتي:

١. التوحيد: وهو الأصل الأوّل من أُصول الدين الإسلامي، وهو أصل كلّ الأُصول؛ إذ تتفرّع عليه باقي الأُصول، فمَن لا يؤمن بالله ووحدانيته، فهو لا يؤمن بنبيّ، ولا وصي، ولا يوم حساب.

وقد اتفق المسلمون على أنّ الله واحد لا شريك له، وأنّه هو المعبود لا سواه، ولا تجوز عبادة غيره كلّ ذلك مؤيداً بالكتاب والسنّة والعقل والإجماع، وقد فصّل علماء الكلام مراتب التوحيد بما دلّ عليه القرآن الكريم من آيات، كالتوحيد في الذات، وفي الخالقية، وفي الطاعة والعبادة، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمّة المعصومون عليهم السلام على عاتقهم تبليغ ما جاء به القرآن الكريم من مبادئ العقيدة، والأحكام الشرعية وبيانها وشرحها؛ بُغية هداية الأُمّة إلى بارئها وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، فكانوا نوراً يضيء للأُمّة طريقها نحو الحقّ تعالى، وقد قاموا بدورهم على أكمل وجه، كما هو ملاحظ من سيرتهم، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله منذ بداية الدعوة وإلى آخر حياته هو المرشد والمعلّم والأب الروحي لأصحابه، يقوّم لهم أعمالهم ويُرشدهم للصحيح، وينبّههم على الخطأ، ويُعلّمهم تعاليم الإسلام، فقد

(١) يوسف: آية ٤٠.

روى مسلم (ت٢٦١هـ) في صحيحه عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**بُني الإسلام على خمسة: على أن يوحّد الله، وإقام الصلاة...**»[١]، وكذلك ورد في المحاسن قوله صلى الله عليه وآله: «**ألا أُخبركم بما يكون به خير الدنيا والآخرة، وإذا كربتم واغتممتم دعوتم الله به ففرّج عنكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قولوا: لا إله إلّا الله ربّنا، لا نشرك به شيئاً...**»[٢]. وغير ذلك الكثير الكثير، ومن بعد الرسول جاء الأئمّة عليهم السلام لأداء هذا الدور، بما أنّهم امتداد للنبوّة، وخلفاء الله في أرضه، فكانت خطبهم ووصاياهم وإرشاداتهم مليئة بهذه المعاني.

من هنا جاء دور الإمام الحسين عليه السلام في تأكيده على أُصول الدين عموماً، والتوحيد بصورة خاصّة، وعند ملاحظة خطابات الإمام الحسين عليه السلام وأدعيته نرى أنّها مليئة بالتوحيد، ونفي الشريك عن الله تعالى، فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «**فسبحان الله الواحد الحقّ، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد**»[٣]، وهناك كلمات أُخرى للإمام عليه السلام تُشير للتوحيد وتؤكّد عليه[٤].

٢ـ النبوّة: وهي ـ عند الإمامية ـ الأصل الثالث من أُصول الدين بعد التوحيد والعدل، وهي متفرّعة عن العدل الإلهي؛ وذلك لأنّ الله تعالى بموجب عدله لا بدّ أن يرسل أنبياء ورسلاً لهداية الناس؛ ليقيم الحجة عليهم، فيُجازي المحسن ويعاقب المسيء، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية إلى هذا الأصل بقوله: «**وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده**»، وأراد بذلك أنّه يجب على كلّ مسلم أن يعتقد بالرسالة السماوية بعد الاعتقاد بالله تعالى، وذِكره لهذه الأُمور في بداية الوصية إنّما هو إشارة منه إلى أنّ نهضته هي امتداد لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله ومنهجه، فيكون مَن يتبعه إنّما يتبع منهج النبي محمد صلى الله عليه وآله في إقامة الحقّ وردع الباطل.

(١) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج١، ص٣٤.
(٢) البرقي، أحمد بن خالد، المحاسن: ج١، ص٣٢.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٢، ص٧٨.
(٤) أُنظر: العبادي، علي حمود، أُصول الدين في النص الحسيني: ص٥٩ وما بعدها.

٣. المعاد: بعد أن قدّم الإمام الحسين عليه السلام التأكيد على التوحيد والنبوّة، انتقل إلى التأكيد على البعث ويوم الحساب، وما يستتبعه من ثواب وعقاب، وهذا هو الأصل الخامس ـ عند الإمامية ـ من أُصول الدين، ويشترك المسلمون مع غيرهم من أصحاب الديانات السماوية بالاعتقاد بهذا الأصل بصورة عامّة، وإن اختلفوا معهم في التفاصيل، وقد أعطى الإسلام الاهتمام الشديد والعناية البالغة لهذا الأصل، فنرى أنّ القرآن الكريم قد أشار إليه في مواطن عديدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[١]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة. وكذلك اهتمّ الرسول صلى الله عليه وآله به، فقد أشار إلى المعاد والحساب في كثير من خطبه، منها قوله: «**يا بني عبد المطلب، إنّ الرائد لا يكذب أهله، والذي بعثني بالحقّ نبياً، لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلّا جنة أو نار، وخلْقُ جميع الخلق وبعْثُهم على الله عزّ وجلّ كخلْق نفس واحدة وبعْثها**»[٢]، وأكمل الأئمّة عليهم السلام من بعده هذا المسير.

ومن هنا؛ جاء دور الإمام الحسين صلى الله عليه وآله في حمل أعباء الرسالة وإكمالها والحفاظ عليها، وقد أشار للمعاد والحساب بقوله: «**وأنّ الجنة حقّ والنار حقّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور**». وهذا الكلام من الإمام إنّما هو إكمال لما بشرت به رسالة جدّه الرسول محمد صلى الله عليه وآله؛ إذ إنّه لا يحيد عنها فهو امتداد لها، ويؤكّد على أنّ الحساب والثواب والعقاب والبعث هو الحقّ الذي لا بدّ منه.

وبما أنّ الإمام عليه السلام هو الذي يمثّل الامتداد الإلهي لتبليغ رسالة النبي صلى الله عليه وآله، وهو سائرٌ على نهج جدّه، مؤمنٌ بما جاء به من مفاهيم تمثّل الاعتقاد الإسلامي، فهو يدعو من خلال الوصية إلى التمسّك بهذه المرتكزات والاعتقادات والمبادئ، وأنّه خارج من أجل الحفاظ عليها والوقوف بوجه مَن يريد طمسها وإضاعتها[٣].

---

(١) طه: آية ١٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الاعتقادات: ص٦٤.

(٣) أُنظر: تأمّلات في وصية الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية، موقع العتبة الحسينية المقدّسة: http://imamhussain-lib.com/arabic/pages/bohoth020.php.

المطلب الثاني: المعاني المعرفية المُستفادة من الوصية

عند التأمّل في الوصية، نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد ركّز على بعض المعاني والمفاهيم الإسلامية المهمّة؛ كونها تمثّل المنهج الإسلامي الصحيح، مشيراً إلى الأسباب التي دعته إلى الوقوف بوجه يزيد (عليه لعائن الله)، وأنّ خروجه لم يكن من أجل الدنيا، وإنّما هو من أجل صلاح الأُمّة الإسلامية، فهو الشخص الذي يمثّل الدين بأبهى تجلياته على الأرض، فمن الطبيعي أن ينهض بوجه الظلم والجور والفساد، فبعد أن رأى الحقّ لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، خرج منادياً: «**ليرغب المؤمن في لقاء ربّه، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1]، فلا داعي لحياة ودنيا تملؤها المنكرات والمعاصي، ونصّ وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية يؤكّد هذا المعنى، فهو بعد التأكيد على مبادئ العقيدة الإسلامية، قال: «... **وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أُمّة جدّي محمد** صلى الله عليه وآله، **أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد** صلى الله عليه وآله، **وسيرة أبي علي بن أبي طالب**»، فاستخدم الأداة (إنّما) التي تفيد الحصر، حصر هدفه بطلب الصلاح والنجاح في أُمّة جدّه محمد صلى الله عليه وآله، بعد أن رأى الفساد يعمّ العالم آنذاك، فلم يرَ بداً من الخروج آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مصلحاً للمجتمع، ولا يهمّه إن قبل الناس ذلك أم لا، رضوا به أم لا، مقتدياً بنهج القرآن الكريم: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2]، قائلاً: «**فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلى بالحقّ، ومَن ردّ عليَّ هذا أصبر حتّى يقضي** [الله] **بيني وبين القوم بالحقّ، ويحكم بيني وبينهم** [بالحقّ] **وهو خير الحاكمين**». فهو عليه السلام لا يضرّه عدم اتباع الناس له، أو عدم نصرتهم له؛ لأنّهم هم الذين سيخسرون بعدم اتّباعهم الإمام المفترض الطاعة، الذي يدور الحقّ معه حيثما دار، ومن الواجب على الناس اتّباعه، فمَن قبِله واتّبعه

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٤٢٢.
(٢) المائدة: آية١٠٥.

فقد اتّبع الحقّ الذي أراده الله تعالى، ومَن ردّ عليه ونهض بوجهه وحاربه، فإنّه الخاسر الأكبر في الدنيا والآخرة، والحكم أولاً وآخراً لله تعالى.

وعليه؛ فقد كانت هذه الوصية دعوةً من الإمام عليه السلام لإحياء الدين وإماتة البدع، ولكنّها دعوةٌ اختيارية، دعوةٌ للأحرار، وقد ألقى الإمام عليه السلام فيها الحجّة على الناس، ولكنّه لم يجد مَن يسمع له ويُطيعه إلّا النفر القليل من أصحابه.

ويمكن أن يستفاد من وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية معانٍ معرفية عديدة، نذكر منها معنيين:

١ـ إقامة النظام الإسلامي

عُرّف النظام بأنّه الأحكام والقواعد والمبادئ التي تُوضع لتنظيم حياة الناس[١]. فالحياة إذا خلت من النظام تصبح فوضى وعبثاً، وحاشا لله أن يخلق الناس ويتركهم تائهين دون أن يشرّع لهم نظاماً وقانوناً ينظّم أُمورهم الحياتية والاجتماعية.

ولا بدّ من وجود شخص يفرض هذا القانون ويطبّقه، وإلّا فمن دون هذا الشخص لا يُطبّق النظام، ولا يوجد شخص في الأرض أصلح من الرسل والأنبياء والأوصياء؛ فأرسل الله الأنبياء والرسل والأوصياء لينوبوا عنه في الأرض، ويطبقوا حُكمه ونظامه وقوانينه التي شرّعها على وجه البسيطة، من أوّل الخليقة وإلى اليوم، فكانت رسالة الخاتم محمد صلى الله عليه وآله رسالة سماوية خالدة شاء الله لها أن تكون الرسالة الخاتمة الصالحة لكل زمان ومكان، ختم بها كلّ رسالاته، وجعلها الدستور والنظام الذي يُنظّم حياة الناس والمجتمع.

وبعد أن رحل النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا، ولحق بالرفيق الأعلى، لم يترك أُمته بدون راعٍ يرعاها، فنصب لهم ـ بأمر من الله تعالى[٢] ـ خليفة وإماماً وهو علي بن

(١) أُنظر: محمد، إسماعيل علي، مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية: ص١٢.

(٢) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. المائدة: آية٦٧.

أبي طالب عليه السلام، ومن بعده أحد عشر إماماً من ذرّيته عليهم السلام، هم خلفاؤه ونوّابه بالنصّ الشرعي، وهم مَن يطبّقون حكم الله في الأرض، ولكن الأُمّة ضيّعت هذه الوصية، وطغت وأفسدت في الأرض، وغصبت الحقّ من أهله، وقد سكت أمير المؤمنين عليه السلام عن المطالبة بهذا الحقّ؛ حقناً لدماء المسلمين، وحفاظاً على الإسلام من أن يضيع، إلى أن وصل الطغيان حدّاً صار الإسلام في خطر، فلم يعد السبب الذي سكت من أجله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام موجوداً، بل صار لزاماً وواجباً أن يُدافع عن الإسلام ويُنادي بمبادئه، وينهض بوجه الظلم والجور.

ومَن أجدر بذلك النهوض وإقامة النظام الإسلامي غير الإمام الحسين عليه السلام؟ فكانت نهضته إقامةً للنظام والحكم الإسلامي، وحفاظاً على الإسلام من أن يضيّعه طغمة من الفاسدين، وخير دليلٍ على ذلك وصيته عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية؛ إذ بيّن فيها سبب خروجه وحصر الخروج بـ(إنّما) قائلاً: «**وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أُمّة جدّي محمد** صلى الله عليه وآله...». فكلامه صريح في أنّه يريد صلاح ونجاح أُمّة الرسول صلى الله عليه وآله، ولا يكون صلاحهم ونجاحهم إلّا باتّباعهم نظام الله وحكمه وتعاليمه، والإمام عليه السلام هو أعرف الناس بتعاليم الدين وقوانينه، وبما أنّه الشخص الذي نصبه الله ليقيم الحكم الإسلامي في الأرض، فكان من الواجب عليه أن ينهض بوجه الظالمين ويرفع شعار الإصلاح وإقامة النظام الإسلامي في الأرض، مع أنّ هناك نظرياتٍ متعدّدة في تحليل نهضة الإمام الحسين عليه السلام، منها ما ترى أنّ الإمام إنّما خرج لأسباب غيبية، فهو كان يعلم بأنّه مستَشهد، كما ورد في بعض النصوص التاريخية[1]، وهناك تفسيرات أُخرى لنهضته، من قبيل أن يقال: إنّه لو أراد الشهادة فقط دون أن يكون له هدف آخر لما أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليبايع

(١) من هذه النصوص قوله لأخيه محمد بن الحنفية عندما طلب منه عدم الخروج للكوفة، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً...». ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف: ص٤٠. وانظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦.

له الناس، وفي الوصية إشارة إلى أنّ لدى الإمام عليه السلام أهدافاً أُخرى غير الشهادة وهي ـ مثلاً ـ كما في قوله في الوصية: «**وأسير بسيرة جدّي محمد** صلى الله عليه وآله، **وسيرة أبي علي بن أبي طالب**...». وكيف يكون السير بهذه السيرة إذا لم يكن لدى الإمام عليه السلام سلطة يفرض بها النظام الإسلامي ويطبّقه؟! ولكن أهل الكوفة آنذاك ـ ومَن دعاه وبايعه ـ خذلوه ولم ينصروه، فلم يتحقّق هذا الهدف، وتحقّقت أهداف أُخرى كالاستشهاد ـ مثلاً ـ في سبيل إعلاء كلمة الحق، وهزّ ضمير الأُمّة وإيقاظها من سباتها؛ لينتبهوا إلى ما يجري، وما جرّته عليهم الحكومة الأُموية وعلى الإسلام من ويلات، حتّى أنّه يمكن القول: إنّ الاستشهاد لا يمنع من تحقّق أهدافه، التي منها إقامة النظام الإسلامي والحفاظ عليه وإن كان في المدى البعيد؛ إذ صارت نهضة الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً يقتدي بها كلّ الثائرين الأحرار من المسلمين وغيرهم، وكشفت زيف الحكومات الفاسدة، وكانت هي المبدأ الأساس للوقوف بوجه الظالمين.

٢ـ تثبيت الموقف الشرعي

من الواجب على كلّ مسلم ـ وفق ما تمليه عليه التزاماته تجاه الشريعة بما هو مكلف ـ أن يحدّد موقفه العملي تجاه المجتمع، إن رأى منه فعلاً يخالف تعاليم الإسلام، فيتصرّف بما يمليه عليه التكليف وهو الردع عن هذا الفعل، وهو ما يسمّى بالنهي عن المنكر، ويدعوهم إلى أداء تعاليم الإسلام القويم، وهو ما يسمّى بالأمر بالمعروف. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الواجبات الشرعية التي فرضها الشارع على المكلّف، وحدّدها بضوابط، وجعل لها شروطاً ومراتب، كما ورد في بعض الروايات أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد عهد لعلي عليه السلام، فقال: «**يا علي، مُر بالمعروف وانهَ عن المنكر بيدك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، وإلّا فلا تلومنّ إلّا نفسك**»[1].

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج٢، ص٣٥١. وأُنظر: النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١٢، ص١٩٢. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٤، ص٣٩٨.

وهذا هو الموقف الذي اتّخذه الإمام الحسين عليه السلام في نهضته، وهو الذي صرّح به في وصيته، كما مرّ سابقاً، حيث نلاحظ كيف أنّ الإمام عليه السلام صدح بالحقّ ليُثبت موقفه الشرعي ممّا يصدر من المجتمع ـ آنذاك ـ إذ رأى أنّه لا مجال للسكوت حتّى وإن أودى عدم السكوت إلى أن يفقد حياته؛ إذ أراد عليه السلام أن يبيّن أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصبح واجباً بدرجة النهوض والثورة ـ وهي أعلى درجاته ـ في مثل موقف كهذا، وهو أنّ المنكر الذي كان يحدث وصل إلى درجةٍ لا يُسكت عنه؛ فالإسلام أوشك على الاضمحلال شيئاً فشيئاً بفعل حكومة آل أبي سفيان الجائرة. وتثبيتاً للموقف الشرعي، وعملاً بالواجب الملقى على عاتقه عليه السلام ـ إذ إنّه حامل لواء الإسلام والمدافع عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كانت نهضته عليه السلام بوصفه يمثّل الحكومة الإلهية في الأرض، بينما يمثّل يزيد بن معاوية الطغيان والفساد والمنكرات، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في وصيته المتقدّمة.

خاتمة

وفي ختام البحث، توصّل الباحث إلى نتائج وفق رؤيته القاصرة، فإن كان مصيباً فتلك من نعم الله وفضائله، وإن أخطأ فالرجاء من الله أن يغفر له، ويرشده للصواب، ومن أهمّ تلك النتائج هي:

- نُقلت الوصية في مصادر عدّة، وهي: الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، وتسلية المُجالس لمحمد بن أبي طالب الموسوي (ت ق١٠هـ)، ومجموعة من كتب المتأخرين.
- أسبق المصادر في نقل الوصية هو كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ).
- المؤرّخون الذين تلوا ابن أعثم نقلوا الوصية عنه، كالخوارزمي، ومحمد بن أبي طالب، وأما ابن شهر آشوب فطريقه إلى الوصية غير طريق ابن أعثم.
- روى ابن أعثم الوصية بثلاثة عشر طريقاً مختلفاً.

- توصّل البحث إلى وجود طريقين للوصية بإسنادٍ صحيح من رواية ابن أعثم.
- تـمّ تصحيح اعتبـار الوصية عن ابـن أعثم بكثـرة طرقهـا، وموافقتها لأهداف النهضة الحسينية.
- يُعتبر كتاب المناقب لابن شـهر آشـوب من الكتب المهمّة، تبعاً لمؤلّفه الذي يعدّ من أفاضل علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وطريقه للوصية معتمدٌ.
- يعـدّ طريـق عبد الله بـن أحمد بن حنبـل الذي نقل عنه ابن شـهر آشـوب أصحّ الطرق عنده.
- شهرة الوصية واستفاضتها تورث السكون والركون إلى ما ورد فيها.
- أرشـدت الوصية إلى تصحيح مسـار العقيدة، بعد أن عمد الأُمويون إلى طمس معالمها، وإعادة الأُمور إلى الجاهلية.
- كان في ثنايـا الوصيـة ردٌّ صريح من الإمام الحسـين عليه السلام لنصيحـة أخيه محمد بن الحنفية.
- أشـار الإمـام الحسـين عليه السلام إلى معـانٍ معرفيـة في وصيتـه، أهمّهـا: إقامـة النظـام الإسلامي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تثبيتاً للموقف الشرعي.

وفي الختام يوصي الباحث بالتوافر على الدلالات المضيئة لكلام وخطب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف؛ ليُستلهم منها ما يضيء درب البشرية، ويسمو بها إلى أعلى درجات الإنسانية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الأبـواب (رجال الطوسي)، الشـيخ محمد بن الحسـن بن علي الطـوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسّسة النشـر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٥ هـ.

٢ـ اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، قم، ١٤٠٤هـ.
٣ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٤ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).
٥ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٦ـ الإصابة في تميز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٧ـ أُصول العقيدة في النص الحسيني، علي حمود العبادي، مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.
٨ـ الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٩ـ الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (ت١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
١٠ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ت.
١١ـ إقبال الأعمال (مضمار السبق في ميدان الصدق)، السيّد رضي الدين علي بن موسى جعفر بن طاووس (ت٦٤٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤ه.

١٢ـ الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، منشورات دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ.
١٣ـ الأمالي، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، (مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، طهران، ١٤١٧هـ).
١٤ـ أمل الآمل، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، النجف الأشرف، د.ت.
١٥ـ إيضاح الاشتباه، الحسن بن يوسف بن المطّهر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١١هـ.
١٦ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، نشر مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٧ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م.
١٨ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الإمام الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٩ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢٠ـ تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، الحسن بن يوسف بن المطّهر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، قم، ١٤٢٠هـ.

٢١ـ تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت٧٤٨هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربي، مكّة المكرمة، ١٣٧٤هـ.
٢٢ـ تسلية المُجالس وزينة المَجالس الموسوم بـ(مقتل الحسين عليه السلام)، محمد بن أبي طالب الموسوي الحائري الكركي (ت ق١٠هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم، د.ت.
٢٣ـ تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (منشورات دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢٤ـ تقريرات ثلاثة (الوصية ومنجزات المريض، ميراث الأزواج، الغصب) تقرير بحث السيّد آقا حسين الطباطبائي البروجردي (ت١٣٨٣هـ)، الشيخ علي پناه الاشتهاردي، مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٣هـ.
٢٥ـ تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٢٦ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، منشورات مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
٢٧ـ توجيه النظر إلى أُصول الأثر، طاهر بن صالح بن أحمد السمعواني الجزائري (ت١٣٣٨هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، منشورات مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٢٨ـ تيسير مصطلح الحديث، د. محمد الطحان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٢٩ـ الثقات، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٣٠ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ)، تقديم: السيّد محمد مهدي الخرسان، قم، ١٣٦٨هـ.ش.

٣١ـ جامع أحاديث الشيعة، السيّد آقا حسين الطباطبائي البروجردي (ت١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.
٣٢ـ الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ت.
٣٣ـ الجرح والتعديل، الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م.
٣٤ـ خاتمة المستدرك، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٥هـ.
٣٥ـ دعائم الإسلام، القاضي النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
٣٦ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني (١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٣٧ـ الرعاية في علم الدراية، زين الدين بن علي بن أحمد العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الحسين محمد علي بقال، قم، ١٤٠٨هـ.
٣٨ـ الرواشح السماوية، محمّد باقر بن محمّد الميرداماد (ت١٠٤١هـ)، تحقيق: غلام حسين قيصريه ها ونعمت الله الجليلي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٢هـ.
٣٩ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٤٠ـ شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بالمحقّق الحلّي، تعليق: السيّد صادق الشيرازي، قم، ١٤٠٩هـ.
٤١ـ شرح البداية، زين الدين بن علي بن أحمد العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ)، ضبط نصّه: السيّد محمد رضا الجلالي، قم، ٢٠١٤م.

٤٢ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤٣ـ الضعفاء والمتروكين، أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٤٤ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
٤٥ـ علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
٤٦ـ عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (الإمام الحسين عليه السلام)، الشيخ عبد الله البحراني (ت١١٣٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم، ١٤٠٧هـ.
٤٧ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
٤٨ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٤٩ـ فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٦هـ.
٥٠ـ الفهرست، الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.
٥١ـ الفهرست، الشيخ منتجب الدين علي بن بابويه الرازي (ت٥٨٥هـ)، تحقيق: السيّد جلال الدين محدث الأرموي، قم، ١٣٦٦هـ.ش.
٥٢ـ الفهرست، محمد بن أبي يعقوب بن النديم البغدادي (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد. (د.ط، د.ت).

٥٣ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
٥٤ـ الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٥٥ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، منشورات مؤسّسة دار الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٩هـ.
٥٦ـ كتاب المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الباز للنشر والتوزيع، مكّة المكرمة، د. ت.
٥٧ـ كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار، السيّد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري (ت١٢٨٦هـ)، قم، ١٤٠٩هـ.
٥٨ـ الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩)، تقديم محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، د.ت.
٥٩ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ)، منشورات أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٦٠ـ لسان الميزان، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
٦١ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، منشورات أنوار الهدى، إيران، قم، ١٤١٧هـ.
٦٢ـ لواعج الأشجان في مقتل الحسين، السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، صيدا، ١٣٣١هـ.
٦٣ـ مثير الأحزان، نجم الدين محمد بن جعفر بن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ)، النجف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٦٤ـ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٣٧٤هـ)، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: السيّد جلال الدين الحسيني، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.

٦٥ـ مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، د. إسماعيل علي محمد، دار النداء للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ٢٠١٤م.

٦٦ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٦٧ـ مستدرك علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت١٤٠٥)، طهران، ١٤١٢هـ.

٦٨ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الزهراء، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٦٩ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٧٠ـ معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً، الإمام الحافظ مشير الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، راجعه وقدّم له: السيّد محمد صادق آل بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، لبنان، د.ت.

٧١ـ معجم الأُدباء، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٧٢ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١٣هـ)، مؤسّسة الإمام الخوئي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧٣ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ١٤٠٤هـ.

٧٤ـ معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت٢٦١هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧٥ـ مقباس الهداية في علم الدراية، الشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني، قم، ١٤٢٨هـ.

٧٦ـ مقتل الحسين عليه السلام، الموفّق محمد بن أحمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ علي السماوي، قم، ١٤١٨هـ.

٧٧ـ منابع تاريخ إسلام (فارسي)، رسول جعفريان، مركز تحقيقات قائمية، إصفهان، (د.ت).

٧٨ـ مناقب آل أبي طالب، الإمام الحافظ مشير الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدّة نسخ خطّية: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٧٩ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

٨٠ـ النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، انتشارات قدس محمدي، قم، د.ت.

٨١ـ الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

المجلات والصحف

١ـ الإصلاح والعدالة المهدوية، الشيخ غدير حمودي، مجلّة الإصلاح الحسيني، يصدرها مركز الدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية التابع للعتبة الحسينية المقدسة،

النجف الأشرف، العدد (٧)، السنة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٢ـ منهج أحمد بن أعثم الكوفي عن الخلافة الأُموية من كتابه الفتوح، إبراهيم يوسف وغيداء خزنة كاتبي، المجلّة الأُردنية للتاريخ والآثار، تصدرها الجامعة الأُردنية للتاريخ، العدد (١)، المجلّد(٢)، السنة الأُولى، ٢٠٠٨م.

٣ـ منهج النقل للرواية التاريخية، الشيخ مشتاق الساعدي، مجلّة الإصلاح الحسيني، يصدرها مركز الدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية التابع للعتبة الحسينية المقدسة، النجف الأشرف، العدد (٢)، السنة الأُولى، ١٤٣٤هـ.

المواقع الإلكترونية

ـ تأمّلات في وصية الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية، د. عبد الكاظم الياسري، موقع العتبة الحسينية المقدسة:

.http://imamhussain-lib.com/arabic/pages/bohoth020.php

خلاصة المقالات

باللغة العربية والإنجليزية

مجالس العزاء العلمائية

الهوية والأهداف والنتائج

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

تناول الباحث في هذا العنوان موضوع مجالس العزاء الحسيني التي يكون المحور فيها ـ بشكل أو بآخر ـ مراجع الدين أو المجتهدين من علمائنا الأعلام، وقد تكوَّن بحثه من مقدمة وثلاث جهات، تحدّث في المقدمة عن أزمة ابتعاد الناس وعدم انفتاحهم على الحقائق الدينية، والتي من أبرزها وضوحاً هو غياب حقيقة المجالس الحسينية عن أذهان الكثير مع شفافيتها وظهورها لكل مَن أراد التعرّف عليها، تلك الأزمة التي ولدت فجوة كبيرة بين الإنسان وبين ربّه.

وبعد هذه المقدمة قسّم بحثه إلى ثلاث جهات مهمّة دخيلة في الإجابة والبرهنة على فرضيات البحث، وهذه الجهات هي:

الجهة الأُولى: هوية مجالس العزاء العلمائية، وقد تناول فيها الانطباقات الثلاثة التي يشملها العنوان وتنساق إلى ذهن القارئ، والتي تتلخص في: تصدي العلماء والمجتهدين لقراءة المجالس الحسينية بأنفسهم، وإقامة مجالس العزاء الحسيني في بيوتهم ومكاتبهم، والحضور في المجالس مع سائر أفراد المجتمع كسائر أفراد الجمهور المتلقّي.

وأمّا الجهة الثانية: فقد خُصصت لبيان الدوافع والأهداف التي دعت هؤلاء الأعلام للتصدي لهذه المهمّة مع كثرة انشغالاتهم وتشعب مهامهم الدينية، فوُجِدَت من الأهداف والدوافع ما كان أُخروياً، ومنها ما كان اجتماعياً ومساهماً في ترشيد المجتمع.

لينتهي البحث في الجهة الثالثة إلى معرفة النتائج والآثار المترتبة على تلك المجالس

التي تقوّمت بهذا النوع من الحضور النوعي، وقد ذكر الباحث أنّ النتائج التي ترتّبت جديرة بالاهتمام وكثيرة، إلّا أنّ من أبرزها: تصحيح مسار الخطابة الحسينية، وتقديم الخطباء الأكفاء إلى الجمهور الشيعي، ورسوخ المجالس الحسينية في نفوس الجماهير، وضمان الديمومة والاستمرارية لمجالس العزاء الحسيني.

وقد ختم بحثه بتوصية مقترحة لتطوير الفكرة، وتوسعة الموضوع الذي تناوله ليشمل المجالس الحسينية التي يقيمها أو يشارك فيها ممثلو المرجعية الدينية ووكلاؤها ومعتمدوها.

The Scholarly Mourning Ceremonies – The Identity, the Objectives, and the Results

Shaykh Sabah Abbas al-Saidi

The researcher addresses the topic of Husayni mourning ceremonies in regards to the High Religious Referential Authorities or the Mujtahideen of our great scholars.

His research begins with an introduction in which he addresses the crisis with people distancing themselves from the truth and not becoming open to the realities of the religion, clearly visible in the absence of the true meaning of the Husayni mourning ceremonies in the minds of many. At the same time, the true meaning is transparent and apparent to anyone who seeks to learn about the mourning ceremonies. Such a crisis has created a massive void between man and his creator.

After this introduction, the writer divides his research into three main parts, all contributing to substantiated answers to the research questions.

The first part focusses on the identity of the scholarly mourning ceremonies and its three corresponding states meant by that description and which appear to the reader's mind. The first state being mourning ceremonies where the Mujtahideen and scholars conduct the recitation of the mourning ceremonies themselves and also deliver the main speech in the services. The second state is mourning ceremonies held at the offices and homes of these esteemed scholars, and the third state is mourning ceremonies with the participation of these scholars and Mujtahideen, alongside the community, as listeners and mourners.

The second part of the article was devoted to articulate the incentives and objectives of these esteemed personalities when taking upon themselves such a task with all their responsibilities and duties in the

community in addition to their demanding schedules. Some of these mentioned incentives were found to be related to the afterlife and the satisfaction of Allah, whereas some were social and aid in the uplifting of the society.

The article's third part was related to the outcome and results of such exceptional attendance from the scholars and Mujtahideen at the mourning ceremonies. The researcher mentions that the results were many and worthy of attention. Among the most outstanding noticed results at the three states was the availability to correct the path of the Husayni speeches, the providing of competent speakers to the Shiite public, and the strengthening of the Husayni mourning ceremonies in the minds of the public, and also the guaranteeing of the continuance and perpetuity of the Husayni mourning ceremonies.

At the end of the article, the researcher presents suggestive advice on the development of the idea, and the widening of the research subject in the speeches to also include the Husayni mourning ceremonies held by, or with the participation of, the representatives of the High Religious Referential Authorities, or their deputies and trustees.

التبليغ الديني (ما يجب وما لا يجب)

الشيخ حسين أنصاريان

ترجمة: زهراء السالم

المكتوب عبارة عن حوارية أُجريت مع سماحة الشيخ حسين أنصاريان، وقد تضمّنت مجموعة من الأسئلة حول كيفية تطوير فنّ الخطابة، والمحافظة على قدسية المنبر، والجهة المسؤولة عن ذلك، وآليات تأهيل وتطوير الخطباء المنبريين المؤثّرين في المجتمع، وما يجب فعله لتنزيه المنابر من الخرافات والأكاذيب والتفاسير الخاطئة للنهضة الحسينية، والتحوّل المطلوب في المنبر، وغير ذلك.

وقد أجاب سماحته عن تلك الأسئلة تباعاً، فذكر أنّ الخطابة الناجحة والمؤثّرة هي الخطابة التي يسلك فيها الخطيب مسلك الأنبياء. ثم ذكر أمرين لجذب المجتمع نحو الخطابة، الأمر الأول: الأزمنة المرتبطة بالله تعالى كشهر رمضان. والأمر الثاني: إحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

بعد ذلك أكّد سماحته ضرورة الحفاظ على قدسية المنبر، من خلال إبعاد المنبر عن بعض المنبريين الضعفاء، ممّن لم تتوفر فيهم أهلية الخطابة؛ وذلك لأنّهم يشكّلون خطراً كبيراً على المجتمع. وفي المقابل دعا إلى القيام بدور فعّال من قِبل المختصين في تشجيع أُولئك المنبريين على الحضور في الحوزة العلمية، وتدريبهم على الخطابة، ثمّ تقوم الجهات المختصة في الحوزة باختبارهم، ثمّ منحهم إجازة ارتقاء المنابر. وكذلك يجب إبعاد المنبر عن المنشدين الذين يقرأون العزاء بنغماتٍ غير مناسبة مستفيدين من الموسيقى المحلية أو الأجنبية.

ثمّ ذكر بعض التوصيات من أجل تأهيل خطباء جيّدين ومؤثّرين في المجتمع، منها:

١ـ أن يكون هناك برنامج خاص لتأهيل الخطباء، بأن تُجعل أشرطة الخطابات

الجيّدة في خدمة طلاب الحوزة ليسمعوها بشكلٍ منتظم، ثمّ تُحدد لهم أوقاتاً للاختبار بما تحتويه تلك الأشرطة من تعاليم ومطالب علمية.

٢ـ أن يتمّ التعريف بالكتب القيمة والمفيدة؛ كي يطالعها الطالب بدقّة فيتهيأ للخطابة.

٣ـ التمرين على الخطابة بحضور أهل الخبرة من الخطباء والعلماء.

كما بيّن سماحته نوع التحوّل المطلوب في المنبر، وهو أن يراعي الخطيب المنبري متطلّبات الزمان والمكان، وأن يطرح المسائل الجديدة التي تلبّي حاجات المجتمع.

وفي الختام أعرب سماحته عن حبّه وإجلاله لطلاب العلوم الدينية، متمنياً لهم حياة كريمة، ورزقاً وافراً يليق بحالهم، ويحفظ لهم كرامتهم.

Islamic Proselytizing – Shoulds and Should Nots

Shaykh Husayn Ansarian
Translated into Arabic by Zahraa Salem

This article is a dialogue conducted with his eminence, Shaykh Husayn Ansarian, including a series of questions regarding the topic of enhancing the art of delivering religious speeches and rhetoric, preserving the sanctity of the dais and the respective responsible body, and the processes of educating and developing orators to the dais who is influential in their society. In addition to questions regarding what should be done to rid the dais of fairytales, lies, and wrong interpretations of the Husayni uprising and the required change in the dais, etc.

His eminence answered the questions accordingly and mentioned that the successful and influential speech is the speech in which the speaker follows the path of the Prophets. After that, he mentions two factors attracting the society toward speeches, the first being the time or periods related to Allah, exalted is He, such as the blessed month of Ramadan. The second factor is the martyrdom of Imam al-Husayn (PBUH).

His eminence then stressed upon the necessity of preserving the sanctity of the dais, by avoiding having weak speakers ascend the dais. Speakers who are not competent enough to deliver speeches, as they are dangerous for the society. On the other hand, he also called for a more active role from the specialists in encouraging and supporting the speakers to attend the Islamic Seminars, and by training them in the art of rhetoric. After that, the concerned departments in the Islamic Seminars could examine them and issue licenses allowing them to deliver speeches on the dais.

He also believes that the dais should be distanced from the Nasheed reciters who recite lamentations with unsuitable melodies, inspired by local and foreign music, according to his eminence. He also mentions some advice in order to prepare competent and influential speakers. Such as:

1. Creating a special program for preparing orators. Recordings of good speeches should be made available for the students at the Islamic Seminars in order to listen to them attentively. The students will then be given a specific date in order to be examined in the scientific content of the recordings.
2. Informing about valuable and useful books in order for the students to read attentively and become prepared to deliver speeches.
3. Training in delivering speeches in front of a skillful audience of speakers and scholars.

His eminence also articulated some of the needed changes on the dais, such as paying attention to the requirements of the present time and place and presenting new subjects satisfying the needs of the society.

At the end, his eminence expressed his affection and admiration for the students of the Islamic sciences and wished them a noble life, with a sufficient income, suitable for them, and which preserves their dignity.

آليات تطوير لغة الخطاب المنبري الحسيني

الشيخ عبد المجيد فرج الله

يعبِّر المقال عن نقاط تَبَدّتْ لكاتبه، حَرِيّة بأن يلتفت إليها قارئ العزاء، والمبتدئ في الخطابة الحسينية.

أشاد الكاتب ممهِّداً بالخطاب الحسيني الذي يقع في قمّة الخطاب العالمي الإنساني، ثم تطرّق إلى التحدّيات التي يواجهها الخطيب، ومنها مشكلة تأثّر اللغة بتبدّل العصور، وتغيّر الثقافات، مما يستدعي حرصه على أن تكون لغته مفهومة لدى المتلقّين من جميع الطبقات، وقد نوّه بالمنهجية العلمية التي تتصل بالخطاب؛ ليكون عالمياً، وناجحاً، ومؤثّراً.

وفيما يرتبط بنجاح لغة الخطاب المنبرية ذكر أنّ الأُمّة المسلمة بمجموعها مدعوّة إلى إنتاج لغة خطاب سليمة، تكون قادرة على مخاطبة الآخر المختلف في الدين والقِيَم، وذلك بواسطة عقلانية الحوار، والتعاطي العلمي مع ثقافات الشعوب، وخصائص لغاتها.

وفي سياق حديثه عن مشاكل اللغة الخطابية المنبرية تعرّض لمشكلة وجود مفردات وتراكيب لا يفهمها كثير من سامعيها، مشيراً إلى أنّ المفترض فيها أن تمنح الخطيب ثروة لغوية، بدلاً من أن تكون سبباً لإحراجه.

ومن المشاكل التي ذكرها ما يتصل بطريقة الإيصال والتوصيل، من زاوية تأثيرها في لغة الخطاب نجاحاً أو فشلاً، ولا سيما مع شريحة الأُدباء والشعراء؛ مما يستدعي أن يكون الخطيب مُلِمّاً بالبلاغة، ودقيقاً في قراءة الشعر، مشيراً إلى أنّ الموهبة لا تكفي،

بـل لا بدّ من التدريـب، على أن لا يُغفل التفنّن الصوتي الـذي يعطي كلّ حالة حقّها من وتيرة الأداء.

وتطرّق كذلك إلى مشكلة النقل الشفوي، أي: النقل عن نقل، معتبراً إيّاها من أخطر عيوب البحث العلمي، مهيباً بمنهج كبار العلماء والخطباء المتميّزين باعتمادهم على أوثق مصادر الحديث.

وقد دعا الخطباء إلى الدقّة في انتقاء أبيات الشعر؛ لتلافي مشكلة الملل من التكرار، وبخاصة الأبيات التي لا تتضمن عمقاً أدبياً، أو إبداعاً شعرياً.

وأخيراً أشاد المؤلّف بالكوفة بصفتها موطناً لأجمل لغة خطاب على امتداد العصور، وذلك في الفترة الممتدة بين سنة (٣٦ و٦١ هـ).

The Methods of Developing the Language of the Speeches on the Husayni Dais

Shaykh Abdel Majeed Farajullah

The article portraits some important factors presented by the writer concerning speeches on the Husayni dais. These factors are worth paying attention to by the dear reader and beginner in the world of speeches of the Husayni dais. The writer begins with the speeches on the Husayni dais, speeches of the highest level, in consideration of international humanitarian speeches. He addresses the challenges faced by the speakers, such as the change in the dais' language through time, the cultural changes, and factors demanding that the speaker's language is understandable by every segment of the society. The writer also emphasizes the scientific method used in the speeches in order for the speeches to become international, successful, and effective.

Concerning the success of the language used in the speeches, he mentions that the Islamic nation in all its entirety is invited to establish a proper language in speeches able to address those who have different views on religion and different values. This should be ventured by making the debate intellectual, and by scientific exchange with the cultures of the Islamic nation and the characteristics of their language.

When addressing the problems of the language on the dais, he addresses the existence of terms and word constellations understood only by few. He mentions that this fact should provide the speakers with opportunities, instead of being a source of embarrassment for them.

One of the problems he mentions is related to the method of delivering and presenting and its successful or unsuccessful effect on the language of the speech, especially concerning the group of poets and authors. This calls upon the speaker to be familiar with eloquence and being precise when reciting the poems.

The writer also mentions that talent itself will not suffice the speaker and that training is necessary, not proposing that creative use of sounds appropriate for each situation is to be neglected. The problem with vocal conveyance, i.e., to convey or report from something already conveyed, is also addressed where he mentions that this problem is considered among the most dangerous flaws in the scientific studies, emphasizing the method of the great scholars and prominent speakers as they would only use the most verified sources of narrations.

Furthermore, the writer calls upon the speakers and orators to be diligent when selecting the poem, in order to avoid the problem of boredom due to the constant repetition of these poems, especially the poems that do not include literate depth or poetic innovation.

At the end of the article, the writer mentions the city of Kufa, and how it was the capital of rhetoric with the most beautiful language through the years 36-61 HE.

المنبر الحسيني وضرورة تقنين المعلومات

د. الشيخ أسعد علي السلمان

انطلاقاً من المنزلة والأهمّية التي حظي بها المنبر الحسيني في الواقع الشيعي؛ بسبب كونه أحد أهمّ وسائل الارتباط الديني لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد تطرّق الكاتب في هذا المقال إلى بيان الموقف الذي ينبغي اتّخاذه تجاه ضرورة تقنين المعلومات المعروضة على هذه الوسيلة الإعلامية المهمّة، وطبيعة القوانين التي يُفترض اتّباعها في المقام.

وقد قُسِّم البحث إلى محورين، سعى الكاتب في محوره الأوّل ـ الذي هو بعنوان: حاجة المنبر الحسيني إلى تقنين المعلومات التي يعرضها ـ إلى بيان مدى الحاجة إلى تقنين المعلومات المعروضة على المنبر الحسيني سواء على المستوى المعرفي أو السلوكي أو التاريخي أو العاطفي، مستنداً في ذلك إلى مجموعة من الأدلّة القرآنية والروائية والعلمية، ومثبتاً ـ في نهاية المطاف ـ عدم استغناء الخطيب الحسيني عن التقنين والضبط بالنسبة إلى كلّ ما يطرحه على المنبر، وأنّه بذلك سوف يضمن ترتّب الثمار المتوخّاة من وجود المنبر بين الناس.

أمّا المحور الثاني فقد كان بعنوان: ضوابط وقوانين عرض المعلومات على المنبر الحسيني، وقد بيّن الكاتب في بدايته طبيعة المعلومات التي يتمّ طرحها من قِبل الخطباء، مقسِّماً إيّاها إلى عدّة أقسام، هي: القضايا البرهانية والاستدلالية، والمشهورات والمسلّمات، والآيات والروايات والشواهد التاريخية، والمشاهدات الحسّية، والقصص والأشعار. وبعد هذا البيان قام الكاتب بتفصيل الكلام حول كلّ واحد من الأقسام المذكورة مبيّناً ـ في المقام ـ طبيعة المنهج أو المجال الذي ينتمي إليه ذلك القسم، والضوابط والقوانين الحاكمة فيه.

The Husayni Dais and the Necessity of Regulating the Presentation of Information

Dr. Shaykh Asad Ali al-Salman

Taking into consideration the status and significance of the Husayni dais in the Shiite community, and due to it being among the most important religious bonding tools for the followers of the Household (PBUT), the writer of this article articulates the necessary stance which must be taken in order to regulate the presented information on this vital media platform, and also the nature of the regulations which are supposed to be followed.

The article was divided into two parts, where the writer attempts in the first part – named *The Need of the Dais for Regulating the Information it Presents* – to articulate the need for regulating the information presented on the Husayni dais. Regardless of it being on an epistemological, ethical, historical, or emotional plan while relying upon evidence from the Holy Quran, the narrations, and scientific evidence. In the end, the writer proves that the Husayni speaker is not exempted from regulating and controlling all that which he presents on the dais. He also proves that by doing so, the speaker will be guaranteed the fruits of having a dais among people

At the beginning of the second chapter, named *Regulations and Rules of Presenting Information on the Husayni Dais*, the writer elaborates on the nature of the information which is being presented by the speakers. He divides this information into several parts: Quranic verses, narrations, historical events, stories, and poems, etc.

After this elaboration, the writer addresses each part, where he also articulates the nature of the method or the field which that part belongs to, in addition to the regulations and rules of the respective field.

دراسة تحليلية ميدانية لواقع الخطابة الحسينية في العراق
ما بين عامي (٢٠٠٣-٢٠١٨م)

م. م. محمد هاشم الحمداني

مقال يحاول تسليط الضوء على واقع الخطابة الحسينية في الفترة التي أعقبت سقوط نظام البعث المقبور عام (٢٠٠٣م) وحتّى العام المنصرم، وذلك من خلال قيام الباحث ـ في المقام ـ بإجراء دراسة تحليلية وميدانية تكشف الكثير من النقاط المهمّة والمتعلّقة بالموضوع المشار إليه.

هذا، وقد اتّبع الباحث ـ في هذا المقال ـ خطّة ممنهجة ومكوّنة من تمهيد ومبحثين، سلّط الضوء في التمهيد على بيان المراد من مفردة الخطابة بشكل عامّ، وبيان مراحل نشوء الخطابة الحسينية بشكل خاصّ، ثمّ جاء بعد التمهيد مبحثان، أحدهما تحليلي تطرّق فيه الباحث إلى ثلاثة محاور رئيسة:

تعنون المحور الأوّل منها بالطروحات السياسية للخطابة الحسينية في العراق ما بين عامي (٢٠٠٣ـ ٢٠١٨م)، والذي تمّ الوقوف فيه على المعاناة التي كانت تُعانيها الخطابة الحسينية في فترة النظام المقبور، وما حصل لها بعد سقوطه من فسحة للتحرُّك في العراق وعموم المنطقة، والوقوف فيه أيضاً على موقف الخطابة الحسينية في فترة الشدّ الطائفي الذي حصل بين فئات الشعب العراقي في تلك الفترة، وكذلك موقفها من فتوى الجهاد الكفائي الصادرة من قِبل المرجعية العليا أثناء الحرب ضد داعش، وغير ذلك من الموضوعات السياسية.

أمّا المحور الثاني: الطروحات الاجتماعية للخطابة الحسينية في العراق ما بين عامي (٢٠٠٣ـ ٢٠١٨م)، فقد قام الكاتب فيه ببيان دور المنبر الحسيني في تهذيب

الأعراف العشائرية ومعالجة العلاقات العائلية بين أفراد المجتمع.

بينما كان المحور الثالث عبارة عن: الخطابة الحسينية ودخول التكنولوجيا الحديثة في العراق، والذي تمّ فيه تسليط الضوء على محاولات الخطباء الحسينيين الرامية إلى ضرورة المحافظة على النسيج الاجتماعي وحمايته من بعض الممارسات الخاطئة لهذه الوسائل، مؤكِّدين على القواعد الإسلامية المتعلّقة بحرمة الاختلاط وغيرها.

أمّا المبحث الثاني فقد كان مبحثاً ميدانياً تمّ فيه استعراض مجموعة من النسب المرتبطة باستبيان مؤلّف من ثمانية أسئلة، تمّ تقديمه إلى مجموعة من خطباء المنبر الحسيني، ومجموعة من الأشخاص الآخرين من غير شريحة الخطباء؛ وذلك بُغية الوقوف على أهمّ المحاور والإشكاليات التي ترتبط بمستقبل الخطابة الحسينية في العراق.

Analytical Field Study of the State of Husayni Speeches in Iraq in the years 2003-2018

Muhammad Hashem al-Hamdani

This article attempts to center attention on the state of the Husayni speeches in the period following the downfall of the Baathist regime from the year 2003 until last year (i.e., 2018). Attempting to do so, the researcher conducts an analytical field study discovering many important issues related to the topic.

The research consists of a preface where the researcher sheds light on the articulation of the term *Khitabah* (rhetoric) in general, and the phases of the origins of the Husayni speeches and orations especially. This preface is followed by two chapters, one of which is analytical in which the researcher mentions three objects of research.

The first object of research was named, *The Political Theses for Husayni Speeches in Iraq between the years 2003-2018*, where the following topics were addressed; the sufferings of the Husayni Speeches in the period of the collapsed regime, what occurred to these speeches as they now were able to move in Iraq and the rest of the area, the stance of the Husayni speeches in the period of the sectarian war between the different ethnicities of the Iraqi people, and lastly the Husayni dais' stance toward the religious fatwa on Kifa'ie Jihad issued by the High Religious Referential Authorities during the war with ISIS, and toward other political subjects.

In the second object of research, *The Societal Theses for Husayni Speeches in Iraq between the years 2003-2018,* the writer elaborates on the role of the Husayni dais in refining the tribal customs and treating

family relations in the society.

The third object of research was named, *The Husayni Speeches and the Entrance of Modern Technology to Iraq*. In this object, the writer focusses on the attempt of Husayni speakers to preserve social ties and protect them from the misusage of this technology, also to emphasize on the impermissibility of mixing with the other gender, etc.

The second chapter presented the fieldwork, including a survey handed out to a group of speakers on the Husayni dais and others. This attempt sought to address the most vital subjects and challenges related to the future of Husayni speeches in Iraq.

المنبر الحسيني في العشرة الأُولى من محرّم

توصيفٌ وتقويم

الشيخ عبد الرزّاق النداوي

ركّز الباحث في مقاله هذا على أربع ملاحظات تقويمية تتعلّق بالعشرة الأُولى من محرّم الحرام، تطرّق في الملاحظة الأُولى إلى مسألة فلسفة الحوادث وتحليلها، فذكر ما للنهضة الحسينية من شمول لأبعاد متعددة من حياة الفرد والمجتمع،إلّا أنّ الملاحظ لدى كثير من الخطباء أنّهم يختصرون موضوعات النهضة وينتهون بها إلى نعي الحسين عليه السلام وأهل بيته، وقلّما نجد خطيباً يمرّ بأحد مواقف كربلاء ويحاول أن يحلّل ذلك الموقف وتداعياته، والغاية التي دعت إليه، والثمرات الناتجة عنه، والآثار المترتبة عليه.

وجاء في الملاحظة الثانية الحديث عن هيكلية الخطبة، إذ لا بدّ من توفّر بعض الشروط فيها من قبيل: استحسان افتتاح الخطبة بالبسملة وذكر النبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليه، وكذلك لا بدّ من تكريس هذه الليالي العشر لتربية المجتمع، وتعبئته نحو القيم التي حملها الإمام الحسين عليه السلام، ويجب أن يكون الخطاب الحسيني خطاباً إسلامياً إنسانياً، لا مذهبياً متطرّفاً، ولا بدّ أن يكون الإصلاح هو الغاية القصوى للمنبر، والابتعاد عن المبالغات والتهويلات.

ثمّ ذكر في الملاحظة الثالثة مسألة الإكثار من المجالس، حيث بيّن أنّ ذلك مما يؤثّر سلباً في مستوى الخطاب وقيمته، مستفيداً في ذلك من تجارب الخطباء السابقين وعلى رأسهم الشيخ الوائلي رحمه الله.

وقد تطرّق في الملاحظة الرابعة إلى مسألة عنونة الليالي، حيث اقترح في خصوص ذلك بعض الأُمور، منها:

١ـ ليلة أُمّ البنين (وهي الليلة الرابعة من محرّم عند بعض الخطباء)، وقد ذكر أنّ من الأنسب تعميم موضوع هذه الليلة ليشمل الحديث عن (المرأة المجاهدة)، ولا بأس بأن يُختم الكلام عن أُمّ البنين عليها السلام كما جرت العادة.

٢ـ ليلة الحسن السبط عليه السلام (وهي الليلة الثانية من محرم عند بعض الخطباء)، وهي مناسبة جيّدة للحديث عن دور الحسن عليه السلام في كشف الزيف الأُموي والمساهمة في توعية الأُمّة تجاه هذا الحزب؛ الأمر الذي مهّد الطريق لإنجاح الحركة الحسينية. ويمكن الحديث في هذه الليلة أيضاً عن مساهمة أبناء الحسن عليه السلام في كربلاء.

٣ـ ليلة الطفولة، إذ كان من المناسب ـ أيضاً ـ تخصيص ليلة معيّنة للطفولة ـ ولتكن الليلة الثالثة مثلاً ـ يُجعل منها قاعدة للحديث عن اهتمام الإسلام بالطفولة من حيث التربية وأدوارها، والتعليم وأطواره، إلى غيرها من الحيثيات، ثمّ نُنهي الحديث بأحد رموز الطفولة في كربلاء.

٤ـ ليلة الهجرة، حيث يمكن تخصيص الليلة الأُولى للحديث عن الهجرة وما يدور في فلكها، وكذلك الاستفادة من هذا العنوان في معالجة قضايا الجاليات الإسلامية في بلاد الغربة، وطرح مشاكلهم، ومحاولة إيجاد الحلول لها.

The Husayni Dais in the First Ten Days of Muharram – Description and Adjustment

Shaykh Abdel Razzaq al-Nadawi

The writer focusses on four remarks adjusting the processing of the mourning ceremonies the first ten days of Muharram. In the first remark, he addresses the philosophy and analysis of the events and mentions how the Husayni uprising includes perspectives from the individual life, but also the life of the society. However, we notice that many speakers summarize the subjects of the uprising and end their speech with lamentation oration about Imam al-Husayn (PBUH) and his household. Whereas, we rarely find a speaker who addresses something from Karbala and then attempts to analyze that situation, its implications, purposes, results, and effects.

The second remark addresses the structure of the speech and concludes that some conditions must be met at every speech. Such as: beginning the speech with the *Basmala* and sending blessings to the Prophet, and specializing the first ten nights of Muharram to educate the society and charging it with the values carried by Imam al-Husayn (PBUH). The speech must also be Islamic, humanitarian, not sectarian, nor radical, while reformation must be the highest objective of the dais, and exaggeration and intimidation must be avoided.

In the third remark, he mentions the numerous mourning ceremonies, pointing out that such a large number of ceremonies would negatively affect the level of the speech and its value. The writer also mentions that we should learn from the experience of the previous speakers, especially Shaykh Ahmad al-Waeli (may he rest in peace).

In the fourth remark, he addresses the titles of the ten first nights of Muharram, where he presents some related suggestions. Such as:

1- *The Night of Um al-Baneen*: The fourth night of Muharram for some speakers, should be widened to include and address the striving women. After that, the speech can be ended with eulogies on Umm al-Baneen as the customs have it.

2- *The Night of al-Hasan al-Sibt*: The second night of Muharram for some speakers, is a good occasion to address the role of Imam al-Hasan (PBUH) in uncovering the Umayyad's deceptiveness and in awakening and warning the nation of this group. Factors which later on resulted in the success of the Husayni movement. At this night, the speakers can also address the other sons of Imam al-Hasan (PBUH) who participated in Karbala.

3- *The Night of the Childhood*: It would be proper to dedicate a night to address childhood, such as the third night. At this night, one can address Islam's attention to childhood, especially education and its roles, and schooling and its variations, etc. After that, the speaker can end the speech with some symbols representing the presence of childhood in Karbala.

4- *The Night of Emigration*: The first night can be dedicated to addressing emigration and what is related to emigration. This name can also be employed when dealing with cases related to the Islamic communities living in foreign countries, as well as raising awareness of these problems and finding solutions to them.

المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني

الأهداف والنتائج

القسم الثاني/ دراسة ميدانية

السيّد محمد باقر الهاشمي

تناول الكاتب في مقاله دراسة ميدانية ركّزت على بيان دور المعاهد المنبرية في تنشئة الخطيب الحسيني، وعلى التطلّعات التي يراها جمهور المثقّفين من جهة وشريحة الخطباء من جهة أُخرى بشأن طبيعة تلك المعاهد والمهامّ الملقاة على عاتقها. وقد اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة محاور:

كان الأوّل منها عبارة عن استبيان عامّ، تمّ فيه طرح مجموعة أسئلة مع إجابات محدّدة لها على (١٠٠) شخص متنوّعي الاهتمامات والاختصاصات، تعلّقت بالموارد المشار إليها أعلاه، وقد أفضت إلى ضرورة وجود معاهد منبرية، تقوم بالإشراف على إعداد الخطيب من الناحية الفنّية والعلمية وصولاً إلى إجازته لاعتلاء المنبر ومراقبته المستمرّة، كما أشارت إلى وجود معوّقات ينبغي ملاحظتها لتجنّب قلّة الإقبال على تلك المعاهد.

أمّا المحور الثاني من هذه الدراسة فقد كان عبارة عن استبيان خاصّ أجراه الكاتب على (٢٠) خطيباً ممّن أتمّ دورة خطابية في المعاهد المنبرية أو أنّه لا زال فيها، وقد طُرحت نفس الموارد المشار إليها أعلاه على شكل أسئلة وأجوبة، مال فيها أغلب الخطباء المشاركين إلى ضرورة وجود معاهد منبرية ذات طابع تخصّصي يعتمد على منهج دراسي شامل لكافّة ما يحتاجه الخطيب، لكنّهم في الوقت نفسه لا يحبّذون إعطاء هذه المنابر صفة الرقابة وإجازة الخطيب أو عدم إجازته، كما أقرّ المشاركون بوجود مجموعة عوائق لا بدّ من رفعها ليكون للمعهد المنبري الدور المنشود بشكلٍ أكبر.

وأما المحور الثالث فقد تمّ فيه إجراء مقارنة بين المخرجات التي تمّ التوصّل إليها في المحورين السابقين.

وفي الختام عرض الباحث خلاصة لجميع النتائج المترتّبة على مجموع هذه الدراسة بقسميها النظري والعملي.

Institutions for Preparing Speakers on the Dais and Their Role in Educating Husayni Rhetoricians – Goals and Results Part Two: A Field Study

Sayyid Muhammad Baqir al-Hashemi

In this article, the writer conducts a field study, concerned with exploring the role of the institutions for preparing speakers on the dais, and their education of Husayni rhetoricians.

The field study explores the aspirations of the cultural segment on one side and the rhetoricians on the other side in relation to the nature of these institutions and the tasks they are responsible of.

This article consists of three parts. The first part presents a general survey conducted by the writer, with 100 respondents from different fields and with different degrees, where the respondents answered a multiple-choice questionnaire. The questions were related to the subjects mentioned above, and the answers point to the necessity of having institutions for preparing speakers on the dais managing the education of the speaker from a technical and scientific perspective. According to the answers, the institutions should also be in charge of permitting a speaker to ascend the dais with continuous surveillance of him. The answers also address the existence of some hindrances that must be lifted in order to avoid the low student turnout of these institutions.

The second part of this article presents the results of a special questionnaire, compiled by the writer and handed out to 20 speakers who had finished, or were currently attending, a course in the institutions for preparing speakers on the dais. The same issues mentioned above were asked about in a multiple-choice questionnaire. The majority of

speakers found it necessary to have specialized institutions for preparing speakers on the dais relying upon a complete syllabus, covering everything needed by the speaker. However, the respondents here did not favor surveillance of the speakers, nor the idea of permissions to ascend the dais. They also acknowledged the existence of some hindrances which must be lifted in order for the institutions to conduct their desired role better.

The third part consisted of a comparison between the results gathered from the first and second parts of this article.

At the end of the article, the writer presents a summary of all the results from both the practical and theoretical part of this study.

مقوّمات الخطيب الحسيني القدوة

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي أُنموذجاً

أ. م. د. سها صاحب القريشي

مقال يتناول جوانب متعدّدة من مقوّمات الخطيب الحسيني، ومنها: العلم، والثقافة، والورع، والتقوى، والعفّة، وحسن المعاشرة، وغير ذلك من الصفات التي ينبغي أن تتوفّر في الخطيب الحسيني.

جعلت الكاتبة من الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله أُنموذجاً للخطيب الحسيني القدوة؛ وذلك لقوّة شخصيته، وسعة علمه وثقافته، وحُسن أُسلوبه الخطابي، وأهمّية موضوعات منبره التي تطرّق فيها لمعالجة هموم المجتمع في مختلف المجالات الاجتماعية، والثقافية، والفكرية، والسياسية، وغير ذلك، ومن تلك الموضوعات:

١ـ معالجة التفكك الأسري.

٢ـ إبراز الدور العلمي للقرآن.

٣ـ الردّ على المستشرقين.

٤ـ إظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

٥ـ الدفاع عن قضية الإمام المهدي عليه السلام.

٦ـ التحذير من النزعات القبلية والعشائرية.

٧ـ التأكيد على الوحدة الإسلامية.

وقد تمكّن بذلك من استقطاب أكبر عدد من الجمهور الحسيني على اختلاف أعمارهم ومشاربهم؛ ليشدّهم إلى المنبر الحسيني، ويغذيهم بمعارف أهل البيت عليهم السلام، ومبادئ النهضة الحسينية.

وفي الختام تطرّقت الكاتبة لبعض مواقفه الشجاعة والجريئة في نقد السلطة آنذاك، والوقوف بوجه المدّ الشيوعي، وإسهامه في إنشاء (حركة جماعة العلماء)، فكان﵀ محاججاً ومخاصماً، لا تأخذه في الوقوف بوجه الفساد والظلم لومة لائم.

The Constituents of the Idol, the Husayni Speaker – Dr. Shaykh Ahmad al-Waeili as a Sample

Dr. Suha Saheb al-Qurayshi

The article addresses various aspects of the constituents of the Husayni speaker, such as the science, culture, devoutness, piety, modesty, and other such qualities necessary to the Husayni speaker.

The writer uses the late speaker, Dr. Shaykh Ahmad al-Waeili (may Allah have mercy upon his soul) as a sample for an idol for Husayni speakers. Her choice was due to the strong personality Shaykh al-Waeili possessed, his wide knowledge and culture, his proper rhetorical method, and lastly, the significance of the topics of his dais, addressing the various and different societal, cultural, intellectual, and political concerns of the society. His speeches would sometimes deal with:

1. Treating Family Breakups
2. Presenting The Scientific Role of the Holy Quran
3. Answering the Orientalists
4. Depicting the Oppression toward the Household (PBUT)
5. Defending the Subject of the Twelfth Imam, al-Mahdi (MAHHR)
6. Warning of Tribal Feuds
7. Emphasizing Islamic Unity

By such a method, he was able to gather a large audience from different segments and age groups, drawing them toward the Husayni dais, and nurturing them with the knowledge of the Household (PBUT) and the values of the uprising of Imam al-Husayn (PBUH).

At the end of the article, the writer mentions the late Shaykh's bravery and stances in criticizing the authorities back then, also his stance against the communist movement, and his role in establishing *Harakat Jama'at al-Ulama* (The Movement of the Assembly of Scholars). The Shaykh was a contending adversary, not afraid of anything when facing corruption and oppression.

ضوابط الخطابة ومقوّماتها في ضوء النصوص الشرعية

د. الشيخ علي حمود العبادي

جاءت هذه المقالة مستضيئة بالنصوص الشرعية لبيان المعالم المهمّة والأساسية في الخطابة، والأُسس والخطوات المهمّة التي ينبغي للخطيب أن يسير عليها.

وقد تضمنت أربعة محاور أساسية، كُرِّس الأوّل منها للبحث في تعريف الخطابة وأقسامها.

أما المحور الثاني فتناول البحث في محتوى الخطبة من حيث المقدمة والموضوع، وتضمن البحث في المقدمة نقاطاً متعدّدة، منها: بيان وظيفة المقدّمة، وكمّها، وضرورتها. ثمّ تطرّق الكاتب إلى بحث شرائط الموضوع، ومنها: كونه واضحاً، وموحداً، ومترابطاً، ومتسلسلاً تسلسلاً منطقياً، وأن لا تكون الخطبة التي يتناولها الموضوع طويلة مملّة، ولا قصيرة مخلّة، وغير ذلك من الشرائط.

وجاء المحور الثالث لبيان كيفية إعداد موضوع الخطابة، وأهمّ الخطوات التي ينبغي مراعاتها في ذلك، ومنها: تحديد موضوع الخطبة والهدف منه، وجمع المعلومات الكافية، وعمل مخطط للخطبة.

أمّا المحور الرابع والأخير، فتضمّن ملاحظات عامّة حول الخطبة والخطيب، من قبيل إيصال المطالب والمفاهيم بطريقة يسيرة، وتجنّب الكلمات المستهجنة.

ثمّ ذكر الكاتب خاتمة أوجز فيها أهمّ النتائج التي توصّل إليها في بحثه.

The Guidelines of Rhetoric and its Constituents in Light of the Religious Texts

Dr. Shaykh Ali Hammoud al-Abadi

This article brings forth religious texts in order to articulate the vital basic features in rhetoric, in addition to the fundamentals and important measurements that must be taken by the speakers.

The article consists of four main objects of research. The first object is devoted to the study into the definition of a speech and its stages, whereas the second object of research addresses the content of the speech itself in relation to its beginning and topic. While addressing the beginning of the speech, the writer also articulates its role, size, and importance. After that, he mentions the conditions for any given topic delivered at a speech. In this regard, he mentions that the speech must be clear, concerted, and logically sequenced, and not lengthy, nor mundane, nor faulty short and other such conditions.

Then follows the third object of research with an articulation on how to prepare the topic of the speech, and its most important stages, such as defining the topic, and objective of the speech, gathering substantial information on the topic, and creating a plan for the speech.

The fourth and last object of research was regarding general comments on the speech and speaker, such as conveying the case and understandings in an understandable manner, and the avoidance of using uncommon words.

The writer then ends his article with a conclusion in which he summarizes the most significant results reached in his research.

عاشوراء في مخطوطة (العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور)

عرض وتحليل

م. م. عصام هادي السعيدي

بحث الكاتب في هذا المقال عن مخطوطة (العلم المشهور في فضائل الأيّام والشهور) لأبي الخطّاب الكلبي (ت٦٣٣هـ)، هذه المخطوطة التي أُلّفت لغرض بعيد عن الوقائع التاريخية، إلّا أنّ المصنّف قد تناول فيها بعض الحوادث التاريخية، ومن جملتها واقعة كربلاء الأليمة.

قسّم الباحث مقاله ـ بعد مقدّمةٍ ـ إلى ثلاثة مباحث وخاتمة، تناول في المبحث الأوّل التعريف بالمؤلّف ومخطوطته، ذاكراً نسبه وتاريخ مولده وشيوخه ومذهبه ومؤلفاته ووفاته. ثمّ بيّن الباحث عنوان المخطوطة ـ ذاكراً الاختلاف فيه بين الباحثين ـ وموضوعها وأهمّيتها، فكان موضوعها هو أذكار في الوعظ، والتذكير، والإرشاد، وفضائل الأيّام والشهور، إلّا أنّ المؤلف استطرد فيها بمسائل متنوّعة شملت علوماً عدّة من: حديث، وفقه، ولُغة، ونحو، وغيرها؛ ومن هنا تكتسب المخطوطة أهمّية بالغة.

وتناول في المبحث الثاني واقعة الطفّ، مبيّناً عدّة موارد تمّ ذكرها من قِبل المؤلف، معتمداً في ذلك على مصادر متعدّدة.

ثمّ ذكر في المبحث الثالث مسير الرأس وموضع دفنه، مشيراً إلى عدّة روايات تدلّ على أنّ الرأس قد نُقل من الكوفة إلى الشام، ومنه إلى المدينة المنورة، ودُفن في البقيع بجوار قبر فاطمة الزهراء عليها السلام.

وجاءت خاتمة المؤلف معرّية ليزيد بن معاوية ومقرّعة إيّاه؛ بسبب سفك دماء آل الرسول صلى الله عليه وآله.

وفي ختام مقاله ذكر خاتمة لـخّص فيها أهمّ النتائج التي توصّل إليها.

Ashura in the Manuscript; Al-Elm al-Mashoor fi Fadhael al-Ayyam wal Shuhoor

Esam Hadi al-Saeidi

In this article, the writer researches the manuscript of Abu al-Khattab al-Kalabi (d. 633 HE/1236 CE), named *al-Elm al-Mashoor fi Fadhael al-Ayyam wal Shuhoor*, which translates into, "The Known Knowledge in the Excellences of the Days and Months." A manuscript which was authored for reasons not related to authentic historical incidents. However, the author mentions some historical incidents, among which is the sorrowful event of Karbala.

After having introduced his article, the researcher divides it into three objects of research and a conclusion. In the first object of research, he introduces the author of the manuscript and the manuscript, where he mentions the author's lineage, birth, teachers, sect, other works, and death. Followed is an articulation of the name of the manuscript, where he mentions the researchers' disagreement on its name, in addition to the articulation of the manuscript's topics and importance. The writer concludes the topics to be; supplication regarding advice, reminders, guidance, the excellence of days and months. The author does, however, come upon various subjects covering several sciences such as; the Science of Narrations, Jurisprudence, Linguistics, Grammar, etc., and this is where the manuscript gains great significance.

In the second object of research, the writer mentions the incidents of al-Taff, articulating several cases specified by the author of the manuscript, while relying upon several sources.

In the third object of research, he mentions the journey of the head of Imam al-Husayn (PBUH) and the place of its burial. In this regard,

the author of the manuscript mentions several narrations indicating that the head was moved from Kufa to the Levant, and then to the holy city of Medina, where it was buried next to the grave of Lady Fatima al-Zahraa.

At the end of the article, the author exposes Yazid son of Muawiya and criticizes him for having shed the blood of the family of the Messenger (PBUH&HF). In his conclusion, he presents a summary with the most critical results reached through his research.

وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية

دراسة في السند والمتن

مصطفى ماجد هاشم الدالي

يتحدّث البحث عن وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، التي أكّد فيها الإمام عليه السلام على جملة من مبادئ العقيدة الإسلامية، وأشار إلى جملة من المعاني المعرفية.

وقد قُسّم البحث على تمهيدٍ ومبحثين وخاتمة بأهمّ النتائج، فعُقِد التمهيد لبيان المبادئ التصورية للموضوع، وشرح مفردات العنوان.

أما المبحث الأول فتناول فيه طرق الوصية ومعالجتها السندية، وذلك في ثلاثة مطالب: فكان الأول لبيان المصادر التي نقلت الوصية، وقد رتُّبت بحسب السبق التاريخي، وهي أربعة مصادر أساسية: (الفتوح، مقتل الخوارزمي، مناقب آل أبي طالب، تسلية الـمُجالس وزينة الـمَجالس)، وحيث تبيّن أنّ كتابي مقتل الخوارزمي، وتسلية المُجالس نقلا الوصية عن الفتوح، فتحصّل أنّ هناك طريقين مختلفين للوصية: طريق صاحب الفتوح، وطريق صاحب المناقب، لذلك تناول الباحث في المطلب الثاني طرق ابن أعثم الكوفي للوصية، والتي بلغت ثلاثة عشر طريقاً، فتمت معالجتها، بتتبّع رجال السند واحداً بعد الآخر، خاتماً المطلب بمحاولةٍ لتصحيح سند الوصية من خلال جملةٍ من القرائن. وكان المطلب الثالث في طرق ابن شهر آشوب للوصية، إذ لم ينقلها كاملةً، ولم يعنون ما نقله بعنوانها، ولكن من خلال المقارنة مع غيرها من النصوص اتّضح أنّ ما نقله هو مقطع منها. ومن خلال دراسة طرقه لمقتل الإمام الحسين عليه السلام والذي تضمن مقطع الوصية، توصّل إلى الركون إلى رواية ابن شهر آشوب وإمكان اعتبارها.

أما المبحث الثاني فكان معقوداً لدراسة متن الوصية، وكان على مطلبين: الأوّل:

في بيان جملة من مبادئ العقيدة الإسلامية التي بيّنها الإمام الحسين عليه السلام في وصيته المباركة، وهي (التوحيد، والنبوة، والمعاد). وأمّا الثاني فكان في بيان المعاني المعرفية المستفادة من متن الوصية، وقد أشار الباحث إلى جملة من تلك المبادئ، كالدعوة إلى إقامة النظام الإسلامي، من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولابدية تثبيت الموقف الشرعي من الحوادث التي تحيط بالإنسان.

وختم الباحث كلامه بخاتمةٍ بيّن فيها أهمّ النتائج التي توصّل إليها، من خلال خوضه في هذا الموضوع.

The Will of Imam al-Husayn (PBUH) to His Brother Muhammad Bin al-Hanafiya – A Study into the Authenticity of the Chain of Narrators and the Text

Mustafa Majed Hashem al-Dali

This research is about the will of Imam al-Husayn (PBUH) to his brother Muhammad Bin al-Hanafiya, in which the Imam emphasizes on a series of principles from the Islamic beliefs. He (PBUH) also mentions a series of epistemological meanings.

The research was divided into an introduction, two objects of research and a conclusion. The introduction was concerned with articulating the conceptional principles of the subject and explaining the terms of the title.

The first object of research addresses the chain of narrators of the will and how to authenticate them. This is done through three stages.

In the first stage, by discussing the sources which reported the will. The sources were listed chronologically and begin with *al-Futooh* by Ahmad Bin A'atham al-Koofi, then *Maqtal al-Husayn* by Abu al-Muayyad al-Muwafaq Bin Ahmad Al-Makki. Then follows *Manaqeb Aal Abi Taleb* by Muhammad Bin Ali, known as Ibn Shahar Aashoub, and finally, *Tasliyat al-Mujales wa Zinat al-Majales* by Sayyid Muhammad Bin Abi Taleb al-Haeri al-Karaki. The writer mentions that it becomes apparent that the two books, *Maqtal al-Husayn* and *Tasliyat al-Mujales wa Zinat al-Majales* have both reported the will from *al-Futooh*. Therefore, there are only two different ways to the will – that of the author of *al-Futooh* and that of the author of *Manaqeb Aal Abi Taleb*.

Hence, in the second stage, the writer discusses the ways, i.e., the full narrator chains, of Ibn A'atham al-Koofi, which counts 13 different chains of narrators, which all are analyzed by studying every narrator in each link in the different narrator chains. The writer ends the second object of research by attempting to authenticate the chains of narrators of the will through several indications.

The third stage discusses the ways of Ibn Shahar Aashoub as he does not report the whole will, nor does he record, what he reports in his book, as the will. However, it becomes evident by comparison with other texts, that what he reports is, in fact, an excerpt from the will and not the complete will. By studying the chains of narrators, which Ibn Shahar Aashoub relies upon in other books on the killing of Imam al-Husayn (PBUH), and which includes parts of the will to, it was possible to authenticate and rely upon his report of the will.

The second object of research is devoted to the study of the text of the will and focuses on two main issues. Firstly, articulating the principles of the Islamic Belief, which Imam al-Husayn (PBUH) mentions in his blessed will. These are the Unification of Allah, Prophethood, and the Day of Resurrection. Secondly, articulating the epistemological understandings of the text of the will. The researcher mentions some of these principles, such as the calling for the establishment of an Islamic system, through enjoining good and forbidding evil, and also the necessity of highlighting the religious stance toward the events surrounding people.

The researcher then ends his article with a conclusion containing the essential results reached in his research into this field.11ذ

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي
الإصلاح الحسيني
مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية